

# الاستعراب الإسباني الحديث
# وجاذبية الحضارة الإسلامية في الأندلس

## * قراءة في أعمال المستعرب إميليو غارثيا غوميث *


الأستاذ الدكتور

**محمد العمارتي**




# الاستعراب الإسباني الحديث

## وجاذبية الحضارة الإسلامية بالأندلس

" قراءة في أعمال المستعرب إميليو غارثيا غوميث "

**الطبعة الاولى**

**٢٠١٤ م**

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/١/٤١٠)

٩٥٦
العمارتي،محمد
الاستعراب الاسباني الحديث وجاذبية الحضارة الاسلامية بالاندلس. محمد العمارتي.
عمان: دار الجنان للنشروالتوزيع٢٠١٢
( ١٩٧ ) ص
ر.أ: (٤١٠ / ١ / ٢٠١٤).
الواصفات: الحضارة العربية //الاندلس/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

**الترقيم الدولي 9 – 978-9957-551-88 ISBN**



**دار الجنان للنشر والتوزيع - عمان – الاردن**

**هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٥٩٨٩١dar_ jenan@yahoo.com**

**ص. ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ عمان**

**مكتب السودان ـ الخرطوم ٠٠٢٤٩٩١٨٠٦٤٩**

# الاستعراب الإسباني الحديث

# وجاذبية الحضارة الإسلامية بالأندلس

## " قراءة في أعمال المستعرب إميليو غارثيا غوميث"


**الاستاذ الدكتور**

**محمد العمارتي**




# إهداء

**إلى**

**التي علمتنا أن عشق القراءة**

**أقوى من عشق الحياة .**

**إلى أستاذتنا الفاضلة الدكتورة ميلودة الحسناوي**

**إلى**

**الذي عرفت فيه نبل الصديق ،**

**فأكبره ذلك في عيني .**

**إلى صديقي الفاضل الدكتور الحسن الغشتول**

**أهدي إليكما هذا الكتاب**

## المقدمة:

ثمة إجماع بين الباحثين في الحضارة العربية الإسلامية على أن التراث الأندلسي قد شكل لونا من الإنجاز المتميز في تاريخ الإبداع العقلي والعلمي والثقافي العربي خلال مراحل عدة، لما تميز به من مظاهر وتجليات علمية وفكرية وجمالية متنوعة .

لقد استأثر غنى هذا التراث الإنساني الخالد باهتمامات العلماء والدارسين سواء كانوا عربا أو أجانب، وما زال يثير مزيدا من الاهتمام والعناية والبحث والنقاش الإيجابي المثمر، لأنه تراث مخصوص في لغته ومنهجه وتصورات أعلامه وعلمائه ، ولهذا ليس غريبا أن يندفع الباحثون في الحضارة العربية الأندلسية منذ عقود إلى دراسة تجلياته في إطار نشر بحوث ودراسات علمية جادة ، كل من زاوية اهتمامه واختصاصه، بغية الإلمام الكامل بعناصره وقضاياه.

إذ يمكن أن يقف المتتبع لتاريخ هذا التراث الطويل على عدد هائل من المؤلفات الأندلسية تبرز خصوصياته باعتباره تراثا له تميزه وتفرده وعناصر الإشعاع فيه، لكن ذلك لا يلغي فيه مشروعية انتمائه إلى التراث العربي الإسلامي الكبير كفرع من فروع حضارتنا الإسلامية المتجذرة في المدنية والمعرفة الإنسانية العريقة .

لكن مما يؤسف له حقا هو أن هذا الاهتمام العلمي المتنامي الذي عرفه هذا التراث والطرق المنهجية المعتمدة في معالجته ودراسته ظلت حبيسة الجهود العربية ، ولم يواكبها اهتمام بما كتبه الآخر عنه ،ولاسيما عند المهتمين من المستعربين الإسبان المحدثين .

لقد اهتم كثير من الباحثين العرب مغاربة كانوا أو مشارقة بهذا التراث ، كل من زاوية اختصاصه في إطار الإلمام الكامل به، فنظروا إلى مصادره الأندلسية العربية كعنصر محوري أساسي دون أن ينفتحوا على مصادر أخرى أجنبية – خصوصا الإسبانية منها- التي درست التراث نفسه .

فلم يحظ هذا الآخر باهتمام الباحثين العرب في وقت دَرَسَ المستعربون الإسبان المحدثون أغلب عناصر هذا التراث بعمق وتفان منقطع النظير في إطار بناء المعرفة الشاملة والممكنة بتراث الأندلس المشترك .

ولهذا فإن الهدف من تأليف هذا الكتاب ليس هو التقصي المستفيض للإنجازات العلمية العربية في تناولها للتراث الأندلسي كأفق للدراسة والبحث الدقيق ، فهذه أمور قُتِلَتْ بحثا ودراسة ، وألف فيها العديد من الأعمال والمؤلفات ، ولكن جوهر مساعينا ومقاصدها هنا هو فتح آفاق علمية ونقدية جديدة في تناول

مباحث هذا التراث من خلال رؤى وتصورات وزوايا نظر إسبانية مغايرة إلى حد ما.

لقد أشاد هؤلاء المستعربون الإسبان المحدثون بهذا التراث المشترك ، ونوهوا بعراقته وقيمته وريادته وفضله على إسبانيا وعلى سائر دول أوروبا في فترة من فترات بناء مجدها العلمي والمعرفي والجمالي ، بتمكينها من مفاتيح كنوز المعرفة الإنسانية الخالدة التي كانت بلاد الأندلس وحواضرها حاضنة لها .

وتجسيدا لهذا الاهتمام وتقديرا لقيمة هذا التراث انصرفت طائفة من هؤلاء المستعربين إلى تعلم اللغة العربية وتمثل ثقافتها ، وبذلك تركوا بصماتهم على الدراسات الأندلسية الحديثة .

وحينما نقيم نحن العرب معرفتنا بهذا التراث الأندلسي ومصادره ، وننفتح على ما تركه هؤلاء المستعربون الإسبان من أعمال قيمة سندرك حجم مساهمتهم في الكشف عن جوانبه المضيئة وإماطة اللثام عن كثير من الحقائق المرتبطة به .

ومن ثم تولدت لدينا رغبة كبرى في إقامة عمل نقدي علمي يعيد الاعتبار لهذه الأبحاث الموازية التي درست هي الأخرى تراثنا الأندلسي المشترك بنفس الغيرة التي نمتلكها إزاءه وبنفس التفاني في تناول قضاياه وعناصره.

إذ لا يمكن رسم صورة واضحة المعالم، مكتملة الملامح والقسمات لحضارتنا العربية الأندلسية دون معرفة ما قام به الإستعراب الإسباني الحديث من خدمات لهذا التراث ، ودون معرفة حجم وأهمية هؤلاء الذين قدموا هذه الخدمات.

ومن هنا سعينا في هذا الكتاب إلى ضرورة إثراء فعل البحث والدراسة والمناداة بالاعتماد أيضا على ما ألفه هؤلاء من دراسات علمية وازنة ، لها قيمتها العلمية الكبرى في مجالها،فوجهنا عنايتنا إلى استنطاق النصوص الإسبانية عبر تشكلاتها العلمية والجمالية ... لما لاحظنا فيها من إمكانات هائلة قد تسمح لنا ولكافة الباحثين العرب في التراث الأندلسي بناء تصور شامل وغير أحادي الرؤية تجاه هذا التراث .

إذ إنه من النادر أن نجد باحثا مستعربا إسبانيا لم يتناول المصادر العربية الأندلسية بالدرس والتحقيق والترجمة في إطار الاستعانة بها لصياغة مشروعه العلمي حول حضارة إسبانيا الإسلامية في عصرها الوسيط، فأضحت كتاباتهم ودراساتهم من أهم المراجع التي ترصد تجليات هذا التراث بنوع من الدقة والوثوقية ، أمثال ميغيل آسين بلاثيوس وآنخل غونثالث بالنثيا وليوبولدو طوريس بالباس ، وإميليو غارثيا غوميث وغيرهم......

ووعيا منا بأهمية الموضوع وجدته قمنا بدراسة علم من أعلام الاستعراب الإسباني الحديث ألا وهو إميليو غارثيا غوميث.Emilio Garc?a G?mez لأن مشروعه العلمي يستحق الاهتمام والنقاش والمدارسة .
وتعود مسألة تناول مشروعه كأفق للبحث والتأليف في نظرنا إلى الأهمية التي يكتسيها الرجل في دراسته للتراث الأندلسي .
كما تكمن قيمة تأليف هذا الكتاب عنه في أنه أحد المختصين الكبار في دراسة تراثنا الأندلسي ، فهو يجمع بين المعرفة التاريخية واللغوية والفكرية والجمالية لهذا التراث ، فقد سعى في أعماله مجتمعة إلى دراسة وتوثيق حقبة تاريخية مهمة ألا وهي حقبة الوجود الإسلامي بالأندلس، والكشف عن حقائق ووقائع لم يتطرق إليها المؤرخون العرب المحدثون ، ولم تتناولها كتب التاريخ الإسباني بهذا الشكل من التفصيل عند تعرضها لتاريخ إسبانيا الإسلامية في العصر الوسيط .
إلا أنه للأسف لم يحظ في حدود علمي إلى الآن بدراسة منوغرافية خاصة عنه، ومنفصلة تعرف به وبمشروعه وبإنجازه العلمي الكبير في خدمة التراث الأندلسي .
فلم تنل أعماله في ثقافتنا العربية الحديثة ما تستحق من الاهتمام ، رغم كثافتها وعمقها وقيمتها التوثيقية والتاريخية والأدبية ، وإن كان غوميث حريصا على الحضور العلمي في كل تجليات هذا التراث ، وسعيه الدؤوب المستمر لبلورة تصور علمي ينصف هذا التراث عند الإسبان ، ويغير من أفق انتظارهم ورؤيتهم للوجود الإسلامي بإسبانيا العصر الوسيط ،
ولعل من يقترب من عالمه سيدرك عمق مشروعه وتعدد تجلياته ودراساته التي راكمها خلال ما يزيد عن نصف قرن من الكتابة والبحث والتأليف والترجمة والتنقيب والتحقيق لعيون تراثنا الأندلسي ونصوصه ، وتقديمها للقارئ العربي والإسباني على حد سواء على أساس أنها إرث مشترك للعربي فيه مثل ما للإسباني أيضا من حظ وانتماء وانتساب.
من هنا تنبع أهمية الكتابة والتأليف عن غوميث ، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى لعل من أبرزها :

١- عدم وجود دراسة أو مؤلف مستقل عن غوميث باللغة العربية .
٢- إبراز مكانة الرجل ودوره في خدمة تراثنا الأندلسي والتعريف به لدى الباحثين العرب .
٣- محاولة كسر الإهمال الذي عرفه مشروعه العلمي، بمحاولة تناوله كأفق للبحث والدراسة قصد الخروج بصورة شاملة عنه .

ولذلك فإن أهمية هذا الكتاب لا تكمن في كونه أول بحث باللغة العربية في الموضوع ، ولكن تكمن أهميته أيضا في جدية الأهداف التي رسمها لنفسه ، وفي جهده التأسيسي لهذا اللون من المعرفة الممتعة .
والمؤكد أن مثل هذا العمل سيقتضي منا المزيد من البحث والتنقيب والكشف عن مواطن هذا الإبداع والتألق في مشروعه .
ومن أجل إنجازه اعتمدنا على خطة قسمنا خلالها الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .
خصصنا المقدمة لتبيان أهمية الموضوع وفرادته ، ثم عرضنا الفكرة الرئيسية للعمل .
الفصل الأول : تناولنا فيه سيرة غوميث وثقافته دراسة توثيقية ،أوضحنا فيها المحطات الأساسية من حياته ، مع ذكر أهم الأحداث التي مر بها ، وركزنا أيضاعلى النشاط الثقافي والعلمي والديبلوماسي الذي أنجزه غوميث باقتدار وبمستوى الرجل الخبير الماهر، دون إغفال لمسيرته التأليفية أيضا ، ثم عرضنا لأهم سنوات الإبداع العلمي في مسيرته الحياتية والعلمية .
الفصل الثاني :استعرضنا فيه قناعات ومواقف ورؤى غوميث من الترجمة عموما، ومن ترجمة الأعمال الأدبية خصوصا، درسنا فيه بعض آرائه وتصوراته للفعل الترجمي، وكيف ينبغي أن تكون الترجمة عليه كمفاهيم وقناعات وكشبكة من العلاقات يتفاعل فيها المترجم بالمتلقي وبالنص المترجم، وخلصنا في نهاية الفصل إلى أن غوميث كان يرى الترجمة عملا إبداعيا وليس عملا تقنيا جافا.
الفصل الثالث: خصصناه لمسألة ترجمة غوميث لفنون الشعر الأندلسي وتجلياتها، ومستوياتها، فتطرقنا فيه إلى موقفه الريادي السباق إلى ترجمة الشعر الأندلسي وإمداده للمشهد الشعري الإسباني الحديث بنماذج أندلسية رائعة وفريدة في بابها. كما رصدنا مستويات ترجمته للشعر الأندلسي في تجلياته الكلاسيكية التقليدية (القصيدة العمودية)، ثم صوره الجديدة (الموشحات والأزجال) التي نشأت بإسبانيا الإسلامية بفعل عوامل التطور والاحتكاك والتأثير والتأثر، مع دراسة منهجية مفصلة لطريقة ترجمته لكل تجل على حدة من هذه التجليات الشعرية الأندلسية.
تلك إذن أهم المباحث والقضايا التي حاولت فصول هذا الكتاب ملامستها بشأن موضوع الاستعراب الإسباني الحديث والحضارة الأندلسية، انطلاقا من تصور منهجي يرى هذا الموضوع حقل دراسة وتواصل وتفاعل بين شعبين متجاورين العربي والإسباني وليس حقل صراع وخلق جبهات ثقافية مضادة .

**آمل أن نكون بتأليفنا هذا الكتاب قد أضفنا إلى المكتبة العربية عملا يسمو إلى خلق معرفة بالحضارة العربية الأندلسية من منظور الاستعراب الإسباني الحديث عامة ومن خلال منطلقات إميليو غارثيا غوميث وتصوراته خاصة .**

**والله ولي التوفيق**

**د. محمد العمارتي**
**تطوان في ٠١ فبراير ٢٠١٤**



# لائحة الرموز والاختزالات

1/ - B.A.H : ( Bibli?teca Ar?bigo Hispana).
2/ - E.E.A : (Escuelas de Estudios ?rabes).
3 / - Fasc : ( Fas?culo).
4/ - G.G.E : ( Garc?a G?mez Emilio ).
5/ - I.G.G.I : (Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos).
6/ - I.H.A.C : (Instituto Hispano-?rabe de cultura).
7/ - L.T.B : (Leopoldo Torres Balb?s ) .



# الفصل الأول

## إميليو غارثيا غوميث

**( الإنسان – الأستاذ العالم – الديبلوماسي )**

تمهيد

١- العتبات الأولى في الحياة
٢- بداية الانفتاح على عوالم متاخمة( العالم العربي والإسلامي)
٣- سفاراته في بعض الدول العربية والإسلامية( العراق- لبنان- تركيا)
٤–غرناطة وبداية المجد والعلمي.
٥- العودة المحمودة إلى مدريد(١٩٣٦-١٩٩٥)
٦ - مؤلفاته وأعماله العلمية في هذه المرحلة:
٧- مستوى العلاقات الإنسانية والعلمية :
أ - علاقته ببعض أساتذته .
ب - علاقته ببعض زملائه.
ج - علاقته ببعض تلاميذه.
٨- التقديرات والجوائز والأوسمة والدرجات التي نالها في حياته.
٩- وفاته.

# تمهيد

## ١- العتبات الأولى في الحياة

تبرز أهمية التنشئة الأولى في حياة الطفل إميليو في كونها ستمارس تأثيرها الإيجابي على تكوينه النفسي والأخلاقي والثقافي والجمالي، وأيضا على حياته العملية المستقبلية التي كانت تتسم في أطوارها المتنوعة بالانضباط والصرامة والدقة في اتخاذ المواقف والقرارات المصيرية التي كانت تنبني عليها حياته.

شب إميليو غارثيا غوميث منذ ولادته في ٤ يونيو من سنة ١٩٠٥ بمدريد في هذا الوسط الذي لم يشعر فيه بحاجة أو حرمان، بالإضافة إلى ما كان يحظى به من اهتمام وعناية متزايدين من قِبَلِ جده من جهة أمه؛ فمن خلال هذا الجد رأى الطفل إميليو المحيط الخارجي بشتى مظاهره، فانفتح على عوالم جديدة من العلاقات الاجتماعية في ارتياد الأندية الثقافية ودور الأوبرا وحفلات المسرح والموسيقى[1] حيث كان ملازما له في هذه المرحلة المبكرة من حياته. هذا الجد ترك أثرا إيجابيا فعالا في تكوين ذوق إميليو الصغير وتحديد مساره وتوجهاته نحو الثقافة والتحصيل العلمي وتربية الحس الجمالي؛ مع توسيع أفقه المعرفي والفكري والاجتماعي.

وهكذا وفي هذه السنوات المبكرة جدا من حياته - سن ست عشرة سنة - بدأ يطرق عالم الكتابة؛ فصاغ عملين انطباعيين عن لوحتين مشهورتين بمتحف برادو بمدريد، الأولى للإمبراطورة إيسابيل دي تيثيانو **La Emperatriz Isabel de Tiziano** . والثانية للأمير بلتسار كارلوس **El pr?ncipe Baltasar Carlos** وهما معًا للرسام الإسباني الكبير بلاثكيث **Vel?zquez**[2]. بعد ذلك بقليل سينشر إميليو بعض أشعاره في مجلة " إسبانيا ***Espa?a*** " **Revista**.

هذه المحاولات الانطباعية البسيطة كانت بمثابة تجليات أولية مبكرة لغوميث في مجال الكتابة والإبداع؛ إذ تكتسي طابعا فنيا حيث تقتصر على وصف لوحة أو كتابة محاولة شعرية أو تعليق على موضوع في عجالة.

وفي تلك الأثناء التي كان غوميث الطالب يقطع مراحل دراسته الجامعية بعزم وثبات كان في جامعة مدريد ثلة طيبة صادقة من الباحثين والعلماء الإسبان

---

[1] - Ibid; p 329.

[2] - Vallvé. Bermejo, Joaqu?n. D.E.G.G, Conde de los Alixares p: 329.

يواصلون بإصرار وتحد وصمود ترسيخ الدراسات العربية الأندلسية بإسبانيا، بعدما أسس قواعدها وأرسى دعائمها كل من باسكوال دي غاينغوس Pascual de Gayangos[١] وفرانثسكو كوديرا إي ثايدين Francisco Codera y Zaid?n[٢] من بعده ، ومن صنف هؤلاء العلماء كان أيضا خوليان ريبيرا إي طاراغو Ribera y Juli?n Tarrago[٣] الذي أحدث بدراساته وأبحاثه الجريئة حول الثقافة العربية

---

[1] - ولد بسكوال دي غاينغوس بإشبيلية في ٢١ يونيو سنة ١٨٠٩، تلقى العربية على يد دي ساسي في باريس، وعندما عاد إلى إسبانيا واصل تعلم اللغة العربية في سان إيسيدرو. أقام في مالقة بعض الوقت وتعرف على سيرافين كالديرون الذي كان مغرما إلى أقصى حد بالدراسات العربية. في عام ١٨٣٣ عين غاينغوس مترجما رسميا للغات في الحكومة، وكلف بعد ذلك بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة القصر الملكي، فاستخرج وثائق عديدة خاصة بتاريخ إسبانيا وجغرافيتها. توفي بلندن في ٤ أكتوبر ١٨٩٧.

من آثاره: نشر قسما كبيرا من نفح الطيب للمقري، متنا وترجمة إنجليزية في مجلدين ( لندن – مدريد ١٨٤٠ – ١٨٤٣) وصنف كتابا عن تاريخ المسلمين في إسبانيا (لندن ١٨٤٠ – ١٨٤٣). للمزيد من المعلومات عنه انظر: كتاب "المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر" تأليف : مانويلا مانثاناريس دي ثيري . ترجمة: جمال عبد الرحمن (ص: ٨٩ إلى ١٠٧). وكتاب "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" لمشيل جحا (ص: ١٢٨ و١٢٩).

[2] - يعتبر فرانثسكو كوديرا إي ثايدين أهم شخصية استعرابية في العصر الحديث دون منازع، وهو تلميذ غاينغوس وخليفته على كرسي الدراسات العربية في جامعة مدريد. ولد في خونز من أعمال أراغون سنة ١٨٣٦، وتعلم اللاتينية واليونانية والعبرية، ثم العربية، ورحل إلى شمال إفريقيا حيث تمكن من اللغة العربية واقتنى مخطوطات شرقية وفيرة، ووقف نشاطه على الدراسات التاريخية وتقييم الثقافة الإسلامية في إسبانيا، فأنشأ المكتبة العربية الإسبانية، وكان يجمع تلاميذه في بيته لمعاونته، حتى نشر عشرة أجزاء من مخطوطات مكتبة الإسكوريال العربية.

من آثاره: دراسة عن العملة العربية في إسبانيا (١٨٧٩) – سقوط دولة المرابطين في إسبانيا – دراسات في تاريخ إسبانيا الإسلامية من مجلد ٧ إلى ٩ (مدريد ١٨٧٩) وموجز في النقود الإسلامية (سرقسطة ١٨٧٩).

للمزيد من المعلومات عنه، انظر: كتاب "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا " لميشيل جحا (ص: ١٣٦ و١٣٧) و"المستشرقون" لنجيب العقيقي، ج: ٢، ص: ٥٨٨ و٥٨٩.

[3] - خوليان ريبيرا إي طاراغو مستعرب إسباني محدث ، ولد ببلنسية Valencia، وتعلم العربية على يد فرانثسكو كوديرا، وتخرج من جامعة سرقسطة، وعين أستاذا للعربية بها (١٨٨٧) ثم انتقل إلى جامعة مدريد كأستاذ للحضارة الإسلامية من سنة ١٩٠٥-١٩٢٧. انتخب عضوا في المجمع اللغوي الإسباني، وهو ذو اهتمامات واسعة، وقد عد من بين كبار علماء الاجتماع والتاريخ والكشف عن أصل الشعر الغنائي الأوربي من المنابع العربية.

من آثاره: نشر بمعاونة كوديرا إي ثايدين المكتبة العربية الإسبانية من الجزء الثالث، وهي في عشرة أجزاء، و"تاريخ قضاة قرطبة" للخشني، متنا وترجمة إسبانية، و"التربية بين

الأندلسية عموما، ودراساته للموشحات الأندلسية وديوان ابن قزمان ضجة علمية كبيرة غيرت من تصورات كثير من الدارسين لتاريخ الثقافة الأندلسية الإسبانية القديمة ، ثم ميغيل آسين بلاثيوس Miguel As?n Palacios [١] الذي كان يخوض أيضا معاركه الكبرى في المحافل العلمية لإثبات أفكاره حول الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتي[٢]، ودراساته عن التأثيرات الإسلامية الأندلسية في الفكر الأوروبي والغربي[٣].

---

المسلمين الإسبان"، و"موسيقى الأندلس والشعراء الجوالون" (مدريد ١٩٢٥)، ترجم إلى الإسبانية كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية ( مدريد ١٩٢٦) وغيرها.
كما يعد مرجعا للشعر الأندلسي وأثره في الشعر الغنائي الأوربي

للمزيد من المعلومات عنه انظر كتاب « موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي (ص: ١٨٣ و١٨٤). و"الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" لميشيل جحا. (ص: ١٣٧ و١٣٨) و" المستشرقون" للعقيقي. الجزء الثاني (ص ٥٩٢ و٥٩٣). ثم انظر أيضا :

**" Don Juli?n Ribera y Tarrago ": Revista *Al-Andalus.* vol.II. Fasc 1 Emilio Garc?a G?mez. Fasc 1 (1934) pp: (I – VIII).**

[1] - ميغيل آسين بلاثيوس من كبار مستعربي إسبانيا العصر الحديث ، ولد بسرقسطة في يوليوز ١٨٧١، وتخرج من معهدها الديني، تلقى العربية على ريبيرا (١٨٩١)، ونال الدكتوراه من جامعة مدريد (١٨٩٦) نشر رسالته عن العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي (١٩٠١). وبعد فوزه في امتحان الأستاذية خلف فرانشسكو كوديرا على كرسي العربية في جامعة مدريد (١٩٠٣). ترك هذا العالم الكبير ٢٤٥ كتابا وبحثا بعضها في عدة مجلدات وضعها ما بين ١٨٩٨ و١٩٤٤ وقد عالج في مؤلفاته هذه مواضيع عديدة كالفلسفة والتصوف والديني والتاريخ والأدب وغيرها...
للمزيد من المعلومات عنه انظر كتاب "موسوعة المستشرقين" للبدوي، ص: (٧٥-٨١). و"الدراسات العربية والإسلامية في أوربا"، لمشيل جحا، ص: (١٣٨ – ١٣٩)، و"المستشرقون" للعقيقي، ج: ٢، ص: (٥٩٥ – ٥٩٧)، و"الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني"، لمحمد عبد الواحد العسري.
وانظر أيضا:

**Emilio, Garc?a G?mez: Don Miguel As?n (1871 – 1944) Esquema de una biograf?a. Bibliograf?a de Don Miguel As?n Revista "*Al-Andalus*" vol IX. Fasc 2. (1944). pp. 267 – 319.**

[2] - أنظر تفصيل هذا الموضوع في كتابه:

**As?n Palacios, Miguel. *La Escatolog?a Musulmana en la divina Comedia*. 1919**

[3] - انظر تفصيل هذا الموضوع كذلك في دراسته

**As?n Palacios, Miguel. " Un precursor hispano musulm?n de San Juan de la Cruz » Revista *Al- Andalus*. Vol. I. Fasc: I. (1933). P?gs.: 7-79**

فعلى يدي هذين الأستاذين الكبيرين: ريبيرا وآسين واصل غوميث تعلمه للغة العربية؛ بعد أن حقق في السنوات القليلة السابقة تقدما مهما في تحصيل قواعدها واستيعاب مبادئها.

ويمكن أن نعتبر الموسم الجامعي (٢٣-١٩٢٤) بداية الانطلاق الرسمي لتعلم ودراسة غوميث للعربية بإشراف الأستاذ آسين[١]، كما حظي بإعجاب وتقدير أستاذه ريبيرا، فواصل معهما دراسته الجامعية في هذه اللغة، وتوطدت علاقته بهما إلى حد كبير على أساس من البحث، والاشتغال بمعطيات التراث الأندلسي وقضاياه ومكوناته المتعددة فيما بعد؛ فشاركهما في الاهتمام بقضاياه.

وهكذا ففي الموسم الجامعي (١٩٢٤م – ١٩٢٥م) أنهى غوميث دراسته الجامعية بكلية الفلسفة والآداب حاصلا على جائزة استثنائية **Premio Ribadeneyra** ، وسنه لا يتعدى تسع عشرة سنة[٢].

والواقع أن نفسه كانت تستجيب لطموح أكبر وأهم من ذلك قد يصل إلى حد الكمال في نظره وهو الحصول على درجة أرقى في مراتب الدراسات الجامعية، ففي ٩ فبراير من سنة ١٩٢٦ سينال درجة الدكتوراه وعمره آنذاك ٢١ سنة بأطروحة في الأدب المقارن بعنوان: "قصة عربية هي أصل مشترك بين ابن طفيل وغراثيان"[٣]، وقد نشرها في نفس السنة أي سنة ١٩٢٦ بمجلة: ***Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos*. Madrid** التي كانت تصدر بمدريد.

---

[1] - Granja, Fernando, de la " Don Emilio Garc?a G?mez" *Homenaje a D.E.G.G*)
Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos* (1996) Vol. XXVIII. p: 64.

[2] - Vallvé .Bermejo.J: "Don Emilio Garc?a G?mez, Conde de los Alixares" p:329

[3] - هو بالتسار غراثيان إي موراليس **Baltasar Graci?n y Morales** ينتمي إلى أسرة نبيلة من نبلاء إسبانيا القرن السابع عشر الميلادي، ولد ببلمونطي **Bel Monte** بمقاطعة أراغون في ٨ يناير سنة ١٦٠١، وتوفي بطرثونة **Tarazona** في ٦ دجمبر ١٦٥٨، كان مولعا بالأدب والفكر. انضم في بداية حياته سنة ١٦١٩ إلى جماعة اليسوعيين، ورغم قلة المعلومات المتوفرة عن حياته الغنية، فإننا نعرف عنه بأنه اكتسب شهرة مرموقة بين مفكري عصره المشهورين والمعروفين جدا، خصوصا في وشقة وسرقسطة آنذاك، بفضل ثقافته وتوقد فكره ونباهته ومحادثته اللامعة وبمدريد نقش إسمه أيضا بشكل بارز إلى جانب أسماء مفكرين كبار وقتئذ أثناء إقامته بها. كان من أبرز الوعاظ المبشرين في عصره، ترك أعمالا فكرية أخرى لا

وهذه الأطروحة بموضوعها الطريف الجديد أحدثت وقعا كبيرا في الأوساط العلمية المهتمة بمجال الدراسات المقارنة؛ وأثارت فيضا من الأسئلة والإشكالات في مباحث الأدب والنقد المقارن بما توصلت إليه من حلول، وما وفرته من إجابات عن هذا الموضوع الذي طالما ظلت أسئلته معلقة بدون إجابات علمية مقنعة في مجال النقد المقارن.

شرع غوميث في تلك الفترة في تحقيق أول خطواته في عالمه الكبير المليء بالطموحات وهي أن يصبح باحثا مشاركا في صناعة ملامح الدراسات المقارنة بإسبانيا مثل أساتذته: ريبيرا وآسين وغيرهما، وزاد من هذا الطموح وأذكاه أن عُين في ١٥ نوفمبر من سنة ١٩٢٦ أستاذا مساعدا في كلية الآداب والفلسفة بجامعة مدريد.

بعد ذلك وفي سنة ١٩٢٧ سيسافر إلى مصر لتعميق معلوماته ومعارفه في اللغة العربية، يقول الباحث المصري الدكتور محمود علي مكي عن هذه الرحلة العلمية لغوميث: « ... وكانت علاقته قد توثقت خلال دراسته في الجامعة بأستاذه آسين بلاثيوس الذي توسم فيه مخايل نبوغ مبكر، ولهذا فقد رشحه للتدريس بكلية الفلسفة والآداب، ثم لمنحة دراسية رأى أن تتحول إلى بعثة يقضيها في بلد عربي حتى يستزيد فيها من معرفته بالعربية، وكان أن وقع الاختيار على مصر، وذلك بتوصية من خوليان ريبيرا وبتمويل من دوق ألبا»[1].

## ٢- بداية الانفتاح على عوالم متاخمة ( العالم العربي الإسلامي ):

في سنة ١٩٢٧ سيسافر غوميث إلى أرض الكنانة لتعميق معارفه، وكذا توسيع تكوينه في اللغة العربية وثقافتها؛ وبها « قضى غرسية غوميس[ غارثيا غوميث ] سنة وبضعة أشهر بين سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ وهي فترة ظل يذكرها طيلة حياته، إذ كان يعدها أخصب فترات تكوينه العلمي، فقد توثقت صلته خلالها بأستاذين جليلين احتفيا به، وهما أحمد زكي باشا "شيخ العروبة" والدكتور طه

---

تقل أهمية وشهرة عن كريتيكون وهي: **Héroe El**(١٦٣٧) **El discreto**(١٦٤٦)، **Or?culo manual** (١٦٤٧)، انظر:

- **Baltasar Gracian. *El critic?n*. Olympia 1995 Pags: 7-8.**
- **Pe?a Juan Ruis. *Literatura Espa?ola y Universal.* Madrid, editorial Gredos, Segunda edici?n. 1964 p: 196.**

[1] - محمود علي مكي، "ثلاث دراسات في الشعر الأندلسي"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩، ص: ١٣

**حسين الذي كان يخوض آنذاك معركته المترتبة على نشر كتاب " في الشعر الجاهلي" وهكذا أصبح المستشرق الإسباني الشاب شاهدا على تلك الحياة الثقافية الخصبة التي كانت تموج بها مصر في أواخر العشرينيات»[١].**

**وفي مصر المحطة الأولى المبكرة لبداية اكتشافه لهذا العالم استقبله القطب الكبير (شيخ العروبة) أحمد زكي باشا صديق خوليان ريبيرا وميغيل أسين وصديق إسبانيا؛ استقبله بحفاوة كبيرة؛ كان ذلك في سنة ١٩٢٧. يقول غوميث عن ذلك: « وصلت إلى مصر في عام ١٩٢٧، كان عمري حينها ٢٢ سنة. في الواقع كانت أول مرة أسافر فيها خارج إسبانيا، فلم أكن أعرف سوى بعض المناطق في جنوب فرنسا. ذهبت إلى مصر وأنا أحمل رسالة توصية إلى أحمد باشا؛ لم أكن أنتظر أن يكون لهذه الرسالة تلك الأهمية، حيث استقبلني أحمد زكي باشا استقبالا حارا، وخلال العام ونيف الذي عشته في مصر، كنت أذهب إلى منزله مرتين كل أسبوع، هناك تعرفت على الكثير من الشخصيات في "دار العروبة" بالجيزة » [2].**

**وبالقاهرة كانت اهتمامات غوميث وانشغالاته العلمية والمعرفية تتوزع بين الحضور المتواصل للجلسات والندوات العلمية التي كان يعقدها أحمد زكي في منزله بالجيزة[٣]، وبين محاضرات طه حسين العلمية والأكاديمية في الجامعة (كلية الآداب)، وهناك بالقاهرة بدأ غوميث في تحقيق حلمه في الاقتراب أكثر فأكثر من الثقافة العربية الإسلامية، ومن المجتمع الإسلامي ومن عاداته وتقاليده ومن أعلامه في الأدب والثقافة والفكر الذين كانوا معروفين في المشهد الثقافي المصري كتوفيق الحكيم وغيره.**

**فعن بداية معرفة غوميث بطه حسين، يقول: «... وعن طريقه[٤] تعرفت على طه حسين، في الوقت ذاته كنت أحضر بعض المحاضرات في كلية الآداب التي**

---

**[1] - نفسه ص: ١٣.**

**[2] - انظر الحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث بعنوان: إميليو غارثيا غوميث ودوره الاستشراقي، نشرته مجلة (الوحدة) التي تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ع ٦١/٦٢ أكتوبر /نوفمبر، سنة ١٩٨٩ ص: ١٧٠-١٧١.**

**[3] - Vallvé Bermejo, J " Don E.G.G,Conde de los Alixares" p: 329**

**- Granja Fernando, de la. "Homenaje a Don E.G.G" Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos.* Madrid, p: 65.**

**[4]- أي عن طريق محمود حسن زناتي الذي كان وقتئذ رئيس مكتبة (الخزانة الزكية). رجل - كما يقول عنه غوميث - ذو تكوين ثقافي تقليدي، ولكنه كان أحد زميليْ طه حسين أثناء " ثورته " بالأزهر (انظر مجلة الوحدة ص: ١٧١).**

كانت في (قصر الزعفران) بالعباسية، وكان من بين المحاضرين هناك المستشرق الإيطالي الشهير "نللينو" وحضرت دروس طه حسين، ومن يومها جمعت بيننا صداقة قوية حتى وفاته»[1].

وفعلا ظل غوميث وفيا لأستاذه طه حسين معترفا بجميله وبفضله لم ينسه أبدا، كانت مرحلة مصر بالنسبة إليه بمثابة انطلاقة لعلاقات دائمة ومستمرة وممتدة في الزمان والمكان، وهكذا كان يحتفي غوميث بطه حسين حينما كان يزور إسبانيا، فيستقبله استقبال من يَرُدُّ دينا كبيرا كان عليه إزاء شخص عزيز على قلبه وعقله؛ يكن له كل ألوان التقدير والاحترام؛ يقول غوميث عن ذلك: « سعيت إلى دعوة طه حسين إلى إسبانيا مرتين، في الأولى كان ضد الحكومة، يومها لم تتحرك السفارة لاستقباله، ولكنني قدمته إلى الكثير من
الشخصيات مثل أورتيغا إي غاسيط[2]... وفي المرة الثانية أتى بصفته وزيرا للمعارف لافتتاح المعهد المصري في مدريد، وتم تشييد هذا المعهد بعد أن تغلبت أنا وطه حسين على الصعاب التي كانت تقف في طريقه، كان من عادتي أن أسافر كل عام مرة إلى مصر حيث كنت ألتقي به خلال هذه الزيارة»[3].

تركت مصر في حياة غوميث تأثيرات ظاهرة لم يستطع أن يتخلص منها أو ينساها طول حياته، فانعكس ذلك كله بشكل واضح في مؤلفاته وأعماله وتصوراته المستقبلية، لقد تغيرت مفاهيمه ورؤيته للأدب وللثقافة العربيين الإسلاميين ، فأضحى يفكر التفكير العملي في كيفية ترجمة هذا التغيير الجديد إلى حقيقة ملموسة وإلى فعل وسلوك عمليين تطبيقيين عند ما يعود إلى بلاده، فما كان منه إلا أن

---

[1] - نفسه، ص: ١٧١.

[2] - ولد خوصي أورتيغا إي غاسيط **José ortega y Gasset** في مدريد في ٩ ماي سنة ١٨٨٣، تلقى دراسته الابتدائية بها والثانوية بمدرسة للآباء الجزويت بمالقة حيث استطاع التمكن من اللغة اليونانية واللاتينية، أما دراسته الجامعية فقد كانت بالجامعة المركزية بمدريد بكلية الآداب حيث حصل على اللسانس فالدكتوراه عام ١٩٠٤، كما درَّس أيضا بعد ذلك في جامعات ألمانيا في ليبزج وبرلين وماربورك، وهناك استطاع أن يتفهم ويقف على دقائق فلسفة كانت، ظهر نبوغه وتفوقه وعبقريته منذ حداثة سنه، الأمر الذي رشحه لأن يشغل منصب الأستاذية في المدرسة العليا للمعلمين، وله من العمر ٢٥ سنة تقريبا. ثم شغل بعد ذلك كرسي الأستاذية لمادة الميتافيزيقا في جماعة مدريد المركزية، توفي ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥. من مؤلفاته نذكر:"تخيلات دون كيخوتي" "*Meditaciones del Quijoté*" ـ ديكارت والإدراك اللانهائي" "*Descartes y Metodo transcendental*" ـ "الإحساس والواقع" " *la sensaci?n y la realidad*" - "ثورة الجماعة" "*la rebeli?n de las masas* ".

[3] - انظر الحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث بعنوان : إميليو غارثيا غوميث ودوره الاستشراقي ، مجلة الوحدة الرباط / المغرب ع ٦١-٦٢ سنة ١٩٨٩ ص: ١٧١.

أصدر مقالا مهما بمجلة "الغرب *Occidente*" مباشرة بعد عودته إلى إسبانيا عن "الشعر الأندلسي" الذي كان نواة لكتابه العالمي الذائع الصيت (أشعار أندلسية) ***Poemas ar?bigoandaluces***.

وكانت المادة الأدبية التي اعتمدها غوميث متنا رئيسا في أعماله ودراساته إلى حدود تلك الفترة مستقاة من كتاب مهم جدا هو "رايات المبرزين وغايات المميزين"[1] لابن سعيد المغربي، الذي أهداه إياه أحمد زكي باشا كثمرة طيبة لعلاقة حميمة قوية تربط بين الرجلين، يقول محمود علي مكي: « أثمرت صداقة غارسيا غوميس لهذا العالم الجليل حدثا أصبح له أبعد الآثار في حياته المستقبلية، وذلك أن أحمد زكي باشا أهدى ضيفه الإسباني مخطوطة نادرة لكتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين" لابن سعيد المغربي وهو مجموعة مختارات شعرية أندلسية انتخبها المؤلف من موسوعته الكبيرة "المغرب في حلى المغرب"»[2] .

فكان هذا المخطوط لابن سعيد المغربي نقطة انطلاق لدراسات وأعمال غوميث عن الشعر الأندلسي، ومفتاحا لصياغة كتاب العصر ( أشعارأندلسية ) فيما بعد، وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن هذا الكتاب (الرايات) هو الذي وجه تصورات غوميث في هذا الميدان؛ وأطر تفسيراته واستنتاجاته حول الشعر الأندلسي بوجه خاص.

وأول عمل في هذا المشروع كما ذكرنا آنفا هو ترجمته إلى الإسبانية مختارات شعرية من هذا المخطوط ، نشرها في بداية الأمر كمقال مقتضب سنة ١٩٢٨ بمجلة " الغرب ***Occidente*** " ثم وسع منها بعد ذلك مضيفا إليها بشكل مهم عددا من الأشعار لم ينشرها من قبل؛ مع مقدمة ذهبية هامة ومفصلة لهذا الشعر ولمراحل تطوره وازدهاره بالأندلس منذ بداياته الأولى المبكرة؛ فأصدر ذلك كله سنة ١٩٣٠ في كتاب يحمل نفس العنوان هو: " ***Poemas ar?bigoandaluces*** " سنة ١٩٣٠[3].

وقد أثار هذا الكتاب لعمقه وجدته وفرادته في تقديم الشعر الأندلسي وترجمته موجة من ردود فعل إيجابية جدا، وأثار إعجاب ودهشة النقاد والشعراء داخل إسبانيا وخارجها. أهمية هذه المختارات الشعرية المترجمة في الثقافة والأدب

---

[2] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي" ص: ١٤.

[3] - انظر تقريرا مفصلا عنه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

الإسبانيين فاقت كل التوقعات وتأثيرها على شعراء إسبانيا العصر الحديث حقيقة ثابتة بادية للعيان لا ينكرها إلا جاحد أو مجانب للحقيقة الماثلة أمامه[1].

ونحن هنا لسنا في معرض تتبع خطوات هذا التأثير وتجلياته ومواطنه في أعمال الشعراء الإسبان، فهذا مجال آخر خارج عن طبيعة عملنا في هذا الفصل، وبعيد عن مقصديته وغايته وقد أشارت الباحثة والمستعربة الإسبانية ماريا خيسوس بيغييرا مولنس **Maria Jes?s Viguera Molins**[2] إلى نموذج من نماذج هذا التأثير المتمثل في أعمال الشاعر الإسباني المعروف رامون غوميث دي لاسيرنا **Ram?n G?mez de La Serna** وذلك بنوع من التتبع والتقصي[3].

---

[1] - انظر بشأن هذا التأثير الدراسات والأعمال التالية:

**- Viguera Molins, Maria Jes?s." Met?foras ?rabes y greguer?as" (homenaje a E.G.G) Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Madrid (1996) P?gs.:147-156.**

**- Alonso D?maso. *Poes?a ar?bigoandaluza y poes?a gongorina en estudios y ensayos gongorinos*. Madrid. Editorial Gredos. 1960.**

ثم انظر مقدمة كتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين " ترجمة غوميث. الطبعة الثانية، ص: ١٥ . وكذا الحوار الذي أجراه معه خالد سالم، المنشور بمجلة "الوحدة" ع ٦١-٦٢ سنة ١٩٨٩ ص: ١٧٢.

[2] - ولدت ماريا خسوس بيغيرا مولنس سنة ١٩٤٥، درست في جامعة مدريد المركزية، وتخرجت منها سنة ١٩٧٣، ونالت شهادة الدكتوراه عن موضوع "نشر ودراسة وترجمة المسند لابن مرزوق" قامت بتدريس اللغة العربية في كل من الجامعة المستقلة والمركزية بمدريد، فتدرجت في مناصب التدريس في جامعة مدريد، حتى أصبحت رئيسة قسم الدراسات العربية والإسلامية في كلية فقه اللغة على مدى سبع سنوات متوالية (ما بين سنتي ١٩٨٣ و ١٩٩٠) . ثم أعيد انتخابها من جديد رئيسة قسم، كما انتخبت عضوا في العديد من المؤسسات العلمية والثقافية، ومنها المجمع الملكي الأدبي في برشلونة والمجمع الملكي للعلوم والآداب والفنون في قرطبة، والمعهد الثقافي الإسباني العربي، وجمعية المستشرقين الإسبان منذ ١٩٦٨ والاتحاد الأوربي للمستشرقين والمشتغلين بالدراسات العربية منذ ١٩٧٤. والجمعية الإسبانية لدراسات العصور الوسطى منذ ١٩٨٢، وكانت من الأعضاء المؤسسين للجمعية الإسبانية للدراسات العربية منذ إنشائها سنة ١٩٩٣، وقد اعترفت المؤسسات الدولية بجهودها في ميدان الدراسات العربية، وهي الآن ما تزال تواصل مشروعها العلمي بثبات، وإصرار.

(انظركتاب ميشيل جحا " الدراسات العربية والإسلامية في أوربا"، ص: ١٦٣ وكتاب محمود علي مكي "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ٣٧ و٣٨.

[3] - **Viguera Molins, Maria Jes?s:" Met?foras ?rabes y greguer?as" *Estudios Isl?micos* . Vol.: XXVIII (1996) *Instituto Egipcio de* P?gs.:147-156.**

**وهكذا فإن علاقة غوميث بالعالم الإسلامي وصلاته بأفراده لم تنته بانتهاء رحلته التعلمية، بل استمرت طيلة حياته الطويلة، واتخذت هذه المرة وجهة أخرى فلم تعد رحلة تعلم وطلب التوسع في المعرفة العربية، بل أصبحت مرحلة تثاقف وعروض وندوات ومحاضرات وتمثيل دبلوماسي، حيث اتخذت تجليات متعددة تبعا لطبيعة الرحلات وغاياتها، إلا أن الجديد فيها هذه المرة هو النشاط الحيوي الكبير الذي تميزت به، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من رعاية وعناية بارزتين عند حكام هذه الدول ومثقفيها وعلمائها ودبلوماسييها.**

**ولم تكن أواصر المحبة والتقدير والعلاقة الحميمة والتعاون الثقافي التي تجمع بين غوميث والعالم الإسلامي والعربي تقف عند حدود مصر فقط. بل تعدتها إلى خلق تواصل شمولي كذلك مع باقي العواصم الأخرى المجاورة لمصر، إذ في ٢٨ دجمبر من سنة ١٩٤٨ وبقرار من رئاسة الجمهورية السورية؛ وباقتراح من وزارة التعليم الرسمي سَيُعَيَّنُ غوميث بدمشق عضوا مراسلا لهذه المؤسسة[١].**

**إلا أن مصر كانت لها مكانة خاصة في قلب غوميث وعقله، فقد ظل شديد الوفاء والامتنان لما قدمه هذا البلد إليه من ألوان العناية والرعاية، ولهذه كانت رهاناته الكبرى تهدف إلى خلق جسور التعاون والتواصل الثقافيين مع مصر بوجه خاص، مع البحث عن**

**أسس قوية راسخة لترجمة هذا التعاون والتواصل بين البلدين على أرض الواقع ليصبح حقيقة ملموسة بادية العيان؛ فكانت « أول خطوة في هذا الطريق تأسيس المعهد المصري للدراسات الإسلامية في سنة ١٩٥٠... ونحن نعلم أن مؤسس هذا المعهد كان طه حسين الذي كانت له نظرة مستقبلية، وأن أول فكرة لخلق مؤسسة على أرض إسبانيا تكون حلقة وصل بين ثقافة البحر الأبيض المتوسط وأوربا ولدت انطلاقا من المحدثات التي تمت بين غوميث وطه حسين بالقاهرة»[٢].**

---

**[1] - انظر:**

**- Valderrama Mart?nez, F. “Acto de Homenaje a Emilio Garc?a G?mez” p: 129.**

**[2] - Makki Mahm?d Ali " Emilio Garc?a G?mez. "EL Arabismo Espa?ol y el Hispanismo ?rabe" Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos.* Vol. : XXVIII Madrid (1996) p: 116.**

ومع انطلاقة هذا المعهد شارك غوميث إلى جانب أساتذة إسبان مشهورين ومعروفين بمحاضرة بمقر المعهد بمدريد يوم الاثنين ٢٥ فبراير١٩٥٢ بعنوان " الشعر العربي الأندلسي، خلاصة تاريخية موجزة "[١].

وهكذا ومنذ ١٩٥٤ قامت الحكومة الإسبانية بإنشاء المعهد الإسباني العربي للثقافة[٢] " Instituto Hispano-?rabe de Cultura" بمدريد الذي أصبح يسمى اليوم "معهد التعاون مع العالم العربي" Instituto de Coperaci?n con el Mundo ?rabe ، كان هذا المعهد تابعا لوزارة الشؤون الخارجية وأسندت إدارته لغوميث، فكان أول مدير له، ولكن لماذا بالضبط وقع الاختيار على غوميث لإدارة هذه المؤسسة الثقافية/السياسية؟

يقول محمود علي مكي مجيبا على هذا السؤال: « كانت العلاقات بين إسبانيا والعالم العربي منذ أواخر الأربعينات قد أصبحت أحد المحاور الرئيسية التي ترتكز عليها سياسة إسبانيا الخارجية، وخاصة إزاء العزلة التي كانت تعاني منها البلاد والحصار المفروض عليها سواء من جانب العالم الغربي أو من الكتلة الشرقية، ورأت الحكومة الإسبانية أن غرسية غومس [ غارثيا غوميث ] بحكم خبرته ومكانته هو خير من يستطيع تمثيلها في الحوار مع عالم العروبة، وفي هذا السياق أقدمت وزارة الخارجية الإسبانية في سنة ١٩٥٤ على إنشاء "المعهد الإسباني العربي" وكان من الطبيعي أن تسند إدارته إلى غرسية غومس [غارثيا غوميث] »[٣].

وهكذا يضاعف غوميث مساعيه التي ابتدأها في السابق فيرفع من وتيرة تعاونه مع العالم الإسلامي والعربي حيث يمنح أهمية كبرى لهذه العلاقات تاركا بها تأثيره الشخصي والمعرفي والثقافي والعلمي الذي لا ينكر، فما كان من هؤلاء العرب من سياسيين ومثقفين ورجال الفكر إلا أن قابلوا هذه الاهتمامات بنوع من العرفان بالجميل والرعاية والتشريف لصاحبها، ففي ٢٦ يناير من سنة ١٩٥٠

---

[1] - انظر:

- *Al-Andalus* (Noticias) Vol. XVII. Fasc: I (1952) p: 255.

[2] - حول نشأة وأهمية هذا المعهد انظر:

- ? greda. F. de: "Don Emilio Garc?a G?mez Director del Instituto" Revista *Awr?q* Vol.: XVII. (1996) P?gs.: 97-116.

[3] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ٢٠.

منحه عاهل المملكة الأردنية الهاشمية الملك عبد الله بن الحسين وسام الاستقلال من الدرجة الأولى[1].

ولكن ابتداء من شهر أبريل من نفس السنة ستعرف هذه العلاقة الجامعة بين إسبانيا وهذه الدول قفزة كبيرة إلى الإمام، بحيث ستأخذ طابعا رسميا وعلى مستوى عال من التمثيلية؛ فقد ترأس وزير الشؤون الخارجية الإسباني آنذاك السيد: ألبيرطو مارتين أرطاخو Mart?n Artajo زيارة رسمية للبلدان العربية مصطحبا معه غوميث لقيمته العلمية التي اكتسبها عند هذه البلدان، وباعتباره وجها مألوفا ومحترما لديها . والغرض من هذه الزيارة هو توثيق عرى الصداقة بين إسبانيا وهذه الدول، ومن بين بنود هذه العلاقة ربط الجسور الثقافية والسياسية والاقتصادية المتينة والقوية معها، وقد كانت هذه
المهمة ناجحة جدا وبكل المقاييس؛ ابتدأت من بيروت ثم عمان ودمشق وبغداد والرياض والقاهرة أيضا[2]. وكانت هذه الزيارات الرسمية ذات هدف مزدوج: ثقافي وسياسي؛ وكان غوميث في هذه الزيارات يشكل دائما عنصرا سياسيا في الوفد مستشارا أو مساعدا ثقافيا.

وأخيرا توجت جهود غوميث الإيجابية ومساعيه الحميدة لخلق جسور التواصل بمستوياتها المختلفة بين إسبانيا وهذه الدول توجت بتعيينه سفيرا لإسبانيا بالعراق بموجب قرار صادر عن الوزارة الخارجية الإسبانية بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٥٨. وبهذه المناسبة السعيدة أقيم احتفال بهيج على شرفه من قبل الطلبة العرب الذين كانوا وقتئذ يحضرون شهادة الدكتوراه بجامعة مدريد يوم ٢٥ يونيو بمقر العلاقات الثقافية[3].

## ٣- سفاراته في بعض الدول العربية والإسلامية:

كانت سنة ١٩٥٨ بداية تحول في مسيرة حياة إميليو غارثيا غوميث العملية المهنية من العمل الجامعي الأكاديمي إلى العمل الديبلوماسي السياسي، وهي مرحلة طويلة نسبيا، حينما ترك غوميث منصب الأستاذية بجامعة مدريد

---

[1] - انظر:

- **Valderrama Mart?nez, F. "Acto de Homenaje (Emilio Garc?a, G?mez.)" Revista *(I.E.E.I)* Madrid (1996) p: 130.**

**- *Al-Andalus* (Noticias) Vol. XV. Fasc: I. (1950) p: 259.**

[2] - **Ibid pags: 254-255.**

[3] - **Revista *Al-Andalus* (Noticias). Vol. XVI (1951) p: 502.**

**ليتحمل مسؤولية سفارة إسبانيا في بعض دول الشرق الأوسط والتي دامت إحدى عشرة سنة " ١٩٥٨ إلى ١٩٦٩" كانت غنية ومتنوعة وطريفة عبر ثلاث محطات مختلفة (بغداد – بيروت – أنقرة).**

**تعد إسبانيا الحديثة الوريث المباشر والحيوي لتراث وثقافة العرب المسلمين بالأندلس من دون شك ، نظرا لتوفر مكتباتها الكثيرة على مخطوطاتهما ومؤلفاتهما، وإميليو غارثيا غوميث أحد الدارسين المهتمين بهذا التراث في سعيه الدؤوب نحو ترجمته وإخراجه ودراسته خدمة لهدف مزدوج: أولا إضاءة مراحل معتمة من حضارة إسبانيا العصر الوسيط ثم ثانيا لفت انتباه المسلمين المعاصرين إلى مواطن التوهج والتفوق والنبوغ في تراثهم القديم المشرق الذي تركه هؤلاء المسلمون بالأندلس.**

**وتأسيسا على ذلك فإن أحسن وسيلة لخلق علاقة ديبلوماسية إيجابية مع هذه الدول العربية الإسلامية هي الانطلاق أولا من إبراز وإظهار هذا القاسم المشترك بين الأمتين: الإسلامية والإسبانية الذي يتجلى في هذا الماضي الحضاري لإسبانيا الإسلامية كما ذكرنا والذي حافظت عليه إسبانيا عبر عصورها المتعاقبة؛ حيث يصبح هذا التراث المشترك وسيلة فضلى لإسبانيا وأداة إيجابية لخلق مناخ سياسي واقتصادي من جهة ثانية؛ وبذلك تكون النتيجة الحتمية التي تنوي هذه المهمة الديبلوماسية لغوميث تحقيقها هي: إن إسبانيا بحكم كل ما سبقت الإشارة إليه أقرب إلى العرب من انجلترا وأمريكا في خلق جسور علاقات متينة وشاملة على جميع المستويات (سياسية، ثقافية، اقتصادية، علمية...).**

**وقد أكد غوميث نفسه هذا الرأي حين قال عن سفارته بلبنان: "الدور السياسي لسفير إسباني بلبنان سهل بما فيه الكفاية، إذ في الواقع يمكن إيجاد قرابة لافتة للنظر بين شريحتين من السكان اللبنانيين: مع المسيحيين من خلال السياسة الغربية الحالية ومن وحدة الإيمان، ومع المسلمين من خلال استثمارنا لحصيلة تاريخنا المشترك للعصور الوسطى..."[1].**

---

**[1] - Villanueva Ram?n: "Perfil y Andaluzas diplom?ticas del embajador E.G.G (Homenaje al profesor E.G.G) Revista *Awr?q* vol.XVII (1996) p.142**

## أ. غوميث سفيرا لأسبانيا ببغداد: (١٩٥٨ – ١٩٦٠).

في يوم ١٣ يوليوز من سنة ١٩٥٨ أي في اليوم السابق على الثورة (ثورة ١٤ يوليوز) وصل غوميث إلى العراق بساعات متأخرة من النهار.

يلخص غوميث السفير الجديد الانطباعات الأولى لوصوله إلى بغداد قائلا:"في محطة القطار كان ينتظرنا الرئيس الثاني للبروتوكولات والمراسيم والتشريفات الموظف في السفارة....تناولنا العشاء تلك الليلة في ناد في هدوء تام، وحتى عند الساعة الحادية عشر ليلا كان الوضع عاديا، وفي الساعة السابعة صباحا من اليوم الموالي دخلنا في الأحداث، وبدأنا نعيش المأساة "[١].

كانت أحلام السفير الجديد في ليلته الأولى ببغداد قصيرة جدا، ففي الصباح الباكر من يوم ١٤ يوليوز من سنة ١٩٥٨ أصبحت شوارع بغداد الكبرى جاهزة لحلبة السباق اللانهائي للمدرعات والدبابات الضخمة التي كانت تجوب الشوارع ، محدثة دويا وضجيجا عاليين[٢].

بمثل هذه الأنباء من الحجم الكبير استيقظ على أصدائها السفير الجديد على الساعة السابعة صباحا يوم ١٤ يوليوز ١٩٥٨.

كانت الأحداث تتلاحق أيضا بشكل سريع ومفاجئ بالنسبة إلى غوميث، والتزود بالمعلومات حول ما يجري بالبلاد عامة وببغداد خاصة لا يمكن التوصل بها بسهولة؛ كما أنه لم تكن هناك قنوات إعلامية كافية للتزود بالأخبار[٣].

قُتِلَ الملك فيصل الثاني وولي عهده الأمير عبد الله، فأعلنت القيادة العسكرية العليا للانقلاب[٤] عن حل الاتحاد العربي ( بغداد/عمان ) وسقوط الملكية ، وقيام الجمهورية العراقية. وعلى إثر نجاح الانقلاب تألف مجلس برئاسة الفريق

---

Ibid: p: 162 - [1]

Ibid. p: 162 - [2]

Ibid: p.162.- [3]

[4] - هو الانقلاب العسكري في العراق الذي قضى على النظام الملكي، وأعلن النظام الجمهوري. ففي ١٤ يوليوز ١٩٥٨ قام لفيف من الضباط العراقيين بحركة ثورية لقي فيها الملك فيصل الثاني وولي عهده الأمير عبد الله ورئيس وزرائه نوري السعيد (١٨٨٨ – ١٩٥٨) حتفهم، وعلى إثر نجاح الانقلاب تألف مجلس سيادة برئاسة الفريق نجيب الربيعي، وحكومة جديدة برئاسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، وانسحب العراق من الاتحاد الهاشمي (العراق – الأردن) واعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالجمهورية العراقية الجديدة، ثم تلا ذلك اعتراف بقية الدول.

**نجيب الربيعي، ورئاسة الجمهورية للزعيم الأول الركن عبد الكريم قاسم[١] الذي كان المخطِط الفعلي لكل ذلك. رَأسُ نوري السعيد[٢] حسب تصريح راديو بغداد كان يساوي عشرة آلاف دينار عراقي؛ جميع الوزراء اعتقلوا باستثناء من كانوا قبل الانقلاب بأنقرة في مهمة رسمية.**

**كان يوم ١٥ يوليوز الاستيقاظ الثاني للسفير غوميث ببغداد؛ استأنف حياة السفارة الجديدة، بعد ذلك وفي منتصف النهار عرف أن كثيرا من الشخصيات الهامة في مختلف مناطق البلاد استسلمت ومنها من مات ومنها من اختفى مع نوري السعيد، إلا أن اختفاء نوري السعيد لم يطل كثيرا فقد عثر على جثته في اليوم نفسه بشوارع بغداد[٣].**

**وهكذا فبموت نوري السعيد الرجل القوي في مرحلة الملكية أصبح واضحا أن النظام الملكي قد سقط وانتهى بشكل نهائي وبلا رجعة ، وأن الأستاذ السفير الجديد غوميث لا يمكنه تقديم أوراق اعتماده كسفير لإسبانيا أمام الاتحاد العربي الذي انتهى.**

**المعاناة وسوء الطالع اللذان لازما غوميث في سفارته الأولى ببغداد لم يقفا عند هذا الحد، بل تماديا في تعنتهما وإصرارهما على ملاحقته بالأذى والأوصاب**

---

**[1] - زعيم عراقي (١٩١٤ – ١٩٦٣)، شغل وظائف كثيرة بالجيش والتحق بكلية الأركان سنة ١٩٤٠، قاد ثورة الجيش العراقية (١٤ يوليوز ١٩٥٨)، تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة ورئيس مجلس الوزراء، ألفت حكومته النظام الملكي، وأعلنت الجمهورية وتسلمت القواعد الحربية البريطانية، رقي إلى رتبة الفريق بتاريخ (يناير ١٩٦٣). أعدم رميا بالرصاص في أعقاب الثورة العسكرية بتاريخ (٨ فبراير ١٩٦٣) مع مجموعة من أعوانه. وكانت هذه هي الثورة العسكرية الثانية في التاريخ المعاصر لبلاد العراق. (انظر "الموسوعة العربية الميسرة، ص: ١١٨٤).**

**[2] - نوري السعيد عسكري وسياسي عراقي، ولد ببغداد عام ١٨٨٨، وكان أبوه تاجرا، التحق بالمدرسة العربية ببغداد ثم بالكلية العسكرية بإستانبول، وتخرج عام ١٩٠٦، والتحق بالجيش العثماني وتدرج في الرتب العسكرية، عقد صلته بالأمير فيصل منذ دخوله دمشق عام ١٩١٨ لحين وفاته ملكا على العراق، فصحبه إلى مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩ بعد أن رقاه إلى رتبة اللواء. وبدخول فيصل العراق عينه رئيسا لأركان الجيش العراقي عام ١٩٢٠، ثم وزيرا للدفاع عام ١٩٢٣، انتخب عضوا بمجلس النواب ثم عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣٠. ألف نوري السعيد الحكومة العراقية ست مرات كان أولها سنة ١٩٣٠، وأثناء قيام ثورة ١٤ يوليوز ١٩٥٨ قتل مع الملك فيصل الثاني وولي عهده الأمير عبد الله (انظرالقاموس السياسي وضع أحمد عطية الله. الطبعة ٣ سنة ١٩٦٨ عن دار النهضة العربية بالقاهرة. ص: ١٣١٤ وص: ١٣١٥).**

**[3] - Ibid. P: 165.**

وبكل ألوانهما، فبعد عشرة أيام من الانقلاب تعرضت السفارة لكارثة خطيرة غير متوقعة ناجمة عن حريق مهول في بعض مستودعات الوقود والمحروقات بسبب درجات الحرارة المرتفعة التي شهدتها بغداد في ذلك الصيف المشؤوم في حياة السفير؛ ومن سوء الحظ أن الحريق لم يكن يبعد كثيرا عن السفارة، وبالقرب من حي أغلب سكانه من المسيحيين، وككل الأشياء السيئة التي كانت تحدث بسرعة في تلك الأيام عادت مرة أخرى القوات العسكرية العراقية لتطويق الشوارع والأحياء المجاورة للمنطقة التي وقع فيها الحادث؛ معتقدة أنه من تدبير فاعل، وأخذت تظهر من جديد حشود من الناس تجري في شوارع العاصمة، فأحدث ذلك سحابة سوداء كبيرة غطت المدينة؛ ولولا إخماد النيران لكان مصير السفارة بكل مؤسساتها الاندثار[1].

بعد هذا الحادث الخطير الذي كاد أن يودي بكل شيء أصبح السفير يعيش حالة من الاضطراب الشديد والمزاج العكر، وبنفسية منكسرة محبطة حيث أمضى بعد ذلك ليلتين معا دون أن يذوق طعم النوم، ويذكر **Villanueva** أنه لم ير غوميث قط في حياته بمثل تلك الحالة المزرية التي وصل إليها السفير من الشكوى والمعاناة، فقد انهار النظام الملكي الذي كان سيقدم إليهما أوراق اعتماده، كما أنه كان قاب قوسين أو أدنى من فقدان جميع البنايات التي تشكل الوجود المادي للديبلوماسية الإسبانية ببغداد[2].

الحقيقة رغم أن المراسلات التي كانت تُبْعَث من بغداد إلى إسبانيا كان يقوم بها كتاب ومحررو السفارة ضمن مهامهم الإدارية ، إلا أن هناك عددا كبيرا من تلك المراسلات والبرقيات كان غوميث هو الذي يسهر على صياغتها وكتابتها بنفسه، فأضحت بفضل ذلك مادة أدبية وسياسية غنية بالدلالات ، عميقة بالمضامين والأبعاد، فهي بذلك تؤلف صفحات إخبارية وأدبية للأحداث التي عاشها غوميث ببغداد أولا ثم بلبنان وأنقرة ثانيا بتفصيل مسهب يوما بعد يوم، فكانت بذلك تؤدي وظيفتين أساسيتين الأولى مباشرة إبلاغية والثانية غير مباشرة بلاغية.

ولهذا جاءت هذه الرسائل مفعمة بالمعطيات ، دالة على مواقف السفير من كل الأحداث التي شهدها العراق وغيره، يقول غوميث عن أهمية هذه المراسلات "....وخلال

---

**Ibid. P: 168.-** [1]
**Ibid. P: 168.-** [2]

فترة عملي في الحقل الديبلوماسي أنتجت الكثير، وتركت ورائي الكثير من الوثائق وسلسلة من الرسائل مع وزير خارجية إسبانيا لا أريد نشرها لأنني لا أهتم بالسياسة المعاصرة ولكنني قد أقوم بنشرها يوما ما، حيث ستكون فيها فائدة"[١].

بعد هذه الظروف القاسية والصراع الخفي على السلطة بالعراق فإنه لا يمكن أن يفاجأ الرأي العام في العراق بالاعتداء على عبد الكريم الذي حدث بعد أسابيع قليلة في ٨ أكتوبر بحي الرشيد المركزي ببغداد حيث قتل سائقه الخاص وأنقدت حياته بأعجوبة لأنه كان حينها يرتدي لباسا واقيا ضد الرصاص، الحادث نسب إلى البعثيين " حزب البعث" وبعد ذلك بوقت طويل عرف من نفذ هذه المحاولة ، فكان صدام حسين واحدا منهم ، وربما كان الوحيد الذي لم يتم القبض عليه؛ لكنه جرح وكان وقتئذ لا يزال شابا وغير معروف[٢].

كان غوميث يتنبأ بالنهاية المأساوية التي كانت تنتظر عبد الكريم قاسم قبل وقوعها بثلاث سنوات؛ فبالرغم من الاستقرار النسبي الذي شهدته العراق بعد الانقلاب؛ ورغم اعتباره من قبل العراقيين لغزا وداهية في تسييره لدواليب الحكم والرئاسة بالعراق؛ فإن سياسته كان يشوبها الكثير من الخلل والنقص والعيوب، ولكن لكل بداية ونهاية ونهاية حكم عبد الكريم قاسم كانت نهاية مأساوية، وهكذا ففي ١٤ رمضان ١٣٨٣ الموافق ٨ فبراير ١٩٦٣[٣] قام الانقلاب العراقي الثاني بزعامة الركن عبد السلام عارف « ونجحت الثورة في القضاء على حكم عبد الكريم قاسم الذي قدم للمحاكمة مع المهداوي الذي كان رئيسا للمحكمة العسكرية؛ وحكم عليهما بالإعدام في اليوم التالي ٩ فبراير»[٤].

---

[1]- انظرالحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث، نشرته مجلة "الوحدة" الرباط، المغرب. ع: ٦٢/٦١ اكتوبر / نوفمبر سنة ١٩٨٩، ص: ١٧٠.

[2] - villanueva, Ram?n. “La primera embajada del profesor E.G.G”. Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos.* p: 178

[3] - هي الثورة العراقية الثانية التي تلت ثورة ١٤ يوليوز ١٩٥٨ التي قامت لتقويم الانحراف الذي تردت إليه ثورة ١٤ يوليوز. قاد ثورة ١٨ فبراير الزعيم الركن (المشير) عبد السلام عارف، ونجحت الثورة في القضاء على حكم عبد الكريم قاسم الذي قدم للمحاكمة مع المهداوي الذي كان رئيسا للمحكمة العسكرية، وحكم عليهما بالإعدام في اليوم التالي (١٩ فبراير) انظر كتاب "القاموس السياسي" ص: ٣٥٧-٣٥٨).

[4] - أحمد عطية الله: القاموس السياسي ط ٣ سنة ١٩٦٨ عن دار النهضة العربية ص: ٣٥٧.

## ب - غوميث سفيرا لإسبانيا ببيروت (١٩٦٠- ١٩٦٢).

ابتدأت السفارة الثانية لغوميث في الشرق الأوسط (لبنان) في ظروف حسنة وعادية، ففي بيروت لم يلق هذه المرة في طريقه جحيما أو حياة مفزعة أو انقلابا أو انفجارا أو معاناة لا حد لها، بل هيأت له هذه السفارة سبلا من الطمأنينة والاستقرار النفسي الجيد، ووفرت له انفتاحا كبيرا على المشهد الثقافي اللبناني والتيارات الفكرية والعلمية التي كانت تعج بها بيروت، فخلق تعاونا ثقافيا قويا مع الجامعات اللبنانية خصوصا الجامعة الأمريكية، كما كانت له أيضا علاقات طيبة وثيقة برئيس الجامعة الفرنسية ببيروت آنذاك السيد: فؤاد البستاني؛ هيأت له مناسبات ذهبية لإعطاء العديد من المحاضرات في الجامعة اللبنانية ببيروت، وقد تحدث غوميث في رسائله التي كان يرسلها
إلى الوزير ـ كما ذكرناـ عن الحياة الجامعية والثقافية والتيارات الفكرية والفنية التي كانت تشهدها لبنان وقتئذ ، مع ما كان يعرفه فضاء النشر من إصدارات للمجلات والكتب العديدة التي تهتم بشتى فنون المعرفة وألوان الإبداع؛ وقد ميز في هذه الحياة الفكرية بين منزعين اثنين لا يمكن التوفيق أو الجمع بينهما، هما: منزع التقليديين ومنزع المجددين حيث كانت لهؤلاء المجددين أهمية كبرى، خصوصا الذين اهتموا بمجال الشعر العربي الحديث التي كانت مجلة(شعر) البيروتية المشهورة منبرا لأصواتهم؛ تحتضن إبداعاتهم باستمرار[1].

وقد أظهر غوميث للعيان باعه الطويل في إثراء المشهد الثقافي ببيروت بماله من خبرة وتراكم كبيرين، حيث تعاون أيضا مع بعض الإصدارات كمجلة (الشرق الأدبي) "*Orient litteraire*" وكانت مجلة فرنسية خالصة، ولكنها – حسب غوميث- لها صدى واسع في لبنان، كما ساهم بتجربته المهمة في أنشطة كثير من المراكز الثقافية الفرنسية والإيطالية[2].

فحوّل ذلك الركود الذي عاشه في سفارته ببغداد إلى خلق دائم وابتكار مستمر سواء بالعروض والمحاضرات العلمية أو بكتابة المقالات، فكانت مرحلة لبنان خصبة ثرية في حياة غوميث العلمية.

---

1 - Villanueva. Ram?n. "Perfil y Andaluzas deplomaticas del embajador (E.G.G) homenaje al profesor E.G.G Revista *Awr?q.* Vol. XVII. (1996) p: 139.

2 - Ibid p: 139.

إلى جانب ذلك تابع عن قرب الأنشطة الثقافية والعلمية التي كان يقوم بها المركز الثقافي الإسباني ببيروت[1].

ولكن ما هي الأشياء التي يستطيع المتتبع لمسيرة غوميث في هذه المرحلة أن يلحظها على مستوى الحياة الاجتماعية ببيروت؟

نسجل منذ البداية أن السفير عرف في لبنان حياة اجتماعية لامعة جدا فيها من الترف والنعم وفرص العيش الرغيد الشيء الكثير، فلم يجد ببيروت إقامة أو مسكنا عاديا، بل وجد قصرا فاخرا ، فيه ترف ويسر، كان هذا القصر للأمير فريد شهاب المدير القديم للأمن مع شمعون، ثم كان بعد ذلك سفيرا بغانا وبتونس، الذي قال عنه غوميث: «إنه من الشخصيات البيروتية البارزة»[2].

كما نسجل أيضا أن غوميث عرف في خضم ذلك علاقات ديبلوماسية واجتماعية مهمة خصوصا مع رئيس الدولة حينها الجنرال شهاب[3]، ووزارئه، وباقي طبقات المجتمع اللبناني الراقية، والسلك الديبلوماسي المعتمد ببيروت إذ جرت العادة في لبنان أن السفراء المعتمدين ببيروت يستدعون مرات عدة إلى الحفلات الرسمية الكبرى التي كانت تنظم بشكل راق وممتع جدا تدل على ذوق وحضارة عظيمين.

كان السفير غوميث يحضر ويشارك في كثير من المراسيم والحفلات التي كانت تقام ببيروت حينها التي يحضرها كبار المسؤولين كالوزراء ورجال السياسة والأعيان والسفراء الأجانب المعتمدين ببيروت، والطبقات الأرستقراطية اللبنانية والشخصيات في عالم الفكر والثقافة والفن[4].

وربما أبرز ما كان يميز المجتمع اللبناني في هذه المرحلة التي كان غوميث فيها سفيرا بلبنان هو سيادة روح التعايش الإثني الديني بين كافة الأقليات التي تشكل نسيج المجتمع اللبناني ، ويرجع الفضل في تحقيق ذلك - كما يذكرVillanueva - إلى الرجل الأول في لبنان آنذاك الجنرال شهاب الذي كان محور السياسة الداخلية للبنان في الوقت الذي وصل إليها غوميث، يقول عنه Villanueva « بأنه عمل بشكل ذكي على ترسيخ حب لبنان في أذهان غير

---

[1] - Ibid p: 139.

[2] - Villanueva. Ram?n: "Perfil y Andaluzas deplomaticas del embajador (E.G.G) homenaje al profesor E.G.G" *Awr?q p*: 140.

[3] - هو الأمير فؤاد شهاب ولد في غزير بلبنان سنة ١٩٠٢/ قائد الجيش اللبناني سنة ١٩٤٥، ورئيس الجمهورية اللبنانية (١٩٥٨-١٩٦٤) توفي ١٩٧٣.

[4] - Ibid p: 140.

المسيحيين، كما كان إكسابه للمجموعات الإسلامية إلى صفه وعملها إلى جانبه هدف مخطط عمله الاقتصادي والاجتماعي.

كان يبحث دائما ليس فقط عن الازدهار والرخاء للجميع مع النهوض بمستوى حياة اللبنانيين، وإنما أيضا كان طموحه السياسي أن يجمع كل هذه الفسيفساء من الطوائف اللبنانية؛ ويجعلها تنصهر بوتقة واحدة متجانسة وأن يحس الجميع بأنهم شعب واحد لوطن واحد هو لبنان. كان ينادي دائما بأن مشاكل الدول العربية ينبغي أن تحل من قِبَلِ العرب أنفسهم»[1] بدون تدخل قوى أجنبية غريبة عن المنطقة.

وضعية غوميث الديبلوماسية كسفير لإسبانيا بلبنان والتسهيلات الكثيرة التي قدمت إليه للقيام بمهمته خير قيام يلخصها هو بنفسه في إطار تقييمه لحصيلة هذه المرحلة يقول:

« الدور السياسي لسفير إسباني بلبنان سهل بما فيه الكفاية، إذ في الواقع يمكن إيجاد قرابة لافتة للنظر بين شريحتين من السكان اللبنانيين: مع المسيحيين من خلال السياسة الغربية الحالية ومن وحدة الإيمان، ومع المسلمين من خلال استثمارنا لحصيلة تاريخنا المشترك للعصور الوسطى...»[2].

إن وظيفة غوميث كسفير هيأت له سبل الاتصال والالتقاء باستمرار بكثير من رجال السياسة اللبنانيين وربط علاقات متينة قوية معهم مثل: رشيد كرامي ووزير الخارجية اللبناني آنذاك السيد فيليبي تاكلا **Philippe Takla** وأيضا مع السياسي البارز نائب الرئيس الشيعي لغرفة مجلس النواب السيد كاظم الصلح[3].

إن سفارة إميليو غارثيا غوميث بلبنان كانت مثمرة وإيجابية إلى حد كبير على مستويات عدة: سياسية واقتصادية وثقافية... فقد ودع غوميث لبنان في الأيام الأخيرة لسفارته بها بمحاضرتين: الأولى ألقاها بالجامعة الأمريكية حول موضوع "لويس ماسينيون" الذي توفي في تلك الأيام. والثانية كانت متميزة في طريقة تنظيمها ألقاها بكلية الآداب الفرنسية، حيث كانت ترافقه بالعزف على البيانو (البيان) الأستاذة: ديانا تقي الدين أثناء إلقائه لمحاضرته التي كان موضوعها "استذكار الأندلس من خلال ماتشادو وألبنيث"[4]. وكانت برعاية الشبيبة الموسيقية بلبنان، وبعد نخب عشاء الوداع بالسفارة الفرنسية ببيروت قال السفير غوميث

---

[1] - Ibid. p: 141.
[2] - Ibid p: 142.
[3] - Ibid p: 143.
[4] - Ibid p: 144.

كلمة مقتضبة ومؤثرة وبليغة جدا في حق هذا البلد الجميل: ( لبنان جنة ولكنها ذات أشجار تفاح كثيرة )[١]. وهكذا انتهت سفارة غوميث بلبنان في ٧ دجنبر من سنة ١٩٦٢ ليصبح بعدها سفيرا رسميا لبلاده بتركيا.

## ج - غوميث سفيرا لإسبانيا بأنقرة (١٩٦٢- ١٩٦٩).

قدم غوميث أوراق اعتماده إلى رئيس الجمهورية التركية وقتئذ الجنرال جمال غورسيل[٢](١٨٩٥-١٩٦٦) بتاريخ ٢١-١٢-١٩٦٢، ومع بداية سنة ١٩٦٣ بدأ السفير غوميث يكوِّن معلوماته ويجمع الحقائق عن الوضعية السياسية والاقتصادية والثقافية لتركيا الحديثة، فانتهى إلى تكوين تصور راسخ أن المنطقة برمتها كانت تغلي فوق فوهة بركان، إذ لم تكن منطقة سلام واستقرار سياسيين. فكان العراق وتركيا يعيشان صراعات سياسية داخلية كبيرة، ويشهدان سلسلة من الانقلابات والانقلابات المضادة، وهذه الوضعية الصعبة كانت تضاعف من مهمة السفراء إن لم تجعلها صعبة للغاية، فتوصل أيضا إلى استنتاج هو أن تركيا الحديثة تعيش أوضاعا غير مستقرة حينها؛ وأن الائتلاف الحكومي الذي كان يتزعمه السياسي الشيخ عصمت إينونو[٣] إنما هو محاولة جاهدة للخروج من المشاكل الخانقة التي تشهدها تركيا والبحث عن الحلول الناجعة للخروج بالبلاد من هذه الوضعية الصعبة التي لا تطاق، إذ كان من نتائج الانهيار الاقتصادي وتسلط الحزب

---

[1] - Ibid p:١٤٤

[2] - جمال غورسيل (١٨٩٥-١٩٦٦) رئيس جمهورية تركيا، ولد بالأناضول، تخرج في الكلية الحربية بإستانبول، شارك في الحرب العالمية الأولى في معارك الدردنيل وفلسطين وفي حرب الاستقلال بقيادة مصطفى كمال ضد اليونانيين، تولى مناصب عسكرية كثيرة أهمها قيادة فرقة، عين قائدا عاما للقوات البرية، ترك الخدمة العاملة في أبريل ١٩٦٠ احتجاجا على حكومة عدنان مندريس لاستخدامها الجيش في تحقيق أغراضها السياسية. قام على رأس انقلاب عسكري في ٢٧ ماي ١٩٦٠ وتولى السلطة بعد اعتقال على ئيس الجمهورية جلال بايار وعدنان مندريس (انظر " الموسوعة العربية الميسرة" ص: ٦٦٣).

[3] - عصمت إينونو عسكري وسياسي تركي، ولد بأزمير عام ١٨٨٤ درس بالمدرسة الحربية وكلية المدفعية بإسطانبول، تقلب في المناصب العسكرية وعمل في البلقان والأناضول، انضم إلى حركة التحرير بزعامة مصطفى كمال وانتصر على اليونان في معركة إينونو الحاسمة ١٩٢٢، فمن ثم حمل هذا اللقب، تولى رئاسة الجمهورية خلفا لكمال أتاتورك عام ١٩٣٨ (كما تولى رئاسة حزب الشعب ١٩٣٩)، أعيد انتخابه ١٩٤٣ و١٩٤٦، ثم خلفه جلال بايار ١٩٥٠ ثم تولى برئاسة الوزارة بعد انقلاب غورسيل عام ١٩٦١ وخلفه خيري أورغويولو، وإينونو مؤلف عدة كتب وله مجموعات خطب مطبوعة وهو أستاذ علم أصول السياسة في جامعة أنقرة ("القاموس السياسي: ص ١٦٩).

الواحد أن عمت الاضطرابات خلال سنة ١٩٦٠ التي انتهت بانقلاب عسكري في ٢٧ ماي ١٩٦٠ بزعامة الجنرال جمال غورسيل الذي أزاح حكومة عدنان مندريس[١] وقدمه مع رئيس الجمهورية جلال بايار إلى المحاكمة. هذا الانقلاب الذي اعتبره بعض المفكرين الأتراك بمثابة إعلان للجمهورية التركية الثانية.

وبعد الانقلاب الفاشل الذي قام به الكولونيل المتطرف أيديمير Aydimir أكمل غوميث تصوره عن تركيا معتبرا أن أمر تقدمها أو تأخرها يكمن في الخروج الذي لا مفر منه من تأثير وفتنة النموذج الأتاتوركي، لبناء تركيا أكثر ديمقراطية وانفتاحية على العالم[٢].

نؤسس في ضوء هذه المعطيات أن هذه الآراء والمواقف السياسية التي بلورها السفيرغوميث عن دول هذه المنطقة لم تكن تصورات صادرة عن إنسان عاد بسيط، أو معبرة عن رؤية ارتجالية اعتباطية انفعالية ، وإنما كانت تحمل دلالات عميقة متأنية من رجل خابر للحياة الإنسانية في عمومها؛ ورجل دارس للتاريخ القديم وللحضارات الإنسانية القديمة وسبل تقدمها وازدهارها أو تأخرها واندثارها، فكانت له نظرات وإرهاصات مهمة حول مآل هذه السياسات غير المستقرة في دول الشرق الأوسط آنذاك. فكان يتنبأ بالأحداث قبل وقوعها لحسه العميق الثاقب.

كان يراقب عن كثب التطورات المهمة التي تشهدها تركيا الحديثة، وهي تبني حضورها الفعلي في العالم الحديث، حيث كانت الرغبة كبيرة لدى الحكومات التركية المتعاقبة في الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة منذ ذلك الوقت، ولكن هذه الرغبة كانت تتعثر وتصطدم بنفس العراقيل القائمة من زمن غير قريب وهي: النمو الاقتصادي غير المتكافئ أو المتساوي مع باقي الدول الأوروبية المنضوية في

---

[1] - مندريس عدنان (١٨٩٩-١٩٦١) رئيس وزراء تركيا منذ سنة ١٩٥٠ أبعد عن الحكم سنة ١٩٦٠ بالانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال جمال جورسيل. سجن مع غيره من الزعماء السياسيين المطرودين بجزيرة في بحر مرمرة، ثم قدم للمحاكمة بتهمة تعطيل الدستور التركي وتأليفه حكومة الحزب الواحد، كما اتهم بتقييد حرية الصحافة وامتهان الحقوق الإنسانية ومحاولة القضاء على البرلمان بقصد الإبقاء على حزبه في الحكم، نفذ فيه حكم الموت في ١٧ دجنبر ١٩٦١. ("الموسوعة العربية الميسرة" ص: ١٧٥٠).

[2] - Villanueva, R.: “perfil y Andaluzas diplom?ticas del embajador E.G.G (Homenaje al profesor E.G.G) *Awr?q* p: 146

السوق، وأن المجتمع التركي بعيد تاريخيا وثقافيا عن أوروبا المسيحية ثم أخيرا مشاكل احترام حقوق الإنسان والديمقراطية والعداوة مع اليونان[1].

كان لدى السفير غوميث أيضا فرصة ووقت كافيان لحضور الانتصار الجديد لديميريل[2] في انتخابات أكتوبر سنة ١٩٦٩ أمام الأحزاب الأخرى المشاركة كالحزب الإسلامي بزعامة نجم الدين أربكان والحزب القديم لأتاتورك وعصمت إينونو، ومعنى هذا انتصار للتعبير ولمؤسساته، ولكن كل هذه الأحداث السياسية المتطورة التي ستعرفها تركيا ستكون غير ذات جدوى إذا لم يصاحبها تحول جذري في البنية الاقتصادية للبلاد التي كانت تعرف تدهورا وتخلفا نسبيين، لا شك أن كل ذلك دفع بالسفير إلى صياغة تصور يتسم بنوع من الموضوعية حول الوضعية الاقتصادية قائلا: « إذا كانت الامبراطورية العثمانية هي الرجل المريض لأوروبا فإن تركيا ما بعد أتاتورك أصبحت الرجل المريض اقتصاديا«[3]

ولكن كيف كانت العلاقة الإسبانية/ التركية في سياق هذه التحولات التي كانت تشهدها تركيا؟

العلاقة الإسبانية/ التركية لم تخضع لجميع هذه العراقيل الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها البلاد وقتئذ؛ بل كانت جيدة وطيبة إلى حد كبير قبل مجيئ غوميث وفي عهده أيضا؛ كل ذلك نسج علاقات يسودها التعاون المشترك بين البلدين كانت أهمها تلك التي كانت تجمع بين غوميث وإركين **Erkin** وزير الخارجية في حكومة عصمت إينونو الذي غمر غوميث بكل أنواع اللطف والمجاملة وكرم الضيافة وحسن الوفادة، فكان عليه ضيفا مكرما معززا هو وزوجته السيدة: ماريا لوسيا **Maria Luisa** بشكل لافت؛ يدعو إلى الإعجاب والاهتمام بالمستوى

---

[1] - **Ibid p: 149.**

[2] - هو سليمان ديميريل سياسي تركي، رئيس وزاء الجمهورية التركية، ولد عام ١٩٢٤، ودرس الهندسة بإستانبول وتخصص في الهندسة الكهربائية- وتقلب في عدة وظائف فنية منها رئيس قسم الدراسات الكهربائية بأنقرة (١٩٥٢-٥٠)، ورئيس مصلحة الكهرباء، ومدير مصلحة السدود والمياه، حصل على منحة إيزنهاور للتدريب بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٥، انصرف على السياسة عام ١٩٦٠ وتولى رئاسة حزب العدالة واشترك في وزارة أورغوبلو الائتلافية، ثم تولى رئاسة الحكومة في ٢٧ أكتوبر ١٩٦٥ بعد أن حصل حزبه لأول مرة على الأغلبية، وهي أول حكومة يؤلفها حزب واحد بعد انقلاب غورسيل ( انظر "القاموس السياسي" ص: ٥٤٥).

[3] . **Villanueva, R. "perfil y Andaluzas diplomaticas del embajador E.G.G" (Homenaje al profesor E.G.G)** ***Awr?q*** **p: 151**

الذي وصل إليه السفير بتركيا وبالمستوى الرفيع من العلاقات التي كانت تجمع بين الرجلين[1].

وخلال سنة ١٩٦٩ سيصبح غوميث عميدا للسلك الديبلوماسي، هذا التشريف السياسي الذي ناله غوميث لم يدركه أي سفير إسباني طيلة عشرين سنة من هذا التاريخ[2].

كانت سفارة غوميث بأنقرة مؤثرة وفعالة وإيجابية . وفي أكتوبر سنة ١٩٦٩ توقف الوزير كاستيا Castiella عن ممارسة مهامه في تحمل أعباء الوزارة الخارجية، غوميث الذي كان يعتبر بأنه سفير Castiella بسبب الثقة الاستثنائية التي كانت بينهما، قدم هو أيضا استقالته. وفي بداية سنة ١٩٧٠ استأنف غوميث مهمته العلمية بجامعة مدريد، فاستعاد نشاطه العلمي وحيويته الجامعية المعتادة وانتهت بذلك سنوات العمل الديبلوماسي في حياته بالشرق العربي الإسلامي.

بقي كنهاية لهذا المهمة اعتماده كمفوض غير مقيم بكابول عاصمة أفغانستان، خلال مدة السفارات الثلاث التي تحمل غوميث مسؤوليتها ، فكانت في الأصل تمثيلية هذه السفارة بأفغانستان تسند إلى السفير الإسباني ببغداد. بمعنى أن السفير الإسباني ببغداد هو نفسه الذي يقوم بتمثيل بلاده بكابول أيضا، يرعى شؤونها هناك، ولكنه يقيم ببغداد.

فكانت رحلة غوميث الأولى إلى أفغانستان من أجل تقديم أوراق اعتماده إلى ملك البلاد آنذاك: محمد ظافر شاه، و تمت مراسيم الاستقبال بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ بالعاصمة كابول...[3]

وآخر مسعى قام به غوميث أمام الحكومة الأفغانية كان عن المفاوضات للرفع من مستوى التمثيل الديبلوماسي الإسباني بكابول إلى مرتبة سفير، وهذا المطلب سيسعى إلى تحقيقه خلفاؤه[4].

وهكذا وعند انتهاء سفارته بأنقرة تمت مهمته أيضا بكابول مباشرة.

ولكن في سياق إيرادنا لهذه الحقائق والمعطيات المتعلقة بمرحلة سفارة غوميث بهذه الدول العربية والإسلامية نسارع إلى التساؤل: هذا النجاح الديبلوماسي الذي حققه غوميث كسفير هل قابله نجاح آخر على مستوى الإبداع

---

1 - Ibid p: 153.

2 - Ibid.p.154.

3 - Villanueva, R.: "Perfil y Andanzas diplom?ticas del embajador E.G.G. p: 155.

4 - Ibid p: 157.

والتأليف طيلة هذه السنوات الديبلوماسية أم كان هناك تراخ وفتور بسبب انشغاله بمهامه الجديدة على حساب الآداب والبحث العلمي؟

في الواقع إن مهمة غوميث في التزامه كسفير لبلده لم تقعده عن الإبداع والكتابة والبحث، ومواصلة الاحتكاك بالنصوص الجديدة بلا توقف أو انقطاع، وأعماله المنجزة في هذه المرحلة شاهدة على ذلك. حقيقة أن أعماله وأبحاثه الصادرة بالمجلات والصحف المتخصصة التي كان ينشرها بنسبة هامة قد تقلصت بشكل بين، لكن يختلف الأمر بالنسبة للكتب والمؤلفات إذ لا يمكننا أن ننسى أن طبعته النهائية لموضوع الخرجات رأت النور سنة ١٩٦٥ أي بعد سبع سنوات من سفارته نضيف أيضا أنه بعد سنتين من ذلك في سنة ١٩٦٧ نشر كتابا ضخما بعنوان "الخليفة القرطبي من خلال "المقتبس" لابن حيان، الحوليات البلاطية في عهد القرطبي الحكم الثاني حسب نص لعيسى ابن أحمد الرازي.

وفي سنة ١٩٦٨ ظهرت له في ثلاث مجلات علمية مختلفة مقالات عن الشاعر الأندلسي الزجال ابن قزمان . وأخيرا تلك المقدمة الذهبية للمجلدات الثلاثة التي كرسها غوميث للشاعر ابن قزمان تحمل تاريخ "أنقرة سنة ١٩٦٨" رغم أنها لم تنتشر حتى سنة ١٩٧٢ بمدريد".

ثم الدراسات والأعمال التي ألفها غوميث في هذه المرحلة تنيف عن عشرين عملا ما بين كتب ودراسات ومقالات ومحاضرات ، وكلها لاتخرج عن مجاله العلمي المفضل هو التراث الأندلسي أو مجال " الأندلسيات " .

## ٤- غرناطة وبداية المجد العلمي :

كانت حياته بغرناطة منذ بدايتها سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٦ أشبه ما يكون بتلك الحركة الدائبة التي لا تعرف التوقف أو التريث ، أو ترتكن إلى الخمول والملل؛ إذ شملت العديد من الحقول والمجالات المعرفية المتعلقة بميدان "الأندلسيات"، وطرحت منظورات علمية جديدة لمختلف القضايا المتصلة بذلك، كما اقترحت تصورات وطرائق لدراسة التراث الأندلسي في مختلف تجلياته؛ لفك مغاليقه والإجابة عن أسئلته المعقدة حياة علمية عرفت خصوبة في الإنتاج وثراء وخبرة في التحليل والنقد.

وفي سبيل الدنو من حياة غوميث بغرناطة والاقتراب أكثر من إنجازاته العلمية بها لا بد لنا من التعرف على الملابسات التي رافقت اكتشاف غوميث لغرناطة ولعوالمها الجذابة التي لا تنتهي منذ البدايات الأولى لوجوده بها.

ففي ٢٠ يناير من سنة ١٩٣٠ قدَّم غوميث طلب قبول لاجتيازه مباراة قصد الحصول على مقعد شاغر « لشغل كرسي اللغات السامية في جامعة غرناطة، وكان التنافس على أشده لنيل هذا المنصب بين المشتغلين بالدراسات العربية والعبرية»[١].

واجتاز غوميث الاختبار بنجاح باهر متفوقا على كل منافسيه، وبهذا أصبح أستاذا لكرسي اللغة العربية وهو دون الخامسة والعشرين من عمره[٢] وكان ذلك في ٢ يونيو من نفس السنة.

أحب غوميث غرناطة وأهلها ومثقفيها وفنانيها وأدباءها وحضارتها وتراثها العربي الأندلسي القديم وأخلص لكل ذلك، فوهبته بدورها كل شيء، ألهمته معظم موضوعات أبحاثه ودراساته بما كانت تتوفر عليه من تراث شامل ومتنوع ؛ وما تختزنه أراضيها من دخائر غنية ثمينة يندر أن يجدها في مدينة أخرى بإسبانيا بنفس الكثافة والحجم والزخم.

كان غوميث يتذكر دائما بحنين كبير وعارم وصوله لأول مرة إلى هذه المدينة الأندلسية الخلابة الجميلة يوم الأحد الأخير من شهر شتنبر من سنة ١٩٣٠[٣]، وعقده اتصالات بالمجتمع الغرناطي بطبقاته الراقية والمتنوعة، وذلك بفضل بعض "رسائل توصية Cartas de presentaci?n " من قبل بعض أعمام الشاعر الإسباني المعروف رافائيل ألبرتيRafael Alberti[٤].

وفي غرناطة تحركت نفسه للعمل الجاد المثمر، وسرعان ما وجد نفسه مدفوعا إلى صدارة الأحداث والأضواء في المجتمعات الغرناطية المتعددة، وهناك بدأ الرجل يطور نشاطه الجامح في التدريس الجامعي الأكاديمي كأستاذ وباحث، وفي ترسيخ دعائم مشروعه العلمي في دراسة تراث الأندلس في مظاهره وأوجهه المتنوعة. كذلك في غرناطة حقق حلمه الكبير في تأسيس مدرسة الدراسات العربية مع أستاذه ميغيل آسين بلاثيوس سنة ١٩٣٢ بفرعيها (مدريد/غرناطة)، وبغرناطة أيضا حقق مشروعه الطموح في إنشاء مجلة " الأندلس ***Al-Andalus*** " التي كانت الناطق الرسمي واللسان المعبر عن أنشطة هذه المدرسة العلمية؛

---

1 - نفسه ص: ١٤.

2 - نفسه ص: ١٤.

**3 - Garc?a G?mez, E. "Don Emilio Garc?a G?mez, Doctor" Honores Causa" por la universidad de Granada. Revista *Miscel?nea de Estudios ?rabes y Hebr?icos*. Universidad de Granada. Vol. XXIV. Fasc: I. (1975) p:14**

**Ib?d. p: 15. - 4**

وهـي المجلـة التـي كرسـت كـل جهودهـا بـشكل خـاص للدراسـات الأندلـسية دون غيرها ، فظلت وفية لهذا المحور طيلـة سنوات صدورها، وكـان غوميث ينـشر بهـا من غرناطة وغيرها سلسلة من المقالات منذ بداية إصدارها سنة ١٩٣٣ وإلى آخر عدد منها سنة ١٩٧٨.

حياته وعلاقاته بها كانت قوية غنيـة ، فقد كـان يحضر النـدوات والمجـالس العلمية والثقافية التي كـان يشارك فيهـا ويحضرها الإخوة لوركـا Lorca والرسـام رودريكيـث أكوسـتا Rodriguez Acosta، وغـاييغو بـورين Gallego Burin، ومـانويـل دي فايـا Manuel De Falla[1]. فكانـت تـستأثر بحماسـتهم واهتمامـاتهم مصارعة الثيران وموسيقى الفلامنكو بمغارات سـاكورومونتي Sacromonte يقـول محمود علي مكي بهذا الصـدد: «وفي غرنـاطة يباشر العالم الشاب عمله الجديـد فـي الجامعة ولا يمنعه ذلك من المشاركة النشيطة في الحياة الثقافية والأدبية التي كانـت تحفل بها الحضارة الأندلسية وانعقدت أواصر الصداقة بينـه وبـين أدبائـهـا وفنانيـهـا مـن أمثـال فيـديريكو غرسيـه لوركـا وأسرتـه، والموسـيقي مانويـل دي فايـا والعـالم الأثري توريس بالباس الذي كان يرافقه في زياراتـه المتكررة لقصر الحمـراء، ولـم يكن اشتغاله بالعلم والبحث حائلا بينه وبين التمـاس المتعـة فـي أمسيات مـصارعات الثيران أو في حضور حفلات الغناء الأندلسي (الفلامنكو) التي كان يؤديهـا الفنـانون الغجر في كهوف الساكرومونتي أسفل قصر الحمراء»[2].

كان غوميث شديد الإعجـاب والشغف والافتتـان بغرنـاطـة وبـالحمراء بشكل خاص، كما كان يردد هو بنفسه مرات عديدة، كانت تروقه غرناطـة كثيـرا، وهـذا مـا يفسر فـي العمـق تكريسه المستمر والـدائم لأبحاثـه حـول غرنـاطـة، وغرنـاطـة يعنـي الأنـدلس، وبدايـة الإقامـة بغرنـاطـة معنـاه بدايـة عشقه لحضارة الأنـدلس ولتراثـهـا وبكل ما يرتبط بهما. وهذا ما يفسر حب الاستطلاع فيه والعنـاية الكبيرة بكل ما كتب بغرنـاطة وعن غرنـاطة، فكانت بذلك حوافز دائمة مستمرة من أجل الحمـراء والحب لأرض الأنـدلس ولـسكانها الـذين تحـدث عـنهم كثيـرا فـي كتابــه « سـرج العربـي ومشاهد أندلسية جديدة»[3].

---

[1] . Vallvé Bermejo, J. “Don Emilio Garc?a G?mez, Conde de los Alixares” p. 331.

[2] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي" ص: ١٤.

[3] . عنوانه باللغة الإسبانية هو: *Silla del Moro y nuevas escenas andaluzas*.

**يقول غوميث عن هذا الحب وأهميته في حياته: « ...لا بد من القول لكي أختم حديثي أنه رغم كون الكثير من الناس يعتبرونني من الأندلس، فهذا شيء يفرحني ويشجعني كثيرا، إلا أنني لست كذلك لأني ببساطة من مدريد ، ومثل كثير من الكائنات الأخرى المخلوقة، المولودة في الإسفلت كان لا بد من أن أبحث عن مكان لي لكي أتبناه، فأضحى هذا المكان هو مدينة غرناطة»[١].**

**ابتدأ غوميث في غرناطة بإصدار سلسة من المقالات والدراسات المتعلقة بميدان "الأندلسيات" وهكذا نشر سنة ١٩٣٠ بعد وصوله إلى غرناطة بقليل كتابه « الشعر الأندلسي »[٢] الذي ترجم فيه مختارات من الشعر العربي الأندلسي مقتطفة من كتاب "رايات المبرزين" لابن سعيد المغربي، ثم اتبع ذلك بمجموعة أخرى ترجمها شعرا بعنوان " قصائد من الأندلس " وكان لهذه الترجمات تأثيرها الكبير في شعراء جيل ٢٧، وصور غرسية غومس نفسه هذا التأثير في مقدمة الطبعة الثانية من ذلك الكتاب»[٣].**

**لقد ترجم غوميث عشقه وحبه لهذه المدينة الأندلسية الأثرية إلى واقع عملي وإلى اهتمام علمي ، إذ كان موضوع غرناطة من أهم أولوياته الأدبية حيث كانت حاضرة في كل لحظة في انشغالاته المعرفية والثقافية والوجدانية بشكل عميق وراسخ، فكتب عن قصورها العربية المشهورة، وعن قصرالحمراء وعن نقوشه وعن قاعاته والأشعار المنقوشة به[٤]، وعن قصر الدشار Alixares[٥]، وسرج العربي[٦] وغيرها، فكان بذلك من بين أهم من كتبوا عن حضارة غرناطة في تجلياتها المختلفة إلى جانب ليوبولدو طوريس بالباس وسيكودي لوثينا باريديس وغيرهما. وذلك حينما شرع في دراسة هذه المآثر بأول عمل له فريد وطريف عن**

---

**[1] - Ib?d. p: 98.**

**[2] - كان غوميث قد نشر بعضا من هذا الكتاب في محاولات أولى بمجلة (الغرب) *Occidente*سنة 1928.**

**[3] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي". ص: ١٦.**

**[4] - انظر كتابه الذي أفرده لهذا الموضوع بعنوان: "أشعار عربية على جذران ونافورات الحمراء" *Poemas ?rabes en los muros y fuentes de la Alhambra* .**

**[5] - انظر دراسته عن هذا القصر واسمه بمجلة "الأندلس" بعنوان:**
**"La etimolog?a de Alixares".Revista *Al-Andalus*. Vol. II Fasc: I (1934) p: 226**

**[6] - العنوان الكامل للكتاب بالإسبانية هو: *Silla del Moro y nuevas escenas andaluzas***

" قصر الدشار" الذي نشر بمجلة الأندلس سنة ١٩٣٤ بعنوان "الأصل الاشتقاقي للدشار" حيث درس فيه أصل هذا المصطلح واشتقاقاته وكيفية انتقاله إلى اللغة الاسبانية، وهو بحث استمر غوميث يعمقه ويثير كثيرا من الحقائق الجديدة حوله طول حياته.

كان غوميث دائما يفاجئ العلماء والمهتمين باكتشافاته الجديدة القيمة عن غرناطة وكنوزها الأثرية المادية والفكرية سواء حينما كان هناك أو حينما غادرها، يقول بلديراما Valderrama عن ذلك : « لم يكن إمليو غارسيا غوميث غرناطي المولد، ولكنها كانت في القلب إلى الحد الذي رغب فيه شراء موضع بمقبرة سان خوصي بقصر الحمراء (en el Cementerio de San José ) بالقرب من سرج العربي (*Silla del Moro*) حيث كان يتمنى أن يدفن في نفس المكان الذي كان يشغله قصر الدشار El Palacio de los Alixares[1] .

رجع غوميث سنة ١٩٣٦ إلى جامعة مدريد المركزية Complutense ولكن ظل عقله وقلبه وقلمه بغرناطة، حيث كان دائما يتذكر بحنينية عارمة أيامه ولحظاته الجميلة بها التي ما برحت تلازمه طول حياته لا تنمحي أو تندثر، فظل يتذكر قصر الدشار وقصر الحمراء وسرج العربي ودار شابيث Casa del Chapez مقر مدرسة الدراسات العربية... حيث كانت جميعها مسرحا لخمس سنوات وهي المدة التي قضاها غوميث هناك.

كانت غرناطة بالنسبة إليه مدينة الإلهام والاستدعاءات والتداعي حيث ألهمته كثيرا من أعماله وكتبه وأبحاثه الهامة.

إنها خمس سنوات عاشها غوميث شغوفا بغرناطة مغرما مولعا بتراثها وماضيها العربي الإسلامي، كلفا بالمدينة وبالعمل بجامعتها، فأضحى كل ذلك محفوظا لغرناطة دون غيرها حتى عندما انتقل إلى مدريد - كما ذكرنا - أستاذا للغة والأدب العربيين بعد أن تخلى له عن هذا المنصب أستاذه ميغيل آسين بلاثيوس الذي تفرغ لأبحاثه العلمية، فاستمر غوميث يباشر مهامه بجامعة مدريد إلى سنة ١٩٧٥ حينما أحيل إلى التقاعد بعد بلوغه السبعين[2].

تابع غوميث بتفان وببساطة وإخلاص حياة مليئة بالإنتاج الأدبي والأبحاث العلمية الرصينة المتسلسلة المترابطة حول التراث الأندلسي، حيث درس في كتاب

---

[1] - Valderrama Mart?nez, F. "Acto de Homenaje a Emilio Garc?a G?mez" p: 124 .

[2] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي". ص: ١٦.

له الفقيه الأندلسي (الإسباني) أبا إسحاق الإلبيري سنة ١٩٤٤، مع نشره وإخراج لديوانه[١].

وفي سنة ١٩٤٨ نشر كتابه "سرج العربي ومشاهد أندلسية جديدة" جمع فيه وضم مقالات متعددة عن المناظر والمشاهد والمآثر الأندلسية والحياة الاجتماعية والعلاقات مع الوجوه المشهورة في عالم الفكر والثقافة والإبداع بغرناطة (فايا - لوركا...) وتقاليدها وعادات أهلها وسكانها، وقد ألمح غوميث في تقديمه لهذا الكتاب وبنوع من التفصيل إلى ارتباطه الحيوي والحنين بالجنوب عامة " الأندلس ".

وقبل ذلك التاريخ نشر من غرناطة سلسلة من المقالات، تتوزع ما بين ترجمات ودراسات وهكذا نشر ترجمة لرسالة الشقندي بمجلة "الغرب ***Occidente*** " سنة ١٩٣٣ بعنوان "مديح الأندلس للشقندي[٢]، ودراستين عن ابن قزمان، الأولى بمجلة ***Cruz y Raya***[٣] الثانية بمجلة " ***Al- Andalus*** الأندلس"[٤].

وهكذا ففي يوم ٤ يونيو سنة ١٩٧٥ تقاعد غوميث عن التدريس الجامعي الأكاديمي الرسمي بمدريد؛ لكنه احتفي به في غرناطة أيما احتفاء ، فأعطت هذه الالتفاتة الكريمة من غرناطة وأبنائها أمثلة حية، ونماذج فريدة من الاعتراف المتبادل بين غرناطة الوفية وغوميث المخلص لها، فكافأت كل هذا الجهد الذي بذله غوميث بألوان من الشكر والامتنان والتقدير والاعجاب، فمنحته جامعتها درجة الدكتوراه الفخرية[٥] تقديرا له على كل ما بذله إزاءها؛ حيث كان غوميث قد قفل

---

**- 1 Garc?a G?mez, E. *Un alfaqu?Espa?ol" "Abū ishāq de Elvira" texto ?rabe de su "Diw?n seg?n el ms escur 404.* Madrid: 1944**

**- 2 Garc?a G?mez, E. "Elogio de Al-Andalus, por al-Saqūndi" Revista de *Occidente* 11 Madrid 1933**

**- 3 Garc?a G?mez, E. "ibn Quzmān, una voz en la callé (siglo XII), Revista *Cruz y Raya*. Madrid 1933**

**- 4 Garc?a G?mez, E. "ibn Quzmān editado por Nykl" "*Al-Andalus*" Vol: I Fasc: II (1933) p: 453**

**- 5 Lapesa Melgar. Rafael. "In el (Homenaje a Don E.G.G). Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII. Madrid (1996) p: 79.**

دورة خمسين سنة من التعليم الجامعي الرسمي مع احتساب المدة الزمنية، التي كان فيها أستاذا مساعدا أيضا عندما صعد منابر جامعة مدريد سنة ١٩٢٦، وورغم وصوله سن التقاعد فإنه كان ما يزال في شبابه العقلي وفي كامل قواه الفكرية ، لأنه سيواصل منذ ذلك التاريخ سيرة الكتابة والإبداع والبحث بنفس الوتيرة التي كان عليها قبل تقاعده، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنه أضحى أكثر حيوية وإنتاجا من ذي قبل[1].

احتفى به أيضا وبشكل متعاقب في مقر دار تشابيث **Casa del Chapez** مقر مدرسة الدراسات العربية من قبل طلبته وزملائه وأصدقائه الذين كرموه أحسن تكريم، تكريما استثنائيا ودالا يليق بالرجل وبحجمه وقيمته كبيرين ، الذي وظف كل جهوده العلمية لخدمة غرناطة ودراسة تراثها[2].

يواصل غوميث بإصرار وثبات اهتمامه بتراث غرناطة وعنايته بحضارتها حتى في سنوات عمره الأخيرة، فلم تخذله السنون المتوالية عن مواصلة إنجاز عشقه لها، ولم تفت من عزمه وقدرته وصلابته رغم العمر الطويل بل أعلن تحديه لكل ذلك؛ ففي ١٠ يناير من سنة ١٩٩٢ بمقر "الأكاديمية الملكية للتاريخ" في إحدى دوراتها العلمية الممتعة، سحر غوميث الجميع واستهواهم بترجمته الرائعة لأصعب وصف لقصر الدشار **Palacio de los Alijares**، فكانت ممتعة ومرافقة بتعليقات مناسبة وملائمة ومتعلقة بالموضوع النص العربي عن القصر يوجد في كتاب "جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى" لابن عاصم الوزير الغرناطي المقتول سنة ١٤٥٣.

وفي هذه الدراسة المهمة والفريدة من نوعها سعى غوميث إلى جمع وحشد معلومات كثيرة متنوعة (أدبية وتاريخية وأركيولوجية) للوصول إلى نتائج يقينية لفرضياته.

وهكذا ولأهمية هذا الموضوع (موضوع قصر الدشار) وعندما قرر ملك إسبانيا خوان كارلوس إطلاق لقب الشرف على غوميث تقديرا له على جهوده العلمية في خدمة تراث إسبانيا الإسلامية وحضارتها، واعترافا بمساهماته الجليلة في ترسيخ مجال البحث في "الأندلسيات" بشكل عام، ونظرا لاجتهاداته الطويلة

---

[1] - انظر أعماله ودراساته التي ألفها بعد تقاعده وهي كثيرة جدا تتوزع بين عروض ومحاضرات وكتب ومقالات ومؤلفات.

[2] - انظر مقال:

**- Lapesa Melgar. Rafael. «El Homenaje a Don E.G.G. Revista Del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII. Madrid (1996) P?gs.: 73-81.**

المضنية أيضا في البحث عن الجذور الاشتقاقية لاسم هذا القصر، استشاره الملك بشأن اللقب المناسب الذي يريده ويقترحه؛ فكان أن فضل لقب الكوندي دي لوس أليخاريس Conde de los Alixares ليكون هذا اللقب أكثر ارتباطا به ودلالة عليه؛ وعلامة بارزة على كل ما اضطلع به من جهود رائدة في بابها للكشف عن كل ما يتعلق بهذا القصر من ظروف وملابسات.

وأخيرا قبل وفاته بسنة منحته غرناطة ميدالية ذهبية تكريما له، كما أطلقت اسمه على شارع من شوارعها. وكلية الآداب بها هي الأخرى سعت إلى تخصيص جلسات علمية في بعض دوراتها الدراسية لمؤلفات غوميث وإنجازاته العلمية بعنوان "المثقف وذاكرته"[1].

وهكذا توفي إميليو غارثيا غوميث يوم الأربعاء ٣١ ماي سنة ١٩٩٥ عن سن يناهز التسعين تقريبا، فكان له ما تمناه طيلة حياته ، إذ دفن بغرناطة، هذه المدينة التي أحبها وعشقها حتى النخاع ، فكانت مصدر إلهام وحافزا لكثير من أعماله وأبحاثه الرائدة. ووصول جثمان إميليو غارثيا غوميث إلى غرناطة له كثير من الدلالات العميقة والرموز المعبرة أهمها تحقيق آخر أمانيه وهي أن يبيت بمقر مدرسة الدراسات العربية Casa del Chapiz[2].

### ٥ - العودة المحمودة إلى مدريد (١٩٣٦ – ١٩٩٥):

عاد غوميث من غرناطة إلى مدريد من جديد عام ١٩٣٦ مسقط رأسه ومرتع صباه وشبابه، ومحيطه الذي نشأ وترعرع فيه، عاد إلى أجواء مدريد العلمية والثقافية وإلى جامعاتها وقد سبقته إلى هناك هذه المرة شهرته كعالم وباحث مقتدر، وصيته الكبير الذي حققه بمثابرته، فأضحى الصوت المألوف بمدريد، والاسم المردد على مسامع علمائها ومثقفيها في المحافل العلمية، بما كان يؤسس من إنجازات علمية تتجاوز حدود غرناطة وجامعتها إلى مختلف مدن إسبانيا؛ خصوصا في دراساته وأبحاثه الهامة حول الشعر الأندلسي التي تجاوزت حدود البلاد.

وسبب عودته إلى جامعة مدريد كمدرس بها يرجع بالأساس إلى تخلي أستاذه آسين بلاثيوس عن هذا المنصب، وتوقف نشاطه كأستاذ جامعي بها قصد التفرغ لأبحاثه العلمية لتعميقها وتوسيعها أكثر، فأضحى هذا المنصب شاغرا بذلك،

---

[1] - Forneas, José Maria: "Desde Granada y Al Hilo del Recuerdo" (Homenaje a Emilio Garc?a .G?mez) Revista del *(I.E.E.I)* Vol XXVIII. Madrid: (1996) p: 38.

[2] - Ibid p:42.

وهكذا و« بقرار وزاري بتاريخ ٢٨ دجنبر سنة ١٩٣٥، وبموجب مباراة الانتقال أضحى غوميث الذي كان يتحمل منصب أستاذية اللغة العربية بكلية الآداب بغرناطة، ومدير مدرسة الدراسات العربية بنفس المدينة أضحى أستاذا لنفس المادة بجامعة مدريد ومديرا لمدرسة الدراسات العربية في فرعها بمدريد، بينما أسند منصب مدير المدرسة بغرناطة إلى السيد سلبادور بيلا هيرنانديث»[١] . فاستأنف غوميث بمقتضى ذلك مهمته التدريس حتى سنة ١٩٧٥ حينما أحيل إلى التقاعد بعد بلوغه السبعين، ولم ينقطع عن العمل إلا في مناسبتين: خلال سنوات الحرب الأهلية التي اندلعت بعد وصوله إلى مدريد بشهور (ما بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٣٩) ثم خلال السنوات التي تولى فيها العمل سفيرا لبلاده في الخارج»[٢].

وفي مدريد سيكرس حضوره العلمي والفعلي من جديد بشكل لافت للانتباه، ولكن قبل الحديث عن تفاصيل وحيثيات هذه المرحلة نبادر إلى التساؤل: ما هي السمات البارزة والمميزة لهذه المرحلة من حياة غوميث إلى الحد الذي تشكل معه علامة فارقة بين مرحلتين: السابقة والحاضرة؟

يمكن القول بهذا الصدد إذا كانت مرحلة غرناطة تتسم بنوع من المحلية أو قل إن شئت نوعا من الوطنية، فإن مرحلة مدريد ستكون مرحلة كونية تتميز بالعالمية والانفتاح الشمولي على كل التيارات التي تعنى بالتراث الإسلامي العربي في صورته الأندلسية. ولتحقيق هذا المطمح سيعقد غوميث علاقات وصلات علمية مع العلماء المهتمين بمجال "الأندلسيات" مثل شتيرن (١٩٢٠ – ١٩٧١) الذي اشتهر بأبحاثه في الشعر الأندلسي العربي والعبري، وخاصة الموشحات وخرجاتها، وبروفنصال الفرنسي الذي عرف بدراساته الرائدة في مجال التاريخ والأدب الأندلسيين كذلك، ونيكل الذي تركزت أبحاثه حول الشعر والأدب الأندلسيين، وفرانسيسكو غابريللي الإيطالي، وكولان وغيرهم .

ولم تقتصر جهود وأنشطة غوميث العلمية في هذه المرحلة على المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية ذات الطابع العالمي، بل إلى جانب ذلك ساهم في إلقاء وإنجاز مجموعة من العروض والمحاضرات في مختلف عواصم

---

[1]. *Al-Andalus*. (Noticias)Vol III. Fasc: I (1936) p: 251.

[2] - محمود علي مكي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ١٦.

العوالم، فكان ينثر أفكاره وأبحاثه الجديدة ودراساته التي لا تنقطع في كل ناحية من أنحاء الكون، وربما كان

هذا أبرز ما يميز هذه المرحلة بشكل ملحوظ عنده، هذا الحضور الفعلي المكثف والنشيط في المنابر العلمية العالمية، ففي أيام ٢٨ نوفمبر و ٢، ٤، ٦ دجمبر سنة ١٩٤٧ ألقى غوميث سلسلة من المحاضرات بمدينة أبورطو **Oporto** البرتغالية حول مواضيع ذات علاقة بالدراسات العربية الأندلسية، حيث دعي من قبل مركز الدراسات الإنسانية، وقبل عودته إلى إسبانيا ألقى محاضرة أخرى يوم ١١ دجنبر بكلية الآداب بلشبونة، برعاية المعهد الإسباني حول موضوع "الكُتّاب العرب البرتغاليين"[١].

وفي يوم ٢١ من نفس الشهر أيضا ألقى محاضرة أخرى بالفرنسية عن بعض مظاهر الشعر العربي الأندلسي نظمها معهد الدراسات الإسلامية بنفس الجامعة، فقوبلت هذه الأنشطة العلمية التي قام بها غوميث بالتقدير والاعتراف والإعجاب .

جامعات انجلترا هي الأخرى عرفت قيمة غوميث العلمية وأهميته كباحث كبير في الحضارة العربية الإسلامية بإسبانيا العصر الوسيط، فدعته جامعة لندن بصفة خاصة أيام ٢٧ و٢٨ و٣٠ أبريل سنة ١٩٥٣ لإلقاء ثلاث محاضرات حول موضوع: "بدايات الشعر الرومانثي والخرجات الرومانثية في الموشحات"، المحاضرات الثلاث لقيت إعجاب المثقفين الحاضرين حيث تابعها جمهور غفير من المهتمين بالثقافة الأندلسية الإسبانية. زار غوميث أيضا المدينة الجامعية أوكسفورد؛ فالتقى بمثقفيها وبعلمائها المهتمين بالثقافة الإسبانية العربية[٢].

ثم تدعوه إيطاليا للمشاركة في بعض أنشطتها العلمية التي نظمت ما بين ٢٧ ماي و١ يونيو سنة ١٩٥٦ بروما وفلورنسا برعاية الأكاديمية الوطنية للغة، وكان محورها يدور حول موضوع عام هو "الشرق والغرب..." الذي يضم خمسة محاور، أبرزها محور "التاريخ الديني" حيث قدم فيه غابريللي الإيطالي وماسينيون الفرنسي عرضا في موضوع "التصوف المسيحي والتصوف الإسلامي" ، أما المحور الذي حاضر فيه غوميث كان يتعلق ب "التاريخ الأدبي" إذ قدم محاضرة عن "الشعر الغنائي الإسباني وظهور الشعر الرومانثي"، ويلقى

---

-1 *Al-Andalus.* **(Noticias) Vol: XXII Fasc: II (1947) p: 504.**

- 2 *Al-Andalus*. **(Noticias) Vol: XVIII Fasc: I (1953) p: 256.**

غوميث في سياق ذلك فيضا من التقدير والإعجاب والكرم، حيث قدمه الباحث المعروف ليفي ديبا بيدا " L.Della Vida "[1] كأستاذ محاضر مبرز، بمعهد الاستشراق بروما يوم ٦ يونيو، ألقى غوميث أثناءها محاضرة عن موضوع "الشعر الشعبي بإسبانيا الإسلامية"، شارك في هذا النشاط العلمي إلى جانب هؤلاء العلماء الباحث الألماني المعروف: يوسف شاخت[2] بمحاضرة عن "القانون البيزنطي والقانون الإسلامي"[3].

نسجل في ضوء المعطيات السابقة أنه لا جدال في أن هذا الحضور العلمي المكثف والبارز في المحافل العلمية المتعددة قد منحه مكانة كبيرة في مسيرته نحو العالمية، كما أنه زاد من مكانته العلمية المرموقة قوة وإشعاعا، هذه المكانة التي نحتها بكفاحه الطويل وبمثابرته وإصراره العنيد الذي لا يعرف الوقوف أو التردد أو القناعة بالقليل اليسير.

إلا أن هذه الانفتاحية على العالمية لم تُثنه أو تقعده عن مواصلة مهمة إدارة مجلة "الأندلس" و"مدرسة الدراسات العربية" و"المعهد الإسباني العربي للثقافة" وغيرها من المهام الكبرى التي كان يضطلع بها وقتئذ. كما أنها لم تقعده عن المشاركة الإيجابية الفعالة إلى جانب علماء إسبان معروفين الذين يشتغلون بموضوع "الحضارة الإسبانية في العصر الوسيط" فأنجز أعمالا مع كل من رامون

---

[1] - Revista *Al-Andalus*. (Noticias) Vol: XIX Fasc: II (1956) p: 462.

[2] - مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، ولد في ١٥ مارس ١٩٠٢، ودرس الفيلولوجيا الكلاسيكية، واللاهوت واللغات الشرقية في جامعتي برسلا و وليبتسك، وحصل من جامعة برسلاو على الدكتوراه الأولى في ١٩٢٣، وبعد أن حصل على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة عين في ١٩٢٥ مدرسا في جامعة فرايبورج حيث صار في ١٩٢٩ أستاذا ذا كرسي، وفي ١٩٣٤ انتدب للتدريس في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية. واستمر أستاذا في الجامعة المصرية حيث ١٩٣٩، ولما قامت الحرب العالمية الثانية في شتنبر ١٩٣٩ انتقل من مصر إلى لندن، حيث أخذ يعمل في الإذاعة البريطانية B.B.C لحساب بريطانيا وحلفائها، ضد وطنه ألمانيا، وكان ساخطا على حكم النازية في ألمانيا. ينقسم إنتاج شاخت إلى الأبواب التالية: - دراسة مخطوطات عربية. - تحقيق نصوص مخطوطة في الفقه الإسلامي. - دراسات في علم الكلام. - مؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي. - دراسات ونشرات في تاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام. - متفرقات.

انظر موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي ص: ٢٥٢ و٢٥٣).

[3] - Revista *Al-Andalus.* (Noticias) Vol: XIX Fasc: 1I (1956) p: 462.

منتدث بيدال[1]وخايمي أوليبرآسين[2]ولاغرانخا[3]... إذ تتجلى أهمية هذه الأعمال المنجزة مع علماء إسبان وغيرهم في محاولة السعي إلى بناء وتشكيل استعراب إسباني ذي ملامح عالمية شاملة، وبفضل هذه الجهود التي قام بها غوميث وهؤلاء العلماء الإسبان أصبحت كثير من الأقلام العالمية تهتم بحضارة إسبانيا في عصورها الإسلامية الوسطى، كما أضحت مجلة "الأندلس" منبرا علميا يجمع بينهم ويوحد بين توجهاتهم وتصوراتهم بحيث أصبحت بفضل ذلك أهم مصدر عالمي لكل من يريد البحث في ماضي إسبانيا الإسلامي وتراثها الغني المتنوع.

**٦- مؤلفاته وأعماله في هذه المرحلة :**

ولا شك أن غوميث في أثناء ذلك كله استفاد كثيرا من ثقافته الواسعة ومن أفقه المعرفي ومن تجربته في مواصلة نهمه الكبير في مجال الكتابة ليحقق ذاته العالمة في مجال التأليف والنشر، حيث ستشهد هذه المرحلة عودة مندفعة متدفقة نحو هذه الذات في جانبها العلمي التأليفي، وفي سبيل الدنو والاقتراب قليلا من معطيات الكتابة والإبداع وتجلياتها بشكل ملموس نورد بعضها من هذه المؤلفات التي ألفها في هذه المرحلة التي تعد أطول مرحلة في حياة غوميث، ولهذا شهدت تأليف مؤلفات كثيرة، وصياغة مقالات ودراسات ومحاضرات وترجمات متعددة . وهذه المؤلفات هي:

- *Qasidas de Andalucia puestas en verso castellano. 1940.*

---

**1 - Menéndez Pidal.R y Garc?a G?mez, E. "El Conde Moz?rabe sisnando Davidiz y la pol?tica de Alfonso VI con los taifas" *Al-Andalus.* Vol XII. Fasc: I (1947) pags: 27-42**

**- Menéndez Pidal y Garc?a G?mez, E. "Sobre la étimologia del nombre del bastardo « Mudarra »" *Al-Andalus*. Vol XVI. Fasc: I (1951) pags: 87-99.**

**2 - Provençal, Levi. Garc?a G?mez, E. y Oliver As?n. J "Novedades sobre la batalla llamada al-zallāqa (1086)". *Al-Andalus.* Vol XV. Fasc: I (1950) pags: 79-110.**

**3 - Garc?a G?mez, E. y Granja Fernando, de. La. "Mohammed Ben Mas'ud poeta berbolario de comienzos del siglo XI: vago predecesor de Ben Quzmān" *Al-Andalus* Vol XXXVII. Fasc: II (1972) pags : 405-443.**

- *El libro de las banderas de los campeones de Ibn Said Al-Magribi: 1942.*
- *Antologia ?rabe para principiantes: 1944.*
- **Un alfaqui espa?ol « Abu Ishāq de Elvira »: 1944.**
- *Cinco poetas Musulmanes Biografia y Estudios*: *1944.*
- *Sevilla a comienzos del siglo XII, El tratado de Ibn* **Abdūn:1948**
- *Silla del Moro y Nuevas escenas Andaluzas*: **1948.**
- *Una Cr?nica an?nima de Abd Al-Rahmān III Al-***Nasir:1950**
- *Historia de Espa?a Musulmana hasta la caida del Califato de C?rdoba*: *1950*
- *Poesia ar?bigoandaluza, Breve sintesis historia :1952*
- *El collar de la paloma, tratado sobre el amor y los amantes de Ibn Hazm de C?rdoba: 1952.*
- *Los Dias: Memorias de infancia y juvent?d: 1954.*
- *Diario de un fiscal* **rural: 1955.**
- *Ibn al-zaqqāq, Poes?as*: *1956.*
- *Las jachas romances de la serie ?rabe en su marco*: *1965.*
- *El califato de C?rdoba en el Muqtabis sde ibn Hayyān Anales palatinos del califa de C?rdoba Al-hakam II, por Isa Ibn Ahmed Al-Razi:1967*
- *Todo Ben Quzmān: 1972.*
- **Métrica de la moaxaja y Metrica espa?ola Aplicaci?n de un nuevo método de medici?n al « Gais » de Ben al Hatib:1975.**
- *Andalucia contra* **Berberia: 1976.**
- *El Mejor Ben Quzmān en 40 Zéjeles*: *1961.*
- *Peomas ?rabes en los muros y fuente de la Al Hambra: 1985.*
- *Foco de Antigua luz sobre la Al Hambra desde un texto de ibn Al Jatib en 1362: madrid 1988.*
- *El escasndalo de las jarchas en Oxford: 1991.*

**إلى جانب هذه المؤلفات الكثيرة الهامة، ألف غوميث عددا كبيرا من المقالات والدراسات المبثوثة والمتفرقة في مجلات وصحف متنوعة. وما يلاحظ على هذه المؤلفات السالفة أنها على الرغم من غلبة الطابع الأدبي عليها، فإنها لا تخلو بطبيعة الحال من مواضيع أخرى تخص ميدان الفكر والتاريخ والمجتمع، وهذه الشمولية كانت ميزة خاصة اتسم بها غوميث طول حياته العلمية قصد الإحاطة الذكية بكل ما يرتبط بمجال " الدراسات الأندلسية ".**

## ٧ - مستوى العلاقات الانسانية والعلمية :

**( علاقته ببعض أساتذته)**

### أ - خوليان ريبيرا وآسين بلاثيوس.

تبدو علامات التأثير العميق التي مارسها كل من ريبيرا وآسين في علاقتهما بغوميث بادية جلية خصوصا في المراحل المبكرة من تعليمه الجامعي، فقد رأى غوميث الشاب في أستاذيه كل شيء، سعة علم ومعرفة؛ كثرة إطلاع واستيعات للثقافة والفكر الإنسانيين، ودراية جيدة باللغة العربية مع نسبة عالية من الألفة والأبوة الصادقة، ريبيرا وآسين هما الآخران أدركا معا على الفور أن غوميث سيكون الطالب النجيب الذي طالما كان يرغبان في أن يكون بجانبهما لكي يواصل معهما مشروع الدراسات العربية الأندلسية بإسبانيا ، ويمضي الجميع قدما في نفس النهج الذي اختطه من قبل مؤسس الاستعراب الحديث ورائده الباحث فرانثيسكو كوديرا إي زايدن (Francisco Codera y Zaidīn).

يعود تاريخ بداية هذه العلاقة بين غوميث وأستاذيه إلى مرحلة الدراسة الجامعية؛ إذ حينما انتهى الطالب غوميث من اجتياز مرحلة الإجازة شرع في التعاون المثمر المتواصل مع ريبيرا وآسين في مركز الدراسات التاريخية لتوسيع دراساته في مجال الأدب المقارن ومعالجة النصوص العربية وتحليلها فيلولوجيا؛ مقتفيا في ذلك خطوات وتعاليم أستاذيه، وبهذا كان غوميث الطالب المثالي لديهما وفي نفس الوقت الشاهد الخصوصي والاستثنائي على حياتهما وأعمالهما الثقافية والاجتماعية، ونتيجة لذلك فقد أفرد لهما غوميث ترجمة وافية مع معلومات قيمة عنهما بمجلة " الأندلس "، خصوصا وأنه كانت تربطه وشائج وثيقة وعميقة بآسين أكثر بحكم أن آسين امتد به العمر وشهد أكثر من ريبيرا الإنجازات الباهرة التي كان يحققها غوميث كل سنة في مجال الدراسات الأندلسية.

كانت علاقته بهما قد توثقت خلال دراسته الجامعية كما ذكرنا، وبتوصية من ريبيرا، وبتمويل من الدوق دي ألبا سافر غوميث إلى مصر لاستكمال دراسته للعربية وترسيخها. آسين بدوره اجتذبه إلى الاستعراب الإسباني الحديث وأنشأه على حب العربية والقراءة بها. فعلمه عشق الأسلوب الارستقراطي القديم في البحث المضني وسبر أغوار النصوص واستنطاقها. كما أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بينهما؛ فكلاهما قطع مرحلة دراسته للعربية بتفوق وفي زمن قياسي، وكلاهما كان له الإصرار الكبير على مواصلة البحث في تراثها وعلومها وثقافتها خصوصا في مجالها الأندلسي، وكلاهما عمل برنامجا صارما قصد استيعابها

بسرعة وبعمق إلى الحد الذي يسعفهما على فهم النصوص العربية بدقة وتفسيرها وتأويلها. يقول فرناندو دي لاغرانخا **Fernando de La Granja**

« كانت مرحلة غنية بالدلالات بالنسبة إلى الشاب الطالب وهو يجتاز العتبات الأولى في ميدان الدراسات العربية الأندلسية. وهكذا قطع هذه المرحلة بتفوق؛ فقط قبل ولوجه دروس الموسم الجامعي لسنة ١٩٢٣-١٩٢٤ بإشراف الأستاذ الماهر آسين بسنوات قليلة »[١].

اشتغل غوميث منذ بداية تلك السنة بتفان وجدية عاليين إلى جانب آسين وبالقرب منه، حيث فتح له أبواب منزله الغني بالكتب والمؤلفات العربية، وغير العربية التي ورثها عن كوديرا أولا ثم عن ريبيرا ثانيا بعد موته سنة ١٩٣٤، ثم قسم آخر من الكتب اقتناه آسين بنفسه[٢]، وإلى ذلك الوقت ودون شك كانت هذه المكتبة أهم وأعظم مكتبة عربية خاصة توجد بإسبانيا في ملكية ذاتية ومتوفرة على هذا الكم المهم من المؤلفات العربية الأندلسية. وبمرور الوقت استمر التعاون العلمي بين الرجلين (آسين وغوميث) وتعزز وتقوى بتأسيس مدرسة الدراسات العربية بفرعيها الغرناطي والمدريدي سنة ١٩٣٢ ثم بإنشاء مجلة "الأندلس" الناطق الرسمي عن المدرسة سنة ١٩٣٣، حيث خاضا معا هذه التجربة العلمية الكبيرة بنوع من التوافق والتحدي والعمل الدؤوب في إطار المنظومة الاستعرابية الحديثة[٣].

كان غوميث يتذكر دائما تأثير أستاذه آسين عليه على المستوى العلمي بنوع من الإعجاب والافتخار والتقدير. وبمناسبة بلوغ آسين سن التقاعد الرسمي في ٥ يوليوز ١٩٤١ خصص له غوميث تكريما كبيرا يليق بقيمة أستاذه ومكانته وأهميته في حقل الدراسات الأندلسية؛ نشره بمجلة "الأندلس"[٤]. وفي سنة ١٩٤٤ حينما رحل آسين رحلته الأبدية الأخيرة عن عالمنا كتب عنه غوميث صفحات كثيرة

---

1 - **Granja Fernando, de La: "Don Emilio Garc?a G?mez". Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos. Vol.* XXVIII (1996) p: 64**

2 - **Ibid p: 68.**

3 - **Ibid.**

4 - **Garc?a. G?mez .E "En la jubilaci?n de Don Miguel As?n" "*Al-Andalus*" vol VI. Fasc: I (1941) pags: 265-270**

ومؤثرة تقطر حزنا وأسى على أستاذه الفقيد، وذلك بمجلة "الأندلس"[1] كذلك؛ لم يكتب غوميث مثلها في حق أساتذته الآخرين من قبل ولا من بعد، كانت صفحات فياضة دافقة بالمشاعر الصادقة يحركها الوفاء الكبير لأستاذه الذي رحل من غير رجعة، موت الأستاذ خلف أثرا كبيرا في غوميث وترك يتما عاطفيا ووجدانيا بحكم العلاقة الوثيقة المتينة بينهما التي كان غوميث يتذكرها بنوع من الذكرى العاطره، وبلون من الاستحضارالجميل الذي لا ينقطع.

نخلص من كل ما سبق إلى القول إن علاقة غوميث بأستاذيه ريبيرا وآسين كانت تشكل علامة مضيئة وهامة في بداية حياته ومشروعه العلمي، فكانت بمثابة امتداد لهذين الأستاذين، لكن هذا الامتداد لم يكن ليلغي بشكل من الأشكال شخصية غوميث الذاتية العلمية المستقلة التي تؤسس كينونتها ووجودها المتميز والمتفرد من هذا التعدد. لم تكن هذه العلاقة نوعا من التقيد المطلق بآراء أستاذَيْه أو اجترارا أو تقليدا مطلقا ومتعصبا لهما؛ بل كانت تطويرا لمشروعهما وإضافات جديدة ، فيها طابع غوميث البارز الدال عليه، كما سعت هذه العلاقة إلى أن تفتح أمامه عالما رحبا فسيحا من الصلات الجديدة مع وجوه وشخصيات علمية أخرى مختلفة عنهما، يقول غوميث عن تصوره لطبيعة العلاقة التي يمكن أن تجمع بين الطالب وأستاذه وكيف ينبغي أن تكون « أنا صديق حميم لدون ميغيل آسين، ولكنني أختلف عنه من حيث إنه كاهن [قسيس] وأنا علماني [غير كهنوتي]، وأنا صديق لطه حسين، ولكنني أختلف عنه من حيث إنه مسلم وأنا مسيحي...»[2] .

## <u>خوصي أورتيغا إي غاسيط</u> Josè Ortega y Gasset.

أخذ الطالب غوميث يحس بانجذاب منذ البداية نحو شخصية خوصي أرتيغا إي غاسيط وأخذ يميل إليه أكثر فأكثر بسبب فضوله العلمي وحب الاستطلاع لكل ما تتميز به هذه الشخصية الفلسفية الفذة، كل ذلك دفعه وحمله على الحضور الفعلي كمستمع لبعض دروس ومحاضرات أورتيغا في الجامعة إلى غاية سنة ١٩٢١[3]...

---

[1] - García Gómez .E "Don Miguel Asín (1871-1944) esquema de una biografi? Bibiografia de Don Miguel Asín" "*Al-Andalus*" vol IX. Fasc: II (1944) pags: 267-292

[2] - Ibid p: 91.

[3] - Martínez. Lorca, .A "La simílla inmortal de Don Emilio García Gómez".

ولكن لماذا انجذب غوميث نحو أورتيغا الفيلسوف؟ وماذا كان يحتاج غوميث فيه؟

بالنسبة إلى غوميث المستعرب المحدث لم يكن يهمه أو يعنيه محاضرات أو دروس أورتيغا في الفلسفة، ولم تكن تستحوذ على اهتماماته الفكرية والعلمية بشكل ملح وضاغط، بل كانت تستهويه من أورتيغا شخصيته الشعبية العامة وطريقته الفريدة في التعامل مع الناس بنوع من المشاركة الوجدانية والفكرية.

ولكن كيف اجتمع الرجلان؟ ومتى؟

كانت مجلة (الغرب *Occidente*) التي أسسها أورتيغا سنة ١٩٢٣ نقطة الالتقاء بين الرجلين، كما كان غوميث قارئا مواظبا ومتحمسا لأعدادها منذ بداية إصدارها، ومعجبا بأهدافها ورسالتها العلمية . غوميث الشاب بدأ يشارك في الحياة الثقافية بإسبانيا عبر هذه المجلة، ويكتب موضوعات جديدة طريفة ترتبط بالتراث الأندلسي. فكان أول عمل له بها هو دراسته عن كتاب لأستاذه آسين سنة ١٩٢٦ بعنوان: "الصوفي المرسي ابن عربي"[1]، ثم بعد ذلك أضحى عضوا مشاركا مختارا وأساسيا ضمن أعضائها المهمين. هذا الاتصال المباشر بأورتيغا داخل الدائرة الوفية الحميمة والمجالس الثقافية التي كان ينظمها هذا الفيلسوف أثر كل ذلك في غوميث بشكل بارز في تكوينه العلمي وانفتاحه على ميدان الفلسفة والفكر النقدي الذي كان يتبناه أورتيغا وينشره ويذيعه في الأوساط الفلسفية والثقافية بإسبانيا. في هذا المناخ العلمي الذي كانت مجالس أورتيغا **Tertulias de Ortega** العلمية توفره له[2] كان يلتقي غوميث بكبار العلماء الإسبان ومفكريها وفلاسفتها، ومن ثم أخذ وعيه النقدي يتبلور ويتشكل؛ وأخذت قدرته وبراعته وخبرته النقدية والفكرية تستوي على ما هو أرقى وأعمق.

والحق أن أورتيغا في هذه المجالس والندوات الثقافية كان يستحوذ على اهتمام الجميع بأفكاره الفلسفية المتقدمة والمتطورة. يقول غوميث عن ذلك: « كان يحتاج دائما حينما يأتي المساء إلى ساعة من الحوار»[3]

---

**pags: 87-88**

1 - **García Gómez, E. "Miguel Asín, El místico murciano Abenarabí" "monografia y documentos" Revista de *Occidente* 1926**

2 - **Martínez Lorca, A. "La similla inmortal de Don Emilio García. Gómez" Revista del *Instituto Egicio de Estudios Islámicos*. Vol.XXVIII (1996) p: 88.**

3 - **Ibid, p: 88.**

كانت هذه الحوارات والجلسات العلمية التي يديرها أورتيغا منعشة للفكر والعقل، باعثة على التأمل والخلق والابتكار للأسئلة الجديدة المسترسلة في مجال المعرفة الإنسانية، إذن فما هي ملامح تأثير أورتيغا في غوميث؟.

نود أن نشير هنا بشكل خاص إلى طبيعة حياة أورتيغا ومشروعه الفكري. فأورتيغا لم يكن فيلسوفا أو كاتبا فقط ، بل كان إضافة إلى ذلك أستاذا وعميدا للحياة الثقافية والفكرية بإسبانيا العصر الحديث خلال مدة غير يسيرة. كان شخصية علمية بالغة التأثير في الأنتليجنسيا الأسبانية، أفكاره وآراؤه مؤثرة ونافذة إلى العقول وعيا وأسلوبا وسلوكا.

والمتتبع لهذه العلاقة في بعدها الإنساني والاجتماعي يلمس بأن غوميث كان يمنح قيمة وأهمية كبيرتين لها، ويقدرها حق قدرها ويخلص لها، كما يلمس بأن أورتيغا كان يتعامل مع طلابه عامة تعامل الأب مع أبنائه وليس تعامل الأستاذ في قسمه.

غوميث الطالب والعالم والأستاذ والمفكر ... ظل وفيا لرفاقه ولأساتذته ، مدافعا عن أفكارهم وآرائهم ومبلورا إياها بما يخدم الثقافة والمعرفة الإنسانيتين.

كان غوميث بطبعه انفتاحيا على كل التيارات كيفما كانت؛ شريطة أن تساعد في إضاءة جوانب من مشروعه العلمي وتخدم ما يناسب توجهاته العلمية والفكرية.

إن اهتمام غوميث بتلك العلاقة التي تجمعه بأورتيغا راجع أيضا إلى أن الرجل كانت له مواقف إيجابية إزاء التراث العربي الأندلسي بإسبانيا العصر الوسيط، ولم يكن معاديا له، بل أشاد بأهميته وتأثيره على الثقافات العالمية، كما كان يتابع عن كثب ما يكتب أو يؤلف حول هذا التراث الإنساني الخالد التي كانت إسبانيا إطارا جغرافيا محتضنا له.

ظلت العلاقة بين الرجلين وثيقة ومستمرة، محافظة على ثوابتها وعراها لا تشوبها شائبة ولا يكدرها كدر إلى حين وفاة أورتيكا في أكتوبر سنة ١٩٥٥[1] .

## طه حسين وأحمد زكي باشا :

يستطيع المتتبع لمراحل رحلة غوميث لمصر في نهاية العشرينات من القرن الماضي أن يلاحظ وبيسر أهميتها على مسيرته العلمية، ويلمس أيضا مدى التأثير العميق الإيجابي الذي مارسه طه حسين وأحمد زكي على تكوين غوميث الثقافي والمعرفي، خصوصا ما يتعلق باللغة العربية وعلومها وفنونها.

---

Ibid, p:89.- [1]

ففي القاهرة لمس العالمان مواهب غوميث المتعددة في المجال المعرفي كما لمسها قبلهما ريبيرا وآسين بإسبانيا، فكانت علاقته بهما طيبة متميزة إلى حد كبير، يتذكرها دائما بنوع من الفخر وبكثير من الإعجاب والشكر والامتنان لأستاذيه العربيين الجليلين. يقول غوميث عن بداية علاقته بطه حسين: « ...وعن طريقه* تعرفت على طه حسين، في الوقت ذاته كنت أحضر بعض المحاضرات في كلية الآداب، التي كانت "في قصر الزعفران" بالعباسية... وحضرت دروس طه حسين، ومن يومها جمعت بيننا صداقة قوية حتى وفاته»[1].

ولاشك أن غوميث استفاد كثيرا من هذه العلاقة التي كانت تربطه بطه حسين على مستوى الرؤى النقدية للأدب العربي وعلى مستوى استثمار المناهج من خلال توظيفها للاقتراب أكثر من الأدب العربي وفهمه فهما جيدا، وكان طه حسين في كل ذلك ناقدا متمكنا ومحاضراته الكثيرة القيمة تفصح عن ذلك.

ولم تنفصم عرى هذه العلاقة بعد عودة غوميث إلى إسبانيا من رحلة العلم والتحصيل، بل استمرت وتوثقت أكثر من ذي قبل، فكان يزور أستاذه بمصر كلما سنحت الفرصة لذلك. ففي « سنة ١٩٤٧ قام غرسية بزيارة جديدة للقاهرة وبعض حواضر العالم العربي، وفي مصر جدد علاقاته بأوساطها الأدبية ولا سيما بأستاذه القديم طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهما، وفي هذه الملتقيات طرح على طه حسين فكرة إنشاء معهد مصري في مدريد وتبادل الدارسين بين البلدين، وهو المشروع الذي سيقدم على تنفيذه طه حسين بعد سنوات حينما يتولى وزارة المعارف»[2].

وكان من ثمرات اعتراف الطالب غوميث بفضل أستاذه أن قام بإهداء بعض كتبه إلى طه حسين، كما ترجم له بعض أجزاء من سيرته الرائعة "الأيام" إلى اللغة الإسبانية سنة ١٩٥٤ في إطار الأنشطة العلمية وإنجازات "المعهد الإسباني العربي للثقافة" . وظل غوميث يحتفي به أيما احتفاء كلما زار إسبانيا في زيارات رسمية وغير رسمية، فكان وفيا شكورا مقدرا لكل ما بدله معه طه حسين حينما كان ما يزال في بداية حياته العلمية.

---

* - أي عن طريق محمود حسن زناتي الذي كان وقتئذ رئيس مكتبة (الخزانة الزكية). رجل - كما يقول عنه غوميث - ذو تكوين ثقافي تقليدي، ولكنه كان أحد زميلي طه حسين أثناء ثورته بالأزهر (انظر مجلة الوحدة ص: ١٧١).

[1] - انظرالحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث، نشرته نفس المجلة "الوحدة"، الرباط. المملكة المغربية.
ع ٦٢/٦١ سنة ١٩٨٩ ص ١٧١.

[2] - مكي محمود علي: "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ١٧.

ومن ضمن العلامات البارزة في هذه العلاقات أيضا اتسامها بالانفتاح أكثر على شيخ العروبة أحمد زكي، فقد كان غوميث بمصر يلازمه أكثر من ملازمته لطه حسين، فقد استقبله هذا الأديب المصري الكبير في منزله وشجعه على المضي قدما في دراسته للعربية والتوسع في فنونها، وكان من ثمرات هذه العلاقة أن غرس هذا الأديب المصري في نفس غوميث حب الشعر العربي، وتذوقه وتمثله ثم دراسته، يقول تلميذه فرناندو دي لاغرانخا **Fernando De la Granja** « مفتاح السر كان هناك بمصر ببلد الأسرار، وبقصر الجيزة بجوار الأهرام وأبي الهول للقطب السياسي والمحب الكبير للأدب أحمد زكي باشا.... الذي قرأ مواهب غوميث الشخصية مثلما قرأها قبله آسين، ففتح له أبواب منزله ووضع رهن إشارته تجربته الكبيرة في معرفة اللغة العربية وعلومها، ومكتبته، ذلك الرجل المصري الكبير استقبله وشجعه ووجهه إلى الفنون الصعبة لعلم العروض وتفسير الشعر العربي »[١].

واظب غوميث باستمرار على الحضور في الندوات والمجالس العلمية والثقافية التي ينظمها أحمد زكي بمنزله بالجيزة ، يدعو إليها كبار الأدباء والمثقفين بمصر آنذاك، كان غوميث دائما يحكي بنوع من التذكر اللذيذ تلك الأيام الجميلة الرائعة التي كان يقطع مسافات للوصول إلى منزل أحمد زكي، يذكر كل ذلك في مقال له بعنوان **"Mi Viejo Cairo"**[٢]. كما كان أحمد زكي يطلع غوميث بين الفينة والأخرى على المؤلفات التي تزخر بها مكتبته الغنية، وكثمرة لهذه العلاقة الطيبة الحميمة أهداه الأستاذ أحمد زكي «مخطوطا مصورا نادرا وفريدا من نوعه، فكان هذا المخطوط لابن سعيد [المغربي] نقطة انطلاق لدراسات وأعمال غوميث عن الشعر الأندلسي، وأول هذه الدراسات مجموعة "أشعار أندلسية" التي نشرت بمجلة( الغرب) سنة١٩٢٨»[٣].

---

[1]. Granja, Fernando de la. "Homenaje a Don E.G.G) Revista del *Instituto Egepcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII. (1996) p: 65.

[2] - انظر:

- "Intervenci?n del Embajador de Espa?a en el IV congreso de la civilizaci?n andalusi" (homenaje a E.G.G) *El Cairo* (1998) p: 14.

[3]. Lapesa Melgar, Rafael: "Homenaje a Don E.G.G" Revista (*I.E.E.I*).Vol. XXVIII. (1996) p: 74

رجع غوميث من مصر بأعظم هدية تلقاها من الشرق وهي صورة من مخطوط "رايات المبرزين وغايات المميزين" لابن سعيد المغربي، هذا المخطوط سيكون له شأن كبير في حياة غوميث العلمية، وفي مشروعه الثقافي على العموم، ولم تقف أريحية هذا العالم المصري وكرمه وسعة صدره ويده مع غوميث عند هذا الحد، بل تجاوزت هذه الأريحية كل ذلك إلى محاولة تزويد غوميث بمعرفة جيدة بمكونات هذا المخطوط ومضامينه ومحتوياته الشعرية، يقول غوميث عن ذلك: « ... كان يحتفظ [أحمد زكي] بالكثير من الكتب في بيته، من بينها كانت صورة لمخطوط كتاب "رايات المبرزين" لابن سعيد المغربي، وعن هذه الصورة أعطاني نسخة لهذا المخطوط الموجود حاليا في إستانبول، هذا الكتاب الذي نشرته فيما بعد، كنت قد أعددت جزءا كبيرا منه مع أحمد زكي باشا حيث كنا نخصص ساعة كل أسبوع له »[١].

كما كانت لغوميث علاقة طيبة للغاية مع رائد المسرح العربي توفيق الحكيم، يقول عن ذلك: « لي في مصر شخص عزيز كانت تربطني به صداقة قوية وهو توفيق الحكيم، فهو أقدم صديق لي في مصر، ترجمت كتابه "يوميات نائب في الأرياف" ونفذت هذه الترجمة من السوق، كلما أزور مصر كنت ألتقي به ومن هناك تصلني أخباره»[٢].

### ب- علاقته ببعض زملائه :

**إفارست ليفي بروفنصال : EVARISTE LEVI-PROVENCAL**

كانت تربط غوميث بالمستعرب الفرنسي المعروف ليفي ببروفنصال علاقة صداقة وعمل ، فقد أنجزا معا أعمالا تاريخية رائعة عن تاريخ إسبانيا الإسلامية في عصرها الوسيط، ابتدآ هذا التعاون بتحقيق وترجمة ونشر مخطوط تاريخي يتعلق بالخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر)[٣]، ثم توالت أعمالهما المشتركة في

---

[1] - مجلة الوحدة " ع ٦٢/٦١ سنة ١٩٨٩ ص: ١٧١.

[2] - نفسه.

[3] - Provençal, Levi y Garc?a G?mez E. *Una cr?nica an?mica de Abd Al-Rahmān III Al Nasir.* "Consejo Superior de Investigaciones Cient?ficas". Instituto Miguel As?n (Madrid-Granada).1950.

إطار دراسة التراث الأندلسي وإخراج كنوزه الدفينة إلى حيز الوجود لترى النور وتكشف عن فترات كانت مظلمة قبل ذلك من حضارة إسبانيا العصر الوسيط[1].

ويستطيع الناظر في محصلة هذه العلاقة على مستواها العلمي أن يلاحظ ثراءها وتنوع مباحثها ومواضيعها، غير أن ما يربطها ويجمع بين محاورها هو موضوع الحضارة الأندلسية في مختلف تجلياتها، وهي تتوزع ما بين التحقيق والترجمة والتأليف مع دراسات تمهيدية لهذه الأعمال، كما كانت هذه العلاقة الجامعة بين الرجلين تتسم بنسبة غير قليلة من المودة واللقاءات الثقافية، فقد شاركا معا في العديد من المؤتمرات العلمية[2] في كثير من العواصم العالمية بموضوع علمي مشترك هو "حضارة إسبانيا الإسلامية في العصر الوسيط"، حيث اتجهت اهتماماتهما لإنجاز ما نعتبره دون مبالغة مساهمة علمية عميقة في النظر والتمحيص في الحضارة الإسلامية الأندلسية عبر تأسيس مشروع علمي مشترك يتناول بعض النصوص التراثية التاريخية والاجتماعية والاقتصادية[3] التي ترصد مختلف مظاهر الحياة في المجتمع الأندلسي عبر طبقاته المختلفة في أوجهه المادية والفكرية ويعد عمل "إشبيلية في بداية القرن الثاني عشر الميلادي: رسالة ابن عبدون" حصيلة مجهود علمي قيم بينهما لمؤلف من أهم المؤلفات الأندلسية ذات الفائدة الكبرى في دراسة مراسيم السوق الأندلسي وأنظمته. كما تحقق عمل آخر بينهما في حقل التاريخ الأندلسي أيضا هو: "مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة"[4]

---

1 - **Provençal, Levi y Garc?a G?mez E.** ***Sevilla a comienzos del siglo XII el tratado de ibn Abdūn.*** **Moneda y Crédito.1948**

**- Provençal, Levi.** ***Historia de Espa?a Musulmana hasta la caida del Califato de C?rdoba.*** **Traducci?n al espa?ol por E.G.G. Madrid. "Espasa-Calpe".1950.**

**- Provençal, Levi y Garcia G?mez E.** ***El siglo XI en 1e persona: las memorias de Abd Allah, ? ltimo rey ziri de Granada, destromado por los almor?vides 1090.*** **Madrid Alianza Editorial.**

2 - كالمؤتمرات العالمية حول "قضايا الاستشراق ومواضيعه".

3 - **Provençal, Levi y Garc?a G?mez E.** ***Sevilla a comienzos del siglo XII el tratado de ibn Abdūn*** **"Moneda y Crédito"1948**

4 - **Provençal, Levi y Garc?a G?mez E.** ***El siglo XI en 1e persona: las memorias de Abd Allāh, ?ltimo rey ziri de Granada, destromado por los***

وظل غوميث وفيا دائما لهذه العلاقة الطيبة التي جمعته ببروفنصال إلى أن مات هذا الأخير سنة ١٩٥٦ فكتب غوميث عنه صفحات معبرة قيمة بمجلة "الأندلس"[1] تشيد بالفقيد (الإنسان والعالم الباحث) ومساهمته العلمية في خدمة التراث الأندلسي المغربي.

### ج- علاقته ببعض تلاميذه:

لم يكن غوميث دائما ذاتا منفعلة متقبلة ومتأثرة فقط، بل كان ذاتا فاعلة مؤثرة أيضا أثرت في كثير من الشخصيات العلمية المعروفة في ميدان الدراسات الأندلسية، إذ لم تنحصر مجهوداته واهتماماته في مجال التأليف والترجمة وخلق الأفكار وابتكارها، بل كان عمله مركزا كذلك في تكوين الرجال، تكوين باحثين ودارسين أكفاء لمواصلة دراسة الحضارة والتراث الأندلسي بشكل عام.

وتكشف المتابعة الأولية لمستوى هذه العلاقة التي تربطه بطلبته عن قدرة عجيبة على استقطابهم إلى حلقة الدرس الجامعي وغير الجامعي للعديد منهم ومن المهتمين بميدان "الأندلسيات"، إذ امتد به العمر طويلا فكوَّن أجيالا ورعيلا من العلماء المهتمين بالحضارة العربية الأندلسية عربا كانوا أو إسبانيين، وأسس اتجاهات في البحث الأندلسي، وابتكر مباحث هامة في دراسة هذا التراث الغني والاهتمام به .

لقد ظل غوميث طيلة حياته ينتج أفكارا ويفتح مباحث ويكوِّن طلابا، إنه أشبه بمؤسسة علمية تعليمية متحركة تسهر بتفان وصبر وطول النفس على تطوير البحث العلمي وفروعه في ميدان "الأندلسيات"، كما ظل حريصا على التدريس الجامعي الصارم والتكوين البيداغوجي المتميز الذي ينشئ باحثين ويبتكر اتجاهات وتصورات في الدراسات الاستعرابية الحديثة.

ولهذا حينما نقوم هنا برصد ملامح وأوجه هذه الثنائية من العلاقة (أستاذ/طالب) فإننا لا نروم الإحاطة الشاملة بكل مظاهرها وعناصرها ونماذجها، فهذا عمل علمي ضخم يعجز هذا الحيز الصغير من هذا الفصل عن تحقيقه أو النهوض به، بقدر ما سنسعى إلى تقديم بعض النماذج القليلة لهذه العلاقة كشهادة

---

***almor?vides 1090*. Madrid Alianza Editorial**

[1] - انظر:

**Garc?a, G?mez .E "levi-provençal (4 enero 1894 – 23 marzo 1956)" *Al-Andalus* vol: XXI Fasc: II.**

حية دالة على عمقها وعمق الروابط المؤثرة التي مارسها غوميث على طلبته وعلى المهتمين بمشروعه العلمي في دراسة التراث الأندلسي.

وقد لا نبالغ إذا قلنا إن نصف الأساتذة المهتمين والدارسين للتراث الأندلسي اليوم قد تكونوا على يده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فقد أنشأ طلبة أصبحوا فيما بعد أساتذة يكونون طلبة آخرين على أفكار غوميث وتعميقها وتوسيعها، ثم أصبح طلابهم هم بدورهم أساتذة وهكذا...

وتأسيسا على ما أشرنا إليه آنفا وانسجاما مع خطتنا في عرض معطيات هذه العلاقات في مستوياتها المختلفة ، سنقتصر في هذه العلاقة (أستاذ/طالب) على إيراد نموذجين دالين هامين هما:

نموذج خواكين بايبي برميخو ورافييل لابيسا ميلكار.

## خواكين بايبي برميخو Joaqu?n Vallvé Bermejo

يقول برميخو عن بداية علاقته بأستاذه غوميث: « يعود ارتباطي الشخصي بإميليو غارثيا غوميث إلى زمن بعيد منذ مرحلة الدراسة الجامعية بعد دراستي للموسمين الدراسيين الأولين في الفلسفة والآداب بغرناطة. بجامعة غرناطة تلقيت دروسي الأولى في مادة اللغة العربية على يد سيكو دي لوثينا، هذه الدروس التي كانت تضاف مع الأخرى المأخوذة بمدرسة الدراسات العربية بدار تشابيث « Escuela de Estudios ? rabes de la casa del Chapiz » أمام قصر الحمراء، المدرسة التي كان دون إميليو أول مدير لها سنة ١٩٣٢ ، وكنت ممنوحا حينها من قبل المفوضية الإسبانية المكلفة بالتربية والتعليم بالمغرب ، وأسكن بدار المغرب وهي عبارة عن فيلا غرناطية جميلة، ولكن المطبخ كان بالطابق الأول بدار تشابيث، حدث هذا في الموسم الجامعي (١٩٤٨–١٩٤٩)، وكانت الأستاذة، خواكينا إيكواراس Joaquina Eguaras هي التي تقدم تلك الدروس غير العادية إلى طلبة الأسلاك العليا والدكتوراه ، كانت أستاذة ممتازة وذات تعاطف كبير، ونبوغ. هي وكارمينا بيانوييا: (Carmina Villanueva) الناشرة لكتب عن مملكة غرناطة، اللتان تعتبران محرك المدرسة وهما من المعجبات كثيرا بدون إميلو. كانت خواكينا إيغواراس هي التي شجعتني على نقلي إلى مدريد لمتابعة التخصص في الفيلولوجية السامية بالجامعة المركزية في شتمبر ١٩٥٠. ومثلما أنني لم أحمل وقتئذ أية توصية لا من دونيا خواكينا ولا من أحد وقعت في أقسام دون إميليو كمتطفل... حينما عرفته كان عمره خمسة وأربعين عاما كان يقظا رشيقا،

نظرته نافذة، صوته قوي ومنخفض، يفرض الاحترام على الجميع، إجاباته قاطعة وحاسمة، كانت معاشرته ودية، ومحادثاته مصقولة...»[1].

وتفصح شهادة تلميذه برميخو هذه عن مكانة غوميث العلمية التربوية وعن أسلوبه الجذاب الهادئ، المتزن في الإلقاء والتلقين وشد انتباه المتلقي إلى ما يقوله ويكتبه، كما تؤكد على أنه شخصية مستوعبة بشكل ناضج وعميق لجمالية الإلقاء والحوار، وتبليغ الأفكار والأبعاد بشكل مقبول ومقنع. وغوميث كان أستاذ برميخو في اللغة العربية لموسمين جامعيين ١٩٥٠ و١٩٥١[2]. وعلى يده تلقى مبادئ الترجمة العربية ونقد النصوص والمدونات الأندلسية والتعليق عليها.

يقول برميخو عن ذلك في موضع آخر: «...بالنسبة إلي لفت انتباهي منذ الوهلة الأولى دقته، وضوحه، وبراعته في العرض، صوته منخفض وقوي، خطه خلاب، أسلوبه رائع، الأسلوب الذي سبق لي أن عرفته انطلاقا من كتابه: "مختارات عربية للمبتدئين"[3] مقتفيا تقاليد أستاذيه : ريبيرا وآسين»[4].

كل هذه الإيجابيات التي امتلكها غوميث كانت تنعكس في مؤلفاته الرصين كما كانت تتجلى في حلقات الدرس والتحصيل مع طلبته في رحاب الجامعة، يقول برميخو أيضا « الكل يعرف ويدرك طاقته المتفردة، ومواهبه العالية في مجال المعرفة، يعد حجة يرجع إليه من قبل الباحثين، حازم، وله تجربة كبيرة في مجال تحمل المسؤولية، يخلق بذلك جوا من الرغبة العارمة، من الهدوء والطمأنينة والسكون والسلم، له تأثير عميق، وصدى اجتماعي داخل كثير من المحافل الثقافية والعلمية... كان يثير انتباهي دائما في أعمال غوميث دقته، بساطته، اعتداله، عفته، كان يكتب بإسبانية أنيقة»[5].

---

1 . Vallvé, Bermejo. J. "Homenaje a Don.E.G.G." Revista del (*I.E.E.I*). Vol. XXVIII (1996), pags: 139 – 140.

2 - Vallvé Bermejo, J. "Homenaje a Don. Emilio Garc?a G?mez. Conde de los Alixares" El Cairo (1998), p: 332.

3 . Garc?a G?mez .E *Antologia ?rabe para principiantes: textos ?rabes sin vocalizar*. Madrid. Espasa-Calpe. 1994

4 - Vallvé Bermejo, J.»Don Emilio Garc?a G?mez Conde de los Alixares" p: 332

5 - Ibid. p: 333.

استفاد غوميث الأستاذ كثيرا من التدريس بالجامعة ومن إلقائه للعروض والمحاضرات، فقد مكنته بيداغوجية الإلقاء وشد الانتباه والإنصات أن يعرف كيفية التبليغ والنفاذ إلى عقل المتلقي المتتبع وتشغيل حواسه الاستيعابية التي تسخر لالتقاط المعرفة والأفكار. كل هذا جعل من غوميث مجادلا منذ البداية، ولهذا كان دقيقا في استعمال المفردات والتعليق عليها وشرحها وبسطها متى احتاج إلى ذلك ورغب فيه واعتقد ذلك ضروريا... وأمام أي تحد فكري أو ثقافي كان يفور دمه... وكان في هذه المناظرات والمجادلات يبرز تمكنه العميق والدقيق للغة الإسبانية[1].

**رافاييل لابيسا ميلغار Rafael Lapesa Melgar** يتحدث رافاييل لابيسا ميلغار عن بداية علاقته بغوميث التي كانت طويلة وكانت منذ بداية حياة غوميث العلمية الأكاديمية فيقول: « علاقتي بغوميث كانت دائما وثيقة تجمع بين أخ كبير وأخيه الأصغر... في شهر ماي من سنة ١٩٢٧ حينما كنت أدرس في القسم الرابع والأخير لدروس الإجازة في الآداب، دون أمريكو كاسترو **Don Américo Castro** في تاريخ اللغة الإسبانية انصرف إلى ألمانيا مدعوا لإعطاء [إلقاء] العديد من المحاضرات في كثير من الجامعات الألمانية، وهنا في جامعة مدريد حل محله أستاذ مساعد شاب غير متخصص في المادة - حسب ما كنا نعتقده - لكنه كان مستعربا محدثا، الطلاب السبعة - ثلاث بنات وأربعة ذكور - اثنان منهم كهنوتيان، كنا نسمع أحاديث عن قيمة وأهمية غوميث غير العادية، الذي حصل على الدكتوراه بأطروحة استثنائية... كان عمر غوميث آنذاك ٢٩ سنة حينما كان يأتي لإعطاء الدروس في جامعة مدريد، مرتديا بزة نظامية عسكرية كجندي، ولكن هذا الجندي الشاب كان يعطينا سلسلة من الدروس الممتازة عن المفردات العربية الدخيلة على لغتنا عبر التاريخ... وحينما حصلت على الإجازة وبدأت أتلقى تداريبي المهنية في الفيلولوجيا بمركز الدراسات التاريخية بتوجيه من رامون مننيدث بيدال اغتنم هذا الأخير فرصة زيارات غوميث المتكررة للمركز ليطلب منه أن يزودنا بمعلومات عن علم الاشتقاق والتعريف بالمفردات النادرة الدخيلة إلى اللغة الإسبانية والتي تظهر في الوثائق اللاتينية...»[2].

---

[1] - Vallvé Bermejo, J.»Homenaje a Don.Emilio Garc?a G?mez" Revista del (*I.E.E.I*). Vol. XXVIII (1996), pags: 133 – 134

[2] - Lapesa Melgar, R. "Homenaje a Don Emilio Garc?a G?mez" Revista del *(I.E.E.I)* Vol. XXVIII (1996), p: 73

كان غوميث يجيد اختيار الأصدقاء والزملاء وينتقيهم ، كما كان يجيد اختيار وانتقاء النصوص والمباحث التي كان يعتمدها في صياغة مشروعه العلمي فيعمل جاهدا وبكل ما أوتي من حرص على احترام تلك العلاقات التي تربطه بالآخرين كيفما كانت انتماءاتهم وطبقاتهم وميولاتهم وتكوينهم العلمي والمعرفي، فكان يقدس هذه العلاقات ويحافظ عليها كأثمن شيء في حياته .

## ٨- غوميث وا لمجد العلمي والأدبي الخالد:

ويمكن القول دون مبالغة إن غوميث أوتي من المجد العلمي والشهرة والنجاح والتقدير ما لم ينله مستعرب إسباني آخر محدث إلى الآن. كل ذلك بفضل ما جاء به من تصورات جديدة في دراسة التراث الأندلسي، وبما أسسه من إنجازات علمية يشهد له بها الجميع على مستوى تناوله لهذا التراث من جوانبه وتجلياته المختلفة مادية كانت أو معنوية عبر مسيرة حياته الطويلة الغنية المثمرة، وبفضل شخصيته العلمية القوية المعروفة على صعيد واسع أصبح الاستعراب الإسباني الحديث يحقق حضوره الفعلي القوي في العالم. هذه المكانة المرموقة التي كانت لغوميث عبر العالم جعلته يحظى بشتى ألوان الاحترام والتقدير والإعجاب لدى أغلب الهيئات والمعاهد والمؤسسات العلمية داخل إسبانيا وخارجها، كما نال أصناف التشريف والتكريم والألقاب، فبلاده إسبانيا منحته لكفاءته ولشخصيته العلمية البارزة عضوية أرقى المؤسسات العلمية بها.

فكان عضوا في الأكاديمية الملكية للتاريخ (٣ فبراير ١٩٤٣) ثم رئيسا لها فيما بعد. كما كان عضوا في الأكاديمية الملكية الإسبانية (٢٢ نوفمبر ١٩٤٥)، و« في السنوات الأخيرة من عمره منحته الحكومة الإسبانية جائزة الدولة التقديرية في مجال الدراسات التاريخية (سنة ١٩٨٩)، ثم جائزة "أمير أستورياس" التي تعد من أكبر الجوائز الإسبانية (سنة ١٩٩٢) . هذا إلى جانب عدد كبير من الأوسمة من إسبانيا ومن دول أجنبية عديدة، وكان آخر تكريم له هو منح ملك إسبانيا إياه لقب "كونت دي أليخارس" **Conde de Alijares** »[1].

الدول الأجنبية هي أيضا عرفت قدره وقيمته العلمية فمنحته عضوية أهم مؤسساتها ومعاهدها العلمية والثقافية، وبموجب هذه التشريفات أضحى غوميث:

- عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة بمصر.
- عضوا مشاركا في أكاديمية الملك فؤاد الأول بالقاهرة.

[1] - محمود علي مكي: " ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ٢٢.

- **عضوا مراسلا في المجمع العلمي بدمشق (٢٨ دجنبر ١٩٤٨) بسوريا.**
- **عضوا في المجمع اللغوي العراقي ببغداد، العراق.**
- **عضوا في "المعهد الدولي للعلوم السياسية والاجتماعية ببروكسيل (١٤ مارس ١٩٥٠) ببلجيكا.**
- **عضوا مراسلا في معهد "الجمعية الإسبانية بأمريكا"(٨ أكتوبر ١٩٥٣) بنيورورك، الولايات المتحدة الأمريكية.**
- **عضوا في الأكاديمية الوطنية للعلوم بإيطاليا.**
- **عضوا في اللجنة الإدارية ل"موسوعة الإسلام".**
- **عضوا أكاديميا شرفيا بأكاديمية اللغة ببوكوطا بدولة كولومبيا.**
- **عضوا في اللجنة الاستشارية للمؤتمرات الاستشراقية.**
- **عضوا في كثير من الجمعيات الإنسانية الأمريكية.**
- **عضوا مشاركا في أكاديمية المملكة المغربية بالرباط، بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٨٠.**
- **ومديرا للأكايديمية الملكية الإسبانية للتاريخ سنة ١٩٨٩.**

**منح غوميث أيضا مرتبة دكتوراه الشرف " الدكتوراه الفخرية" من العديد من الجامعات العالمية أهمها:**

- **جامعة بوردو (٢٧ نوفمبر ١٩٥٠) بفرنسا.**
- **جامعة الجزائر.**
- **جامعة القاهرة (سنة ١٩٥٠) بمصر.**
- **جامعة غرناطة، ثم بجامعة إشبيلية.**
- **جامعة قرطبة.**

**بالإضافة إلى ذلك حاز على جوائز عديدة منها:**

- **جائزة "فاستنرات" التي نالها في بداية حياته العلمية سنة ١٩٣٠ عن بحثه "نص عربي أندلسي لأسطورة الإسكندر ذي القرنين" التي كان المجمع اللغوي يمنحها كل سنة لا حسن بحث علمي...**
- **جائزة مننديث بيدال بإسبانيا.**
- **جائزة مننديث بيلايو Pelayo الدولية للتاريخ سنة ١٩٨٩ بعد أن رشحه نادي (سانتاندير) فنالها بإجماع لجنة التحكيم من بين قائمة كبيرة ضمن مشاهير الأدباء والأكاديميين.**
- **جائزة الدولة التقديرية في مجال الدراسات التاريخية سنة ١٩٨٩.**

- جائزة "الأمير أستورياس" سنة ١٩٩٢ بإسبانيا التي تعد من أكبر الجوائز الإسبانية.

إلى جانب الأوسمة ودرجات التقدير والتشريف من قادة ورؤساء وملوك بعض الدول العربية والإسلامية بالخصوص... وكان آخر تكريم له قبل أن يودع هذا العالم منح ملك إسبانيا لقب كونت دي لوس ألخاريس **Conde de los Alijares** حيث كان أصل هذا الاسم مجهولا حتى اكتشفه غوميث.

كما كانت لغوميث علاقات وصلات متينة وطيدة مع مختلف شرائح المجتمعات العربية والغربية، مع مفكرين وفنانين ورجال الدين وطبقات أرستقراطية، وسياسيين ورجال الدولة، وفنانين وأدباء وشعراء وأركيولوجيين...

ومع العرب والمسلمين كان تربطه علاقات طيبة وجيدة ب :أحمد زكي باشا ـ طه حسين ـ العقاد ـ توفيق الحكيم ـ البياتي ـ السياب ـ نازك الملائكة ـ محمد بنشريفة ـ عبد الهادي التازي ـ أحمد هيكل ـ الطاهر أحمد مكي ـ محمود علي مكي ـ أحمد المختار العبادي ـ حسين مؤنس... إلى جانب شخصيات مثقفة أخرى كثيرة داخل إسبانيا وخارجها من دول العرب والغرب.

كما كانت له صداقة وطيدة ومتينة ببعض رجال السياسة كشاه إيران، وعصمت إينونو ـ وعبد الكريم قاسم ـ والجنرال شهاب رئيس لبنان...

وجه آخر لغوميث لا نعرفه عنه جيدا، ربما لأنه يبدو غير بارز بشكل كاف هو وجهه الفني المتمثل في ذاته الشاعرة والعاشقة للشعر العالمي الجميل والذواقة له، كان غوميث إلى جانب انشغاله العلمي ، وطغيان الذات العالمة عليه كان يخلد أحيانا إلى محراب الشعر يتعبد فيه بقصائد جميلة تحيي فيه الذات الشاعرة الراقدة في داخله، فيجد متعة في قراءته لا مثيل لها. فكان قبل أن يموت بأيام قليلة ينعش ذاكرته منشدا كل يوم بعض أشعار هوراثيو [Horacio]. كان قارئا ودارسا ومترجما ممتازا باللغة الفرنسية والإنجليزية، وقارئا جيدا للغة اللاتينية، تعلمها على يد الأستاذ خوليو ثيخا دور **Julio Cejador** ترجم للشاعر هوراثيو بعض أشعاره[1]. كما كان يلقي خطبه وكلماته في المحافل العربية والإسلامية بعربية فصيحة وبلسان طليق فكان يلقى إعجابا واحتراما وتقديرا وإكبارا من الجميع.

---

[1]. Vallvé. Bermejo, J "Don Emilio Garcia G?mez, el conde de los Alixares" p: 343.

## ٩- وفاتــه :

وهكذا تنتهي مرحلة مدريد بانتهاء حياة غوميث الطويلة الغنية، ويقف نبض الحياة المتوهج في جسد إميليو يوم الأربعاء ٣١ ماي من سنة ١٩٩٥ على الساعة السادسة مساء بمنزله بإقامة الأساتذة بالمدينة الجامعية بمدريد[1]، بعد عمر طويل حافل بالأعمال والإنجازات والأسفار واللقاءات والمحاضرات والتكريمات والأوسمة والجوائز والتشريفات، وتقف حركة جسده النحيل عن النشاط والخلق الذي كان بحجم عمل ونشاط مؤسسة علمية بكامل أفرادها وأطرها وبرامجها؛ فكان بحق فردا بحجم أمة، وعمله يسع مجهود فريق من العلماء والباحثين، كما كانت حياته تختزل مسيرة قرن كامل من تاريخ المنظومة الاستعرابية الحديثة.

توفي غوميث عن سن يناهز التسعين سنة إلا أربعة أيام، فأقيمت له مراسيم جنائزية كبيرة حضرتها شخصيات هامة مرموقة جدا على رأسها ملكة إسبانيا دونيا صوفيا لتقديم عزاء الأسرة الملكية إلى زوجة الفقيد السيدة ماريا لويسا وإلى أفراد عائلة غوميث ، كما حضر مراسيم العزاء العديد من أصدقائه الأكاديميين، والأساتذة وتلاميذه، ورجال السياسة والدولة، والعائلات المعروفة بمدريد[2].

في منتصف يوم الخميس ١ يونيو نقل جثمانه من مدريد إلى دار تشابيث **Casa del chapiz** مقر مدرسة الدراسات العربية بغرناطة حيث كان غوميث أحد مؤسسَيْها وأول مدير لها بغرناطة سنة ١٩٣٢. ووصول جثمان إميليو غارثيا غوميث إلى غرناطة له كثير من الدلالات العميقة والرموز المعبرة أهمها تحقيق آخر أمانيه وهي أن يبيت بمقر مدرسة الدراسات العربية **"Casa del Chapiz"** - كما قلنا -. وفي اليوم الموالي أي يوم الجمعة ٢ يونيو أقيمت له مراسيم الدفن والتشييع في جو مهيب بمقبرة سان خوصي **San José** أمام بقايا القصر العربي قصر الدشار وبالقرب من جنة العريف وسرح العربي **Generalifé y silla del moro**[3]. فكان له ما تمناه طيلة حياته أن يدفن في هذه المدينة الأندلسية الجميلة غرناطة، التي أحبها وعشقها حتى النخاع والتي كانت مصدر إلهام لكثير من أعماله وأبحاثه الرائدة.

---

[1] - **Ibid p :328.**

[2] - **Ibid p :328.**

[3] - **Vallvé.Bermejo, J. « Homanaje a D.E.G.G » Revista del (*I.E.E.I*) Vol. XXVIII (1996) p: 138.**

# الفصل الثاني

# الترجمة عند غوميث

**(قراءة في المفاهيم والحصيلة والتلقي).**

تمهيد.

1 - مفهوم الترجمة عند غوميث.

أ ـ الترجمة تأويل وتفسير.

ب ـ عملية الترجمة وحيثيات النص المترجم.

2 – تعدد مجالات الترجمة وحقولها عند غوميث.

3 – مواصفات المترجم المبدع وشروط إنجاز ترجمة جيدة في تصور غوميث.

4 – من هو المتلقي لترجمات غوميث؟

5– تركيب.



## تمهيد:

لا نهدف من وراء هذا الفصل إلى رصد مظاهر الترجمة في شموليتها وتجلياتها المتعددة، أو الكشف عن خصائصها وأصنافها واتجاهاتها أو أبعادها الإجرائية والمنهجية في سعيها إلى نقل النصوص والثقافات، وخلق جسور المثاقفة بين الشعوب واللغات والرؤى في إطار حوار الحضارات، أو حوار الثقافات .

كما أننا لا نسعى أيضا إلى اتخاذ موقف لصالح نظرية في الترجمة ضد أخرى؛ فكل ذلك يخرج عن نطاق هذا الفصل وحجمه ، وقد تناول هذه المباحث مجتمعة أو متفرقة دارسون ومنظرون أو ممارسون للترجمة بنوع من التفصيل والإسهاب الكافيين. وإنما سنسعى في حدود حجم هذا الفصل وسعته إلى تناول بعض القضايا العلمية والمعرفية والمنهجية المرتبطة أساسا بالترجمة (مباحثها، مفاهيمها، مستوياتها، حقولها، أهدافها، توجهاتها...) عند شيخ المستعربين الإسبان المحدثين إميليو غارثيا غوميث ؛ وذلك انطلاقا من إثارة مجموعة من الإشكالات المنهجية والمعرفية التي يطرحها هذا الموضوع، والتي نراها في اعتقادنا ضرورية ، إن لم نقل محورية في الكشف عن مكونات مشروعه العلمي الاستعرابي خاصة ، وعند المستعربين الإسبان المحدثين عامة؛ لما يتسم به من أهمية وما يكتسيه من إلحاحية، لمعرفة مواقفه وتصوراته من مسألة دارسة التراث الأندلسي وترجمته بشكل عام .

كما تستدعي معالجة هذا الموضوع أيضا استحضار التحديات الكبرى التي تطرحها عناصره وقضاياه بحدة أبرزها غياب شبه مطلق للأعمال النقدية المكتوبة باللغة العربية التي تتناول هذا المبحث - مبحث الترجمة عند غوميث خاصة وعند المستعربين الإسبان المحدثين عامة- بالدراسة والنقد والتحليل؛ مما يضاعف من عملنا داخل هذا الفصل ، كما تستدعي هذه المعالجة استحضار علاقة مشروع إميليو غارثيا غوميث في الترجمة بالبواعث والملابسات التي أنشأته؛ وكانت باعثا على ظهوره وانبثاقه، وبالمنطلقات والخلفيات التي حركته والتصورات والرؤى التي أطرت أعماله وإنجازاته ووجهتها، فساهمت في بلورتها في صيغتها النهائية التي وصلتنا بها، وأيضا استحضار الأهداف والغايات والمرامي التي كانت وراء إنجاز هذا الكم الهائل والمتنوع والغني من الترجمات للأعمال والمؤلفات الأندلسية التي تؤلف بحق مشروعا علميا زاخرا ومتكاملا ومنسجما وجديرا بالعناية، ولافتا للانتباه والإعجاب لتعدد الروافد العلمية التي استرفد منها ترجماته، مع ربط هذه المعطيات بسياقات موضوعية تتصل بالمنظومة الاستعرابية الحديثة ومدى

مساهمتها في النهوض بترجمة هذا التراث بوجه عام، وبسياقات ذاتية أخرى خاصة، تتعلق بالذات المنتجة - ونقصد بها غوميث - لهذه الترجمات في ارتباطها بكل ما أنتجته من أعمال وما حملته من مفاهيم وتصورات ورؤى تجاه وظيفية الترجمة؛ وما اقتنعت به من ثوابت لرسالتها وأهدافها.

ولهذا فإن دراسة هذه الترجمات بمعزل عن استحضار هذه العوامل المحيطة بها والتي أنتجتها وبلورتها تبقى عملا ناقصا مبتسرا ، ولا يضع الظاهرة في إطارها الصحيح الشمولي الذي أفرزها؛ كما يبقى النظر بدونها إلى هذه الإنجازات الكبرى التي حققها هؤلاء جميعا غير ذي جدوى وقد يخلو من الموضوعية.

ولكن حينما نريد القيام بأجرأة هذه المعطيات المشار إليها آنفا وترجمتها إلى واقع فعلي منجز ، فإن أولى الخطوات المنهجية التي ينبغي القيام بها تبدأ بصياغة أسئلة استراتيجية عن كل حيثيات الموضوع ، وعن كل ما يتعلق بترجمات غوميث المتعددة، في علاقتها المرجعية والعلمية بالمنظومة الاستعرابية الحديثة التي ينتمي إليها. لما لهذه الأسئلة من أهمية قصوى عند ولوج عالم غوميث الكثير الظلال؛ المتعدد الأروقة والردهات، مع خلق إمكانات مهمة لفك مغاليقه، انطلاقا من البحث في أعماله مجتمعة عن إجابات معقولة ومنطقية ومقنعة عن سر هذا النبوغ والإقبال والذيوع والنجاح الذي حققته هذه الترجمات على صعيد صياغة معرفة قريبة إلى حد كبير من هذا التراث الأندلسي، وأهميتها في تزويد الباحثين والدارسين بهذه المعرفة الغنية المتنوعة وإن كانت تشوب هذه الترجمات بعض الهنات سنرجئ الحديث عنها في موضعها من هذا الفصل.

وهذه الأسئلة الاستراتيجية الهامة هي:

- كيف كان يرى غوميث الترجمة؟ أي ما هو مفهومه للترجمة ولوظيفتها؟
- كيف كان يتصور مهمة المترجم ورسالته؟ ومن هو المترجم الجيد في نظره؟ وكيف يستطيع أن يحقق هذه الجودة؟ وبماذا؟.
- ما هي المنطلقات العقائدية والعرقية والثقافية والعلمية والحضارية.... التي أطرت توجهاته وتصوراته ورؤاه أثناء الترجمة، فأكسبته هذه النظرة التي أنجز بها كافة أعماله في الترجمة؟
- ما هي عناصر التفرد والتميز في ترجماته عن غيره من المترجمين الإسبان وغيرالإسبان؟ وهل كان منسجما مع الطرح والتصور الإسبانيين في مسألة تعامله مع هذا التراث في شموليته أم كان يسير في اتجاه معاكس؟

- هل كانت هذه الترجمات التي أنجزها غوميث متماسكة مع منطلقاتها وتصوراتها؟ وهل كانت متلاحمة دلاليا ومعرفيا ومنهجيا وقادرة على إقناع قرائها المتعددي الانتماءات والجنسيات والتأثير فيهم واجتذابهم إليها، أم كانت عكس ذلك؟

إذن من خلال هذه الأسئلة الإستراتيجية المتنوعة سنسعى إلى مقاربة القضايا المركزية والأساسية المتعلقة بالموضوع، والمتصلة ببناء الجهاز النظري والتطبيقي لمشروع غوميث في ميدان الترجمة، مع الإشارة أيضا إلى المسائل المنهجية والمعرفية المتصلة بالمنظومة الاستعرابية الحديثة ككل في إنجازاتها الكبرى لترجمة نفائس التراث الأندلسي ، نأمل أن نبني عليها حوارنا وتحليلنا عبر المساءلة ـ كما قلنا ـ والتحليل والمعالجة الضرورية.

## ١- مفهوم الترجمة عند غوميث :

لا ينكر أحد ما لإميليو غارثيا غوميث من أهمية وفضل على التراث الأندلسي؛ بما ألفه من كتب ودراسات ذات مستوى رفيع تعالج قضاياه الكبرى وفنونه المتنوعة، وبما أنجزه من ترجمات قيمة لعيون هذا التراث؛ شملت أغلب ميادينه وتجلياته الفكرية والأدبية والفنية والأركيولوجية والاجتماعية...، وأيضا بما خلفه من تراكم علمي هائل في هذا الباب.

كما تتجلى أهمية الرجل أيضا في ما أسسه من رؤى وتصورات لدراسة هذا التراث الإنساني المشترك بين شعبين ولغتين وحضارتين متجاورتين، وما صاغه من شروط ومفاهيم ومواصفات ترتبط بعملية الترجمة كممارسة وكفعل حضاري ثقافي، وبدور المترجم وموقعه ومنطلقاته وقناعاته التي يتبناها ويدافع عنها ويعمل جاهدا على تحقيقها على أرض الواقع في ممارساته لعملية الترجمة. إذن كيف كان يرى غوميث الترجمة؟

### أ. الترجمة تأويل وتفسير:

وإذا ما نحن حاولنا أن ننظر في مفاهيمه التي صاغها حول الترجمة، فإننا سنجدها تقوم بشكل أساسي على مبدأين مترابطين متلاحمين لا ينهض الأول ويتحقق إلا في إطار علاقته الوطيدة بالثاني هما: التأويل والتفسير، إذ يعتبرهما عصب الترجمة ومركزها وعليهما عمادها واعتمادها، وليست مجرد عملية نقل حرفية تلغي روح الأعمال المترجمة وجوهرها.

وفي سبيل توضيح مفهومه للترجمة نورد له نصا يوضح ذلك، يقول: « الترجمة إنما هي في الواقع تأويل وتفسير، وهي أشبه شيء بالجلوس إلى المعزف أمام "نوتة" موسيقية وعزفها، وقد يقال إن القطعة الموسيقية صامتة على الورق وإنها لا تفهم إلا إذا عزفت، في حين أن المؤلف المنقول ناطق في لغته، ولكن هذا الاعتراض إنما يؤيد ذلك التشبيه ولا يضعفه. ذلك أن المؤلف المنقول، وإن كان ناطقا في لغته، إلا أنه صامت في غيرها من اللغات، ونحن نترجمه إليها لينطق، وبدون هذا يظل صامتا فيها، مثله في ذلك كمثل القطعة الموسيقية تماما: لابد من بعثها على النطق وعزفها والتعبير عما فيها، وتحويلها إلى موسيقى حية. ولا بد أن نفرق بين ناحيتين متباينتين عند كل معبر عن قطعة موسيقية أو عازف لها: الناحية الآلية، وناحية الإلهام والذوق الفني، ولا غنى في الأداء الموسيقي عن إحدى هاتين الناحيتين، وبدونهما لا يتحقق الإحساس بالمتعة الجمالية، مثل هذا يحدث في حالة الترجمة، فليست هناك بطبيعة الحال ترجمة ما لم يقم المترجم بالمقابلة الآلية لألفاظ القطعة المترجمة وألفاظ اللغة التي يترجم إليها لفظا بلفظ، مع مراعاة ما تقتضيه الأصول اللغوية عند النقل من لغة إلى أخرى، بيد أن الترجمات العديمة الروح هي التي تتمسك بالناحية الآلية وحدها، أو التي لا ترمي إلا إلى هذه الناحية الآلية، في حين أنه لا بد للترجمة الصادقة من اختيار الألفاظ، وترقيم القطعة من جديد، وتقسيم الفقرات تقسيما يباين تقسيمها في الأصل،ولا بد من حذف شيء هنا وإضافة شيء هناك، ولا بد كذلك من التجاوز واستعمال لفظة دارجة عن المعنى تعبيرا دقيقا أو إدخال لقطة مألوفة (وإن لم تكن فصيحة متخيرة)، وذلك كله يلقي ضوءا بينا على المعنى العام، ولا بد من "بث الروح" في النص المترجم»[1].

ثم يضيف غوميث قائلا « ... إنه لمن الوهم الخادع أن نظن أن الترجمات إنما هي مجرد عمليات آلية، وقد يصح هذا في حالة ترجمة كتاب في الجبر مثلا، مع أني أشك في ذلك أيضا، ولكنه لا يصدق بحال على ترجمة عمل إبداعي أدبي »[2].

---

[1] - إميليو غارثيا غوميث ، " كتاب الأيام ومكانه في تاريخ النثر العربي " ترجمة حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، العدد ١ و٢ السنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

[2] - نفسه، ص: ٢٥٠.

نستنتج إذن في ضوء ما ورد في هذا النص أن غوميث يؤسس تصوره ومفهومه حول الترجمة ووظيفتها على إجراءين أساسيين يشكلان في نظره منطلقا في الترجمة وقناعة ثابتة يستنير بها لتحقيق كل ذلك.

فلا شك إذن أن غوميث وهو ينظر إلى الترجمة كمشروع علمي وحضاري، ويعالج موادها ومكوناتها باعتبارها عملا تقنيا وإبداعيا كان لا بد له من أن ينجز هذه التعريفات الدقيقة لها التي تتأسس على تصورات، ومفاهيم محددة ملموسة وإجرائية.

ولعل أهم ما ينبغي ملاحظته في هذه المفاهيم هو اتفاقها جميعا حول إجرائية الترجمة، وبعدها الوظيفي، اعتمادا على ثابتين أساسيين هما: التأويل والتفسير، وكل تأويل أو تفسير هو في حد ذاته عملية قراءة وإنتاج جديدة لدلالات النص المترجم.ولكن ذلك  لا ينبغي أن يبتعد كثيرا عن خصوصيات النص المترجم ومعانيه ومضامينه المركزية الأصلية ، مع احترام لها بطبيعة الحال والتحرك في فلكها، حتى لا تتحول الترجمة إلى إنتاج نص جديد مخالف للأصل الذي انطلقت منه، ولذلك تكون الترجمة انطلاقا من هذا المنظور محاولة تقديم معرفة للنص الأصلي بلغة جديدة تتلاءم وتصورات ورؤى مبدعه الأول والجماعة التي ينتمي إليها المبدع والنص معا.

إذن فكل ترجمة هي في الواقع إنتاج للنص من جديد؛ في بيئة ولغة جديدتين عبر قناتي التأويل والتفسير لكل مكوناته، وكل مترجم يقرأ ذاته في النص، أي يقرأ حمولاته المعرفية والثقافية والحضارية بدون أن يشعر بذلك أو يقصد إلى ذلك، ولهذا قد تتعدد الترجمات للنص الواحد داخل اللغة الواحدة، وهذا يعني أن الترجمة تختلف باختلاف المترجمين وأدواتهم وثقافتهم ومواقعهم ورؤاهم ومناهج الترجمة عندهم.

وكل ترجمة في نظر غوميث تنطلق من تأويل النص وتفسيره هي بالضرورة تخدم معانيه وأبعاده ومضامينه المتضمنة فيه، وتبتعد قدر الإمكان عن كل نقل ميكانيكي آلي لمفرداته وعباراته واستبدالها أو تغييرها بأخرى من اللغة الهدف. ومن هذا المنطلق تكون الترجمة التأويلية التفسيرية بمثابة نقل أو استدعاء لأبعاد النص المترجم وبناه، ولا تعير اهتماما كبيرا للمستوى اللغوي الضيق فيه، الذي يخنق أنفاس المترجم، ويحد من حريته في اختيار ما يناسب معاني النص الأصل من دلالات ومضامين، وليس من كلمات ومفردات معجمية محنطة وفاقدة لحركيتها داخل التداول النصي، والسياقي.

فاللغة تستمد قوتها الدلالية من سياقاتها التداولية والمقامية، وليس من بنيتها الجامدة الساكنة التي تستوطن المعاجم والقواميس الباردة. وهذا ما كان يسلكه

غوميث في أغلب ترجماته، فهو لم يلتزم فيها ببرودة الدلالات المعجمية للكلمات، ولكنه كان يتصرف فيها بمقتضى ما يمليه سياقها الوظيفي داخل النص، وما يراه مناسبا في مكانه، يقول غوميث : «... فلم نسرف في تعليق، وتصرفنا في الترجمة وفي المصطلحات الفنية بحرية كاملة، حتى نقربه للقارئ الإسباني الوسيط بقدر ما استطعنا. ولسنا نظن بعد ذلك أننا فرطنا في شيء»[1].

ومرد اعتماد غوميث على مبدأي التأويل والتفسير في الترجمة يرجع بالأساس إلى كون النص المترجم يثير قضايا سطحية قريبة التناول، وأخرى عميقة تحتاج إلى تأويل وتفسير؛ وإعمال النظر وتشغيل المعرفة الضمنية المستبطنة والشاملة للمترجم. وربما تكون ترجمة النصوص الشعرية مثلا أكثر استدعاء للترجمة التأويلية التفسيرية، نظرا لطابعها الرمزي الإيحائي والانزياحي، أي أن ينظر المترجم إلى ما وراء العبارات والسطور والكلمات إلى مستوى أرقى من الأبعاد والدلالات، وأن يتجاوز طريقة المترجم التقليدي التقني الذي يظل مسكونا بهاجس ترجمة ونقل الألفاظ والأواني، ولا يغوص وراء ما يحمله النص من المضامين والمعاني، إذ يصبح المترجم في خضم هذا الإجراء العلمي الصحيح عنصرا مركزيا في هذه العملية، مؤولا للنص المترجم، يضفي عليه فهمه وتصوره الخاص له، ويرى ذاته المترجمة والقارئة فيه وفي مكوناته، فيرتقي بموقعه من مجرد متأثر بالنص منفعل به إلى متفاعل معه، مبدع له وعارف بأصول الكتابة والدلالة فيه.

ومن هنا نقع على مستوى أعلى وأرقى من مستويات الترجمة هو مستوى إبداع المترجم، وترك طابعه الذاتي الخاص، وبصماته على النص المترجم. ثم إن غوميث لا يتردد من الإفادة من الإجراءين معا في فك ألغاز النص كما يفعل أثناء ترجمة النص الأندلسي وإضاءة جوانبه المظلمة، حيث يذهب إلى أن كل ترجمة يجب أن تنبثق دائما من المزج بين الإجراءين الاثنين معا، بحيث يمكن أن يبدأ بتوظيف عنصر التفسير، وينتهي إلى إنتاج تأويل مقنع ومنطقي له (أي للنص).

وهكذا يبدو أن قارئ ترجمات غوميث مدعو دائما من خلال هذين المبدأين المترابطين المتلاحمين إلى استحضار هذه المعارف الضرورية المصاحبة للعمل المترجم، حتى يلم إلماما مقنعا وشاملا بكل ما من شأنه أن يدخله إلى عالم النص المترجم.

---

[1] - انظر المقدمة التي صدر بها غوميث للترجمة الإسبانية لكتاب "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم، التي نشرت معربة بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الرابع، السنة: ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، ع ١-٢ ص: ١٦٦.

نلاحظ إذن أن الترجمة بهذا المفهوم (تأويل وتفسير) تؤطرها اعتبارات ثلاثة وهي: الرؤية، والكيفية، والإجرائية. فهي بذلك تلعب دورا مهما في عملية بناء الترجمة وصياغة دلالاتها، حيث تنطلق من رؤية أو زوايا النظر مرسومة سلفا، وتبحث في كيفية خلق التأثير الإيجابي المقنع والفعال في متلقيها عبر ترجمة إجرائية هادفة تخدم النص، وتبني عالمه التداولي والدلالي.

والترجمة إذا لم ترق بإنجازها إلى مستوى التداول والانتشار والانفتاحية، وتخلق لنفسها مكانا لدى القارئ، فإنها تظل عملا يتيما وباردا وبدون تأثير أو سحر أو سلطان على المتلقي،إذ أثناء هذا الإنجاز فإن الترجمة الناجحة هي التي تُحَوِّلُ الكلمات في لغتها الأصلية من بنية صامتة إلى بنية صائتة دالة وذات وقع إيجابي ومؤثر. وهذا ما عبر عنه غوميث نفسه بالعملية الفنية الإيقاعية. فهي في نظره أشبه ما يكون بإنجاز موسيقي يحول القطعة الموسيقية الصامتة على الورق إلى عزف حي مسموع يثير في المتلقي السامع ألوانا من التأثيرات المتناغمة المتنوعة، وأصواتا ذات وقع ملحوظ لديه، وهذا التصور ينسجم مع ما عرف عنه من ممارسته للفعل الترجمي على أسس تطبيقية.

ومعنى هذا أن الاهتمام عنده كان ينصرف إلى العناية بالترجمة في بعدها الصوتي الإجرائي الوظيفي، الذي يخلق تأثيرا ملموسا لدى المتلقي ثقافيا ومعرفيا.... ففاعلية الترجمة في نظره إذن تنبع من طاقتها أو قدرتها التداولية التأثيرية التي تتجاوز حدود النص الضيقة التي سجنته فيها لغته الأصلية ليعانق فضاءات لغوية أكثر سعة ورحابة، فأمر تداولها موكول إلى ذيوعها وانتشارها، ومرهون بمدى فعاليتها في خلخلة السائد المألوف في اللغة المترجم إليها، فتكون الترجمة بهذا العمل الإيجابي قد خلقت وجودها، وكيانها الوظيفي عبر مستويات النقل والتحويل والرحلة من لغة إلى لغة بشكل أكثر نفعا وتأثيرا ومردودية. إلا أن غيابا أو إغفالا لهذه الشروط والمعايير يجعل منها عملا ساكنا باردا لا حرارة أو حياة فيه. لا يؤثر ولا يتأثر.

ويتضح من كل ما سبق أن الترجمة عند غوميث لم تكن مجرد تصور ذهني يرتبط بما هو نظري فيها فقط، ولكنه كان يتعدى ذلك إلى إبراز طاقاتها الوظيفية مع التركيز عليها بشكل خاص.

وهو حينما يركز على الترجمة كسلوك وكتطبيق، وليس كتصور فقط، إنما يريد بذلك أن يعكس موقفا نقديا وعلميا منها ، يتجاوز فيه المستوى النظري الصامت الساكن للنص عبر صورته الكاليغرافية التي لا حيوية فيها، إلى مستوى أرقى من الفاعلية والأداء والتداول.

وهكذا فإن الترجمة كيفما كانت أهميتها وجودتها العلمية لا تكتسب طابعها الانفتاحي، ولا تصبح متداولة ومعروفة ومنتشرة إلا إذا تجاوزت حدود لغة النص الأصلية لتؤسس حضورها الفعلي عبر لغات أخرى جديدة التي تمنحها قيمتها ونجاحها ونبض الحياة فيها.

إذن وفي ضوء ما رأيناه آنفا نسجل أن عملية الترجمة عند غوميث تُحَوِّلُ النص الذي يراد ترجمته من "كتابة موجودة بالقوة" في لغته ورسمه الخطي إلى "كتابة موجودة بالفعل" في لغة أخرى، حسب تعبير المناطقة.

ومن الواضح أن هذه المفاهيم التي تبناها غوميث حول الترجمة قد مكنته من الرفع من مستوى الكفاءة والأداء للفعل الترجمي عبر مباحث هذا التراث، كما أتاحت له فرصة بلورة مواقف جديدة عنه، وعن قدرته العظيمة على فتح منافذ جديدة لمعرفة الآخر واكتشافه مع السعي إلى البحث عن حقائق هامة عن طريق ترجمته وتحليله ودراسته

لتنشيط الذاكرة الجماعية للإسبان بما تحتاجه من حقائق لفهم حضارتها في عصرها الوسيط.

وهذه المفاهيم بدورها لا ترى في وظيفة الترجمة ورسالتها عملا جافا حرفيا ينقل العمل أو النص من لغته الأصلية إلى اللغة الهدف (اللغة المترجم إليها) بمعزل عن الخلفيات المعرفية والملابسات والمعطيات التي أنتجته، بل إنه يعتبرها حوارا بين المستوى الداخلي للنص في انسجامه العضوي، والدلالي، والمستوى الخارجي له المتمثل في استدعاء المعلومات المساعدة التي تعين على فهم واستيعاب شمولي له قصد ترجمته ترجمة هادفة وظيفية أقرب إلى الوجه الذي أراده له صاحبه، مبدعه الأول، وهذا مطمح ينشده المترجم دائما من هذه العملية.

وبناء على ما سبقت الإشارة إليه ندرك بأن الترجمة عنده ليست ممارسة بسيطة ينهض بها المترجم في عجالة وتلقائية، وليست أيضا نقلا تقبليا سلبيا يكتفي فيه صاحبه عادة بتحويل العمل الأصل إلى لغة الهدف، منتزع من جذوره ومحيطه، ولكنها فعل خلاق يتحول إلى منهج وسلوك منظمين يستقي أسسهما وأدواتهما من منظومة مرجعية تنبني على أنساق من الرؤى والتصورات وزوايا النظر التي يتبناها غوميث خاصة والاستعراب الإسباني المحدث عامة.

ولا شك أن هذه المفاهيم تعكس لنا كذلك حقيقة سعي صاحبها إلى جعل الترجمة تتصف بقدرتها الانفتاحية على معطيات تغني المعرفة الداخلية المتضمنة في العمل المترجم. وذلك عن طريق الاهتمام بكل ما من شأنه أن يخدم الدلالات العميقة فيه، المؤدية إلى إدراكه وفهمه فهما جيدا، لتغطية العجز الذي تعرفه عبارات النص عادة في تقريب دلالاته التي لا تتحقق إلا بالاستعانة بما ينجدها

ويسعفها بذلك، ولا يتحقق كل هذا إلا في إطار التماسه العون من الإضاءات الخارجية، وكذلك هو التزام منهجي ومعرفي في ترجمة غوميث يتحول إلى ممارسة إجرائية عملية في جل ترجماته المتنوعة، مع سعيه جاهدا وبمصداقية وأمانة إلى تأصيله كقاعدة لا محيد عنها.

## ب - عملية الترجمة وحيثيات النص المترجم:

ولعل ما تتميز به هذه المفاهيم أيضا هو أن صاحبها يعمد إلى إيراد السياق الاجتماعي والتاريخي والفني والجمالي الذي نبت فيه النص/الأصل، مع استخراج كل المعاني والدلالات المحتملة فيه، فتصبح غير بعيدة أو منفصلة عن المترجم وعن حالته الذهنية وعن ميولاته ومقاصده المعلنة أو غير المعلنة.

أضف إلى ذلك أنه من الواضح أن الطريقة التأويلية التفسيرية في الترجمة تمنح قدرا مهما أيضا من هامش الحرية والقدرة على التصرف الذكي في اكتناه أبعاد النص الأصلي ومقاصده بشكل لا يلغي أو يقصي ما يحفل به من معان ودلالات، وأبعاد. مما يجعل التسلح بالإجراء التأويلي التفسيري أمرا مقبولا ومفيدا في فهم النص والذهاب بمعانيه إلى أبعد حدود دلالاتها الممكنة عند الترجمة، مع الاحتفاظ بكل مقوماتها، وترجمتها بأمانة يقول غوميث بهذا الصدد في معرض حديثه عن ترجمته للشعر الأندلسي: « ... مع ذلك فإلى جانب الترجمة الكاملة لبعض المقطوعات أو القصائد القصيرة، قدمت لكل قصيدة بتحليل مفصل بالإسبانية، يسمح بتقويم تطورها ومضمونها سريعا، وذكرت أيضا عند كل قصيدة الأخبار المتصلة بروايتها، وأوجه الاختلاف بين الأبيات الواردة في الديوان، وفي أمكنة أخرى، مما وقع في علمي»[1].

وانسجاما مع هذا المفهوم نورد أيضا تعريفا آخر لغوميث عن الترجمة، ووظيفتها، جاء في سياق حديثه عن طريقته في ترجمة كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف:

*El Collar de la Paloma tratado sobre el amor y los amantes*" لابن حزم القرطبي قائلا: « ... أن تترجم ليس معناه أن تنقل [ترسم] ما تترجمه نقلا حرفيا إلى اللغة المترجم إليها، وإنما أن تحاول إعادة إنتاج الحياة الفكرية، والحركة

---

[1] - الطاهر أحمد مكي، "مع شعراء الأندلس والمتنبي، سير ودراسات، ص: ١٠٩.

الأدبية التي ينتمي إليها النص الأصلي، وذلك بنسب متساوية [معادلة] للغة التي ينقل إليها» [1].

وهذا المفهوم يقودنا أيضا إلى اعتبار أن المترجم هو الآخر له دور مركزي في هذه العملية، فهو يلعب دور الوسيط ويشكل الحلقة الأهم فيها. يرى مثلا ستيفين روس أن المترجم في المرحلة الأولى للترجمة يُكَوِّن وجهة نظر ذاتية خاصة حول النص الأصلي، وفيما يمكن أن يعنيه النص الأصلي، ثم يعيد تفصيل وجهة النظر هذه في شكل لغوي آخر يتبع للغة أخرى ويخضع فيها لمعايير وضوابط تلك اللغة والظروف المحيطة بإنتاج النص الجديد[2].

كل هذا يقودنا إلى القول إن قراءة النص المترجم ليست فقط قراءة من النص وإنما هي قراءة في النص أيضا، يُحمِّل فيه القارئ/المترجم النص الأصلي تحيزاته الفكرية، ورؤاه الخاصة وافتراضاته المسبقة، وهي مواقف ثقافية وليست لسانية لغوية فقط، والمترجم يحدد المترجم منها، والترجمة بهذا المفهوم تتمحور حول المترجم الذي يفعل علاقة الأصل بالترجمة ويضفي عليها نوعا من الحيوية والإبداع[3].

فالمترجم إذن يعيد صياغة النص الأصلي في صورة أدبية جديدة، وهذا ما يعرف بنظرية الانزياح في الترجمة. فعلى المترجم من خلال هذا المنظور أن يضع في اعتباره وهو ينجز ترجمة لعمل ما تلك الأهمية البارزة التي تمنح للجوانب الثقافية والاجتماعية والعقائدية والإثنية التي نبت فيها النص المصدر وصدر عنها؛ إذ تكتسي هي الأخرى بعدا جوهريا وتمارس تأثيرا قويا في إنتاج معرفة دقيقة مقبولة عنه، وهو نشاط لا يقل أهمية في نظرنا عن باقي الأنشطة التي تنجزها الترجمة في استدعاء لحيثيات النص وظروفه وشروط إنتاجه ووضعيته داخل نسق الكتابة عند صاحبه أو داخل المنظومة الإبداعية التي ينتمي إليها بشكل عام، وإميليو غارثيا غوميث نفسه أشار إليها في النص السابق، ويشير إليها كذلك، حينما يقول:«

---

1 - **Garc?a G?mez, E. "En torno a mi traducci?n de El Collar de la Paloma" *Al-Andalus*, Vol. XVII. Fasc: II (1952) p: 461**

2 - **Ross, S. Translation and similarity-in M.Ross.ed; translation spectrum. Albany: state university of New York Press, 1981, 8-23.**

3 - محمد بن عبد الله العبد اللطيف: "دراسات اللغة ودراسات الترجمة"، مجلة علامات في النقد، جدة، السعودية، المجلد ١٢، الجزء ٤٨، يونيو ٢٠٠٣، ص: ٧٠٨.

فكتاب "الأيام" مثلا يتحدث إلى المصريين عن أشياء مألوفة لديهم معروفة لهم، وهي بالنسبة لنفر منهم ذكريات حية، وبالنسبة لنفر آخر– أحدث سنا- ذكريات متمثلة تجري مع دمائهم، أما بالنسبة للإسبان فلا بد أن تكون شيئا آخر يختلف عن ذلك تماما الاختلاف، إنها كشف، إنها تعريف بعالم جديد، وإفساح لمجال الأفق الذهني وتزويده بصور جديدة من الحياة، صور جديدة في حقيقتها [...] والمترجم يستطيع أن يظهر ذلك كله بما يستحق من درجة الإظهار، وعلى المترجم وحده يتوقف إظهاره وتقديره: فهو يستطيع أن يعبر عن الأمر الغريب بلفظه الأصلي؛ ويورده في سياق الترجمة كما هو، على اعتبار أنه اصطلاح، ثم يعلق عليه بما يوضحه ويفسره»[1].

نخلص في ضوء ما سبق ذكره إلى أن عملية إنجاز الترجمة وتحققها من خلال هذا المنظور (تأويل وتفسير) تفصح عن تقاطع بين الذات المبدعة (صاحب النص الأصلي)، والذات المترجمة (التي تنجز الترجمة) والتي تقوم بمهمة أخرى إضافية أثناء الترجمة وهي إغناء هذه الترجمة وإثراؤها بكل ما يحيط بها من معطيات خارجية تضيء النص، وتوضح خلفياته بعد ترجمته ترجمة أولية، فيصبح نشاط الترجمة انطلاقا من هذا التصور الذي يتبناه غوميث يمر عبر مرحلتين: مرحلة أولى يتم فيها نقل النص بشكل تقني آلي مباشر ثم مرحلة ثانية تتدخل فيها الذات المترجمة في صناعة المعرفة الخارجية الضرورية لفهم النص وتقريبه بشكل جيد حتى يصبح مفهوما واضحا لدى المتلقي.

ولكن ليس معنى هذا أن تتحول الترجمة عند غوميث إلى خيانة ما أبدعه الكاتب الأول للنص أو إلى إلغاء الدلالة المباشرة للنص، بل إن تطابق الترجمة عنده مع النص الأصلي لا بد أن يكون هو الهدف الذي يسعى دائما إليه، ومطمحه الأساسي الذي يسمو إليه ولكن ليس على حساب تحويل هذا التطابق إلى حرفية جافة وعقيمة وميكانيكية تقتل روح النص الكامنة فيه، وتقصي كل معرفة ضمنية له، لا تصرح بها مفرداته وعباراته، بل هي غالبا ما تكون ضمنية مستبطنة لا يمكن اكتناهها إلا باستدعاء للمعرفية الخارجية له أي للنص. كما أن هذا التطابق لا يعني عنده أن يتحول المترجم إلى مجرد مقلد منزوع البصيرة والدراية بالأشياء، ولكنه دعوة إلى التفطن إلى ما لم يقله النص مباشرة، مع الغوص وراء كل ما يظهر مضامينه، ويكشفها بشكل جيد وراق.

---

[1] - إميليو غارثيا غوميث ، "كتاب الأيام ومكانه في تاريخ النثر العربي" ترجمة حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، العدد ١ و٢ السنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص: ٢٥٠-٢٥١.

إذن فهذا الموقف يرى الترجمة نفسها حافزا على البحث عن المعرفة المتعلقة بالنص الأصلي، وقد يتوسل لتحقيق هذا المسعى بكثير من الأدوات بغية الكشف عن دلالاته الضمنية والصريحة التي تتفق جميعها حول حصر هدف الترجمة في تقريب حقائق النص الماثل للترجمة ومضامينه وتجليتها وإظهارها.

فالمترجم في نظر غوميث خالق لمعرفة جيدة للنص المترجم في اللغة الهدف حينما يعيد صياغة حقائق ومعطيات النص الأصلية في صورة أدبية جديدة، حتى تأخذ موقعها الجديد ضمن الثقافة المستقبلية بشكل يؤسس انسجامها بهذه الثقافة وتلاحمها مع مكوناتها المتعددة المتنوعة، ولا تكون جسدا أو عنصرا طارئا عليها، وهذا ما حصل فعلا في الترجمات المتعددة الغنية التي أنجزها غوميث في ميادين شتى مرتبطة بالتراث الأندلسي على وجه الخصوص.

ويبدو أننا وبعد أن أوردنا نصوصا لغوميث تحدد تصوره وموقفه من الترجمة كمفهوم وكممارسة؛ لما لذلك من أهمية في إبراز البناء النظري عنده أولا والمنهجي الإجرائي ثانيا؛ فإن ما يمكننا استخلاصه من كل هذه النصوص (التعريفات) هو أنها تستبطن رغبة غوميث في تأصيل عملية الترجمة على أسس جمالية ووظيفة وانفتاحية.

**وإزاء تعريفات كهذه لا بد من التفطن إلى أمرين اثنين:**

أولهما: سعيه إلى إنجاز ترجمة جيدة بناء على استحضار روح النص وحيويته مع الحفاظ على مكوناته الدلالية وقيمه الفنية التي تحقق له تفرده وتميزه، وهذا المطلب النبيل ظل يحكم رؤاه ومواقفه من الترجمة طيلة مسيرته العلمية الطويلة والغنية ، جاعلا منه انشغالا علميا جوهريا في مشروعه العلمي الذي لا رجعة فيه.

ثانيهما: حرصه على اعتبار الترجمة ناقلة للمعاني والقيم والأبعاد الجمالية والحضارية والفكرية والفنية من لغة إلى أخرى، وليس مجرد خلق تطابق آلي جاف يحول النص المترجم إلى كتلة من المرادفات والعبارات المعادلة للأصل لا حياة فيها، ولا تقدم معرفة متكاملة بالنص المترجم.

ومن هنا نستنتج بأن الترجمة بالنسبة إليه ليست مجرد ظاهرة لسانية لغوية وتقنية فحسب يراد بها نقل نص ما وتحويله إلى لغة أخرى غير لغته الأولى، وإنما لها وظيفة أخرى أسمى وهي الوظيفة الإبلاغية ، كذلك يُؤَسَّسُ في سياق ذلك كله حوار علمي جاد بين الثقافات وبين النصوص والرؤى والتصورات المختلفة.

## ٢ – تعدد مجالات الترجمة وحقولها عند غوميث:

ولكن ما هي المباحث والحقول والمجالات العلمية والمعرفية التي شملتها عملية الترجمة عنده؟ وما هي طبيعة هذه الأعمال والمؤلفات الأندلسية التي اختارها بعناية دون غيرها ؟ ولماذا ؟ وما هي المعايير المعتمدة في هذا الانتقاء والاختيار؟ هل هي فنية جمالية؟ أم اجتماعية حضارية؟ أم إيديولوجية؟ أم دينية..؟ وهذه الأعمال والمؤلفات الأندلسية المترجمة على ماذا تتوفر حتى تحظى بهذه العناية لديه؟

- وكيف كان يترجم الأعمال الأندلسية التي كان يختارها لهذه العملية؟

- وما مرد هذا التعدد اللساني الذي تميزت به ترجمات غوميث من العربية والإنجليزية والفرنسية إلى الإسبانية (اللغة الأم)؟

- ولماذا أيضا هذا التعدد الصوتي المتمثل في ترجمته لميادين تراثية أندلسية متنوعة كالشعر والفكر والتاريخ والأركيولوجية...؟

- من أين كان يستمد غوميث تقنيات ترجماته؟ وما هي الوسائل والمعايير، والمستويات اللغوية المستخدمة في هذه الترجمات؟

- ما هي السمات اللغوية والدلالية الأساسية لهذه الأعمال المترجمة؟ وهل هي موغلة في الغموض، وتستعصي على الفهم والإدراك المباشرين أم كانت تفتح أبوابها بسهولة وسرعة لكل وارد أو طارق يطرقها؟

- ولماذا كان غوميث يتابع عملية الترجمة لأعمال مؤلف أندلسي معين بشكل دؤوب، ومستمر ومتواصل مثل ابن قزمان مثلا، وفي فن أدبي إبداعي مقصود بعينه مثل الشعر والموشحات والزجل والخرجة؟...

لا نجانب الصواب إذا قلنا إن الترجمة عند غوميث تشكل انشغالا علميا ثابتا ومستمرا، وليست مجرد هاجس وقتي ظرفي، أو شغفا عابرا يريد صاحبه من ورائه تجريب مهارته ومعرفته العلمية والثقافية بلغة أخرى غير لغته، ولكنها عنده ضرورة ملحة وسلوك علمي ثابت لا رجعة فيه استهله بأول عمل أكاديمي وهو أطروحة الدكتوراه في النقد المقارن بترجمته إلى اللغة الإسبانية نص "حكاية ذي القرنين لأبي مراثيد الحميري، وقصة الصنم والملك وابنته"[1]، وذلك في سياق عقد مقارنة بين نص حي بن يقظان لابن طفيل وبين نص كرتيكون *El critic?n*

---

[1] - **Garc?a G?mez, E. "*Un cuento ?rabe, fuente com?n de Aben tof?il y de Graci?n*". Madrid 1926**

لغارثيان بلتسار Graci?n Baltasar (١٦٠١-١٦٥٨) بغية الوصول إلى معرفة الأصل المشترك للحكاية الأنفة الذكر التي تأثرا بها معا في بناء عمليهما.

ثم تابع غوميث مسيرته في ترجمة التراث الأندلسي بخطى واعدة وموفقة وحاسمة في معظم مراحل حياته العلمية المتميزة، فخلف في هذا المجال ترجمات هامة ومشهورة لأعمال أندلسية رائعة، حيث اتخذت هذه الترجمات طابع العالمية لجدتها وفرادتها وجودتها ودقتها وقدرتها على نقل هذه النصوص القديمة التي تستعصي على ذلك؛ نظرا لصعوبتها وقدم العهد بها؛ ونظرا للغتها القديمة وتراكيبها وأساليبها وأبعادها الدلالية والمعرفية والثقافية التي تختلف بشكل كبير عن واقع العصر الحديث وعن ثقافته ولغته؛ مما يضاعف من جهود المترجم الذي يود نقلها وترجمتها، ويجعل عمله محفوفا بكثير من الصعوبات والعراقيل، بل إن اللافت للانتباه في بعض ترجماته أنه تجاوز ما هو متعارف عليه لدى المترجمين في ترجمتهم لنصوص وأعمال مكتوبة ومطبوعة في كتب ومجلدات إلى ترجمته لنصوص منقوشة مزخرفة على نافورات وجدران الحمراء[1].

وهو إنجاز فريد من نوعه في ميدان الترجمة في العالم، إذ عمد إلى جمع هذه النصوص الشعرية الأندلسية المنقوشة وتحقيقها وترجمتها ونشرها، فَعُدَّتْ بذلك أول مجموعة شعرية تنتقل من مواقعها بالأعمدة والجدران والبنايات إلى مكان يضمها بين دفتي كتاب، وهو مجهود كبير وجبار أخذ من حياة غوميث العلمية وقتا كثيرا وجهدا مضاعفا وتمرسا قل نظيره في معالجة هذا الصنف من الكتابة الشعرية المنقوشة، وضبطها وترجمتها ووضعها في متناول القراء في يسر وسهولة.

فكانت أعماله وإنجازاته بذلك تنبع من معرفة متأصلة متجذرة بعيون هذا التراث، ومن فهم عميق لمنابعه المتنوعة، وهي في تصوره دعوة لجميع المهتمين والدارسين الإسبان وغيرهم للكشف عما يزخر به هذا التراث من نفائس إنسانية خالدة.

وتتعدد هذه الترجمات الكثيرة التي أنجزها غوميث وتتنوع مجالاتها وميادينها وأبعادها ووظائفها بتعدد واختلاف منطلقاتها والتصورات التي تؤطر رؤية صاحبها، بحيث يمكن القول إنها لا تقتصر على مجال علمي واحد دون غيره من مجالات الثقافة الإنسانية الأندلسية، ولا تحصر عنايتها على مُؤَلِّفٍ بعينه لا

---

[1] - Garc?a G?mez, E. *Poemas ?rabes en los muros y fuentes de la Alhambra*, Madrid, 1985

تتعداه أو عصر أو فترة معينة، ولكنها تستوعب في فضاء اهتمامها أغلب مباحث التراث الأندلسي؛ وإن كانت ترجمة الأعمال الأدبية الأندلسية تمثل القدح المعلى في كل ذلك[1]، وتحتل السواد الأعظم من انشغالاته ومن ترجماته، ولهذا فعلى كل باحث يدخل عالم الترجمة عند غوميث، ويريد دراسة تجلياته أن يضع في اعتباره الأهمية الكبرى التي أعطاها غوميث للجوانب الثقافية والعلمية والحضارية للتراث الأندلسي في شموليته، بعيدا عن النظرة التجزيئية إليه، التي تلغي كل تكامل وتآلف وانسجام بين عناصر هذا التراث، وأن يضع في اعتباره أيضا المعرفة الكافية بالخلفيات والمنطلقات التي كانت وراء هذه الترجمات ، على اعتبار أن النص بالنسبة إلى المترجم ليس مجرد ظاهرة لسانية لغوية فقط ولكن – كما ذكرنا آنفا – له أيضا وظيفة إبلاغية تواصلية ، وكجزء من خلفية اجتماعية وثقافية وحضارية للشعب أو للطبقة التي ينتمي إليها مبدعه وكاتبه الأول.

وقراءتنا هذه للمحصول العلمي لغوميث في مجال الترجمة تنطلق من قناعات نراها معقولة ومنطقية، وهي الإقرار بأهمية هذا المشروع الغوميثي وتأثيره على الثقافتين المعاصرتين: الإسبانية والعربية بما أغنى به المشهدين الثقافيين من ترجمات جيدة لعيون هذا التراث ونفائسه وما أثرى به الساحتين الأدبيتين من آراء جديدة حول هذا التراث، صارت مع مرور السنين قاعدة ذهبية

---

[1] - Garc?a G?mez, E. *Poemas ar?bigoandaluces*.

- Garc?a G?mez, E. *Qasidas Andalucia puestas en verso castellano*.
- Garc?a G?mez, E. *El libro de los banderas de los campeones*.
- Garc?a G?mez, E. *Un Alfaqu?espa?ol "Abu Ish?q de Elvira"*.
- Garc?a G?mez, E. *Cinco poetas musulmanes*.
- Garc?a G?mez, E. *Ibn al-zaqqāq, poes?a*.
- Garc?a G?mez, E. *Las Jarchas romances de la serie ?rabe en su marco*.
- Garc?a G?mez, E. *Métrica de la moaxaja y métrica espa?ola, Aplicaci?n de un nuevo método de medici?n al "Gais" de Ben al Hatib.*
- Garc?a G?mez, E. *Poemas ?rabes en los muros y fuentes de la Alhambra*.
- Garc?a G?mez, E. *Foco de antigua luz sobre la Alhambra*.
- Garc?a G?mez, E. *El esc?ndalo de las jarchas en Oxford*.

للدارسين ، ومنطلقا لهم في دراسة هذا التراث ومقاربته (حول الشعر والنثر الفني، والتاريخ والإيقاع والأركيولوجيا والاشتقاق اللغوي...).

ويمكن الذهاب بعيدا في هذا الاتجاه حينما نقرر بأن هذا المشروع (مشروعه في الترجمة) يتسم بخاصية تنوع الأصوات، وبحضور التعدد اللساني اللغوي وغياب التخصص الصارم في عملية انتقاء نماذج للترجمة، بل إنه اختيار ينطلق بالأساس من منطلقاته وتصوراته وينسجم مع ما كان ينتظره من الترجمة من أهداف ومقصديه مستبطنة سلفا، ومعدة من قبل إعدادا واعيا إراديا، لصياغة في نهاية المطاف منظومة متكاملة من المواضيع تلتئم وتلتحم عناصرها فيما بينها لتخلق معرفة دقيقة بالأندلس. ونقصد بتعدد الأصوات – وهي خاصية تميزت بها أغلب ترجمات المستعربين الإسبان المحدثين – تنوع المحاور والمباحث العلمية التي طرقها غوميث في مجال الترجمة.

فترجماته – كما قلنا سابقا – تنفلت من حدود التخصص الضيق الجامد؛ ومن رتابة الالتزام بميدان واحد بعينه، لتعانق أغلب روافد المعرفة الأندلسية وفروعها الغنية، فتضم أعمالا تنتمي إلى الأدب[١] ، والتاريخ[٢]، والفن ، والحضارة

---

[1] - بالإضافة إلى ما ذكرنا له من أعمال مترجمة مست الأدب، نذكر أخرى من بينها مقالاته في مجلة " الأندلس" حول أدب الأمثال الأندلسية وهي:

- **Garc?a G?mez, E. "Hacia un "refranero" aràbigoandaluz I. Los refranes de Ibn Hišām Lajmī". *Al-Andalus,* Vol. XXXV. Fasc: I. (1970).P?gs.: 1 – 68.**
- **Garc?a G?mez, E. "Hacia un "refranero" aràbigoandaluz II. El refranero de Ibn Āşim en el ms Londinense". *Al-Andalus*. Vol XXXV. Fasc: II. (1970). P?gs.: 241-314.**
- **Garc?a G?mez, E. "Hacia un "refranero" ar?bigoandaluz III: los refraneros poéticos de Ben Šaraf". *Al–Andalus* (texto inedito), Vol.XXXVI. Fasc: II (1971) P?gs.: 255-328.**
- **Garc?a G?mez, E. "Hacia un "refranero" ar?bigoandaluz IV los proverbios rimados de Ben Luy?n de Almer?a" *Al–Andalus,* Vol. XXXVII. Fasc: I. (1972) pages: 1 - 76.**
- **Garc?a G?mez, E. "Hacia un "refranero" ar?bigoandaluz V: versi?n del libro sobre refranes de "al ĭqd al–Farīd" " (siglo x). *Al–Andalus,* Vol. XXXVII. Fasc: II (1972). P?gs.: 249 – 324.**

[2] - **Garc?a G?mez, E. *Elogio del Islām Espa?ol.***

والفكر[1] ، والآثار[2]... ليعرج على الثقافات الرسمية والعامية المنحدرتين من العصر الوسيط بإسبانيا الإسلامية والتي تعود إلى مرجعيات إثنية غنية ومتنوعة كغنى وتنوع البنية السكانية والاجتماعية والدينية واللغوية[3] التي اتسمت بكثير من الانفتاحية والتأثر والتأثير والتسامح والتعايش الإيجابي بين الإسلام والمسيحية واليهودية ، لتنتهي هذه الترجمات في ردهات القصور والمآثر العمرانية والبنايات والنقوش. بحيث يمكننا أن نقول بكثير من الاطمئنان إن غوميث تعامل مع الإرث الثقافي الأندلسي في شموليته وفي

لوحاته المتعددة، وهذه الشمولية جعلت كل من يريد الاقتراب من عالمه الإبداعي يحس بجلال المجهود الذي بذله الرجل وسعته وعمقه، ويشعر برهبة شديدة وهو يعدد هذه الترجمات الكثيرة، فيكتنفه غير قليل من الإعجاب والدهشة والاحترام لصاحبها، إذ كيف يمكن أن ينهض امرؤ واحد بمفرده بترجمة هذه الأعمال الأندلسية الصعبة المتعددة المجالات المعرفية، المختلفة التخصصات والتي يعد أمر نقلها ودراستها وتحقيقها وإخراجها إلى النور مستحيلا ، ويحتاج إلى مؤسسة أو معهد علمي متخصص في علوم الترجمة ومناهجها، وفي الأدب والنقد المقارنين؛ مع تميز أصحابه بحس فني مرهف قادرين على ترجمة نصوص دون أن تخدش

---

- **Garc?a G?mez, E.** ***Sevilla a comienzos del siglo XII, El tratado de ibn Abdūn*.**
- **Garc?a G?mez, E.** ***Una cr?nica an?nima de Abd Al Rahmān III Al – Nāsir*.**
- **Garc?a G?mez, E.** ***Historia de Espa?a musulmana hasta la ca?da del Califato de C?rdoba*.**
- **Garc?a G?mez, E.** ***El Califato de C?rdoba en el Muqtabis de Ibn Hayy?n*.**

**[1] - Garc?a G?mez, E."Un cuento ? rabe, fuente com?n de Abentof?il y de Graci?n" .**

- **Garc?a G?mez, E.** ***Un texto ? rabe Occidental de la leyenda del Alejandro*.**
- **Garc?a G?mez, E.** ***Elogio del Isl?m Espa?ol.***
- **Garc?a G?mez, E.** ***Andaluc?a contra Berber?a.***
- **Garc?a G?mez, E.** ***El collar de la paloma.***

**[2] - Garc?a G?mez, E.** ***Poemas ?rabes en los muros y fuentes de la Alhambra.***

[3] - انظر مثلا ترجماته وأعماله الكثيرة التي اهتمت باللغة العامية الأندلسية (الرومانثية) وبالأمثال الشعبية والأزجال والخرجات في الموشحات الأندلسية العربية منها والعبرية.

ملامح هذه الوجوه الأندلسية الرائعة كما رسمها أصحابها الحقيقيون الأصليون أول مرة بإسبانيا الإسلامية ( الأندلس ) .

وضمن هذا الأفق فمن الطبيعي أيضا أن تستدعي أعماله الأخرى التي تكتسي فقط طابع الدراسة والنقد والتحليل حضور نصوص أندلسية تتفاوت طولا وقصرا، متصلة أو منفصلة؛ ترجمها بدورها إلى الإسبانية، ولكنها لا تؤسس استقلاليتها كعمل ينتمي كله إلى مجال الترجمة، وإنما يوردها في معرض استشهاده على فكرة أو تزكية رأي أو استنتاج. وهكذا نرى حتى في دراساته وفي أبحاثه المبثوثة في المجلات والدوريات كان لها حظ غير يسير من نصوص أندلسية مترجمة إلى اللغة الإسبانية، وبتعبير أكثر وضوحا إن الترجمة وإن كانت لا تشكل المركزي فيها، فإنها تتضمن عبر صفحاتها ترجمات لنصوص عديدة نثرية أو لأشعار أو لأمثال أو لحقائق علمية هامة وردت في مؤلفات أندلسية ليقيمها كأدلة على النتائج التي توصلت إليها أبحاثه، ويمكننا أن نعتبرها ترجمات جزئية لنصوص قصيرة فقط[1].

أما التعدد اللساني فنقصد به أن إميليو غارثيا غوميث أثناء إنجازه لهذه الترجمات وظف وسائط لغوية متنوعة ومختلفة إلى جانب لغته الأصلية الإسبانية (اللغة الأم)، فقد توسل في هذا الإنجاز باللغة الفرنسية[2] والإنجليزية[3] واستعان بهما لنقل أبحاث ودراسات تعنى بالتراث الأندلسي كتبت بهاتين اللغتين إلى جانب اللغة العربية بطبيعة الحال التي كانت تمثل مصدره في أغلب ترجماته وموارده.

وهذا التعدد اللساني اللغوي والصوتي اللذان اتسمت بهما ترجماته ينسجم مع ما عهد فيه من سعة اطلاع على معارف وثقافات عالمية متشعبة قديمها

---

[1] - يمكننا ببساطة أن نقف على هذه النصوص القصيرة المتنوعة المترجمة في أغلب الدراسات والأبحاث التي كتبها غوميث عن التراث الأندلسي، المنشورة في مجلات متعددة أو في كتبه المختلفة.

[2] - نقل غوميث عن الفرنسية أعمالا جليلة أهمها ترجمة بروفنصال لرسالة ابن عبدون في الحسبة بعنوان:

***Séville musulmane au début du XII° siècle ; le traité d'ibn Abdūn*. Madrid 1948.**

وكتابه المشهور، بعنوان:

***Histoire de l'espagne musulmane*. Madrid 1950.**

[3] - من بين ما نقله غوميث عن الإنجليزية مقال لشتيرن في موضوع:

**"Muhammad Ibn ? bāda Al–Qazzāz: un andaluz autor de "Muwaššahas" ".**

***Al-Andalus*, Vol: XV. Fasc: I (1950) pags: 79-110.**

وحديثها، ومن تمكنه واستيعابه لهذه اللغات التي تحتل المرتبة الأولى عالميا في الانتشار والذيوع والتواصل العلمي والثقافي (الإنجليزية – الفرنسية – العربية) مع تمثل جيد وعميق لأصولها ولآليات اشتغالها، ثم معرفة واسعة بمجال "الأندلسيات" بشكل خاص.

فغوميث تعلم العربية وأتقن الترجمة منها منذ بداية مسيرته العلمية المبكرة مع الاستعراب الإسباني الحديث وأسئلته المعرفية الكبرى، ومع بداية اهتمامه بالنقد المقارن والمنهج الفيلولوجي مع أستاذيه خوليان ريبيرا إي طاراغو، وميغيل آسين بلاثيوس، ولابد أنها – أي اللغة العربية – قد شكلت له لغته الثقافية الأولى التي كان يشتغل بها بعد الإسبانية كلغة وسيطة، ومن هنا ينطرح التساؤل عن مدى توتر غوميث المترجم بين هذه اللغات المتنوعة طيلة عملياته في الترجمة؛ متى يستعمل هذه؟ ومتى يوظف أخرى؟ وما هي المواقف والدواعي التي تستلزم ذلك؟ وترشح هذه وتقصي أخرى ولماذا؟ وكيف؟

ونستطيع أيضا أن نقول: إن الحديث عن مشروعه في الترجمة هو حديث يحمل لصاحبه ألوانا من الاعتراف بالفضل والإكبار لصاحبه على قدرته وعمقه وشموليته في الطرق والتناول والاختيار للنصوص الأندلسية بعينها دون غيرها، مع الإشادة بأهمية المشروع وبقيمته العلمية في خلق معرفة دقيقة إلى حد ما بهذا التراث. كما أن الذي يود من الباحثين والدارسين أن يتجاهل أو يقصي هذا الحضور الصوتي والتعدد اللساني واللغوي في ترجمات غوميث فإنه يطمس أعظم وأهم ميزة اتسم بها هذا المشروع.

ويبدو أن هذه الترجمات قد لقيت قبولا واستحسانا كبيرين لدى المهتمين بالتراث الأندلسي بمختلف جنسياتهم، كما وجدت صدى واحتفاء وإقبالا منقطع النظير داخل إسبانيا[1] وخارجها[2]، كما سجلت نجاحا وتداولا بين الدارسين

---

[1] - انظر شهادة آنخل غونثاليث بالينثيا حول اعتماده على ترجمات غوميث للشعر الأندلسي في مقالة له بعنوان "الشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوربي"، صدرت بالمجلة الإسبانية الحديثة، السنة الأولى، العدد الثاني، يناير ١٩٣٥ وترجمها إلى العربية الطاهر أحمد مكي في كتابه، "دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"، دار المعارف، القاهرة، ط.٣. ١٩٨٧. ص: ١٧٧.

[2] - انظر شهادة بروفنصال في حق ترجمة غوميث للشعر الأندلسي، أوردها في محاضرات كان قد ألقاها بمصر ما بين: ١٩٤٧ –١٩٤٨ نقلها إلى العربية وجمعها في كتاب بعنوان "أدب الأندلس وتاريخها" محمد عبد الهادي وراجعه عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١، ص: ٣.

والباحثين في مجال "الأندلسيات" بدليل طبعاتها المتكررة التي كانت تنفد الواحدة تلو الأخرى، فتجاوزت بعضها الطبعة الثامنة وفي سنوات قياسية.
ولاشك أن هذه الترجمات تعبر عن نضج المستوى العلمي الرفيع الذي انتهى إليه غوميث في مسألة تعامله مع هذا التراث الخالد، كما لم تكن إلا صورة أرقى لهذا البحث والتنقيب المضنيين في متونه قصد إخراجه وترجمته ودراسته وإعادة دورة الحياة في مفاصله، وقد بلغت هذه العملية أعلى مستواها عنده كما ذكرنا وعند أقطاب مدرسة بني كوديرا ( نسبة إلى الأستاذ الأول فرانسيسكو كوديرا إي ثايدين )، حيث استوت لدى هؤلاء الباحثين المرموقين شخصية علمية مستقلة عن ميدان الاستشراق وما يحيط به من دوافع وأهداف ومنطلقات تختلف كثيرا وتتباين عما رسموه لأنفسهم من أهداف ودوافع ومنطلقات مرتبطة بشكل مركزي وأساسي بالتراث الأندلسي بوجه خاص، وعملوا على إرساء دعائمها مع التمسك بها دون أن يحيدوا عنها في أغلب ترجماتهم وأبحاثهم. كما كان لهم موقف إيجابي خاص ونبيل إزاء هذا التراث، وهو موقف تكون لديهم عبر حصيلة تراكمات علمية ترجمة ونشرا ودراسة وتنقيبا وتحقيقا وإخراجا، فأضحت هذه المدرسة في شخص أغلب أفرادها تثق بقدرتها الهائلة في النهوض بهذا التراث والعناية به بعد أن بسط عليهم بدوره سلطته المعرفية، والعلمية القوية.
وليس من شك في أن غوميث كان يلح إلحاحا شديدا غير ما مرة على أهمية هذا التراث وإشعاعه وامتلاكه لنفائس الثقافة الإنسانية الخالدة، كما كان يؤكد دائما أسبقية وأحقية هذا التراث بالترجمة والتحقيق والنشر أولا، والدراسة والتحليل ثانيا، وليست مصادفة أن يؤكد غوميث هذا المطلب، ويدافع عن أهمية هذه الترجمات ودورها في الكشف عن حقائق يحبل بها هذا التراث الأندلسي الإنساني الخالد ، وهو قادر على إمداد الباحثين على اختلاف مواقعهم العلمية وتخصصهم بمعلومات قيمة يحتاجونها في بناء معرفتهم وصياغتها عن حضارة إسبانيا الإسلامية والمسيحية معا.
فالترجمة عنده إذن ترتبط ارتباطا وثيقا بهذا التراث، إنه يؤمن بحتميتها في نقل هذه المؤلفات الأندلسية القيمة. كل هذا يقودنا إلى الإقرار بأن الحاجة الملحة للترجمة غالبا ما كانت تؤطر دوافعه واختياراته، كما كانت سببا للتمكن منها وضرورة إنجازها بنجاح وتفوق، فأضحت مطمحا ثقافيا وحضاريا على غوميث ومن معه من المستعربين المحدثين تحقيقه وترجمته إلى واقع علمي ملموس.
وغوميث المترجم استمر بشكل جيد وبتفان يزود المكتبة العربية والإسبانية بمثل هذه الترجمات ذات القيمة العلمية والثقافية الكبرى، ومن شتى ألوان المعرفة الإنسانية، كما استثمر بذكاء العديد من المخطوطات الأندلسية التي توجد بالمكتبات

الوطنية بإسبانيا وغيرها، أو تلك التي يتوفر عليها بعض زملائه من الباحثين العلماء المقربين إليه من جنسيات مختلفة[١]؛ مستغلا أيضا نفوذه العلمي والمعرفي[٢]، وشهرته الواسعة في مجال الدراسات الأندلسية للحصول على مخطوطات لم تر النور من قبل وذات مستوى عال من الكفاءة العلمية والتوثيقية في إبراز أوجه الحياة والمجتمع والفكر والفن...لإسبانيا الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط لإعادة تركيب هذه الحضارة على أسس جديدة وصحيحة ، مستلهما في تحقيق ذلك معطيات وحقائق من هذا التراث الغني، ومستعينا بحقائقه لملء ثغرات تركتها المؤلفات والمدونات الإسبانية القديمة دون أن تشيرإليها أو تغطيها.

لقد ظل غوميث طيلة حياته العلمية يفاجئ الجميع باكتشافاته الجديدة بما يتوصل إليه من نتائج وحقائق علمية حول قضايا كانت معلقة أو غامضة وغير معروفة أو متيسرة لدى الباحثين من قبل[٣] حول تاريخ إسبانيا العصر الوسيط ، وحول الشعر الأندلسي وفن الموشحات وتطور الأدب العربي بالأندلس ، ولهذا فكل من يقرأ أو يطالع هذه الترجمات التي أنجزها غوميث سيجد فعلا أن الرجل قد كانت تحركه قناعات راسخة بأهمية هذه الإنجازات في مجال الترجمة، مع ضرورة إيلاء هذا التراث العناية اللازمة. وباقترابنا أكثر من هذا المشروع سنجد أيضا جهودا كبرى عميقة ليس هدفها المعرفة العلمية وحدها؛ بل هناك إلى جانب ذلك الحس الحضاري والتاريخي الذي كان يوجه إنجازاتها ويؤطرها.

---

[1] - مثل الباحث الفرنسي "جيورجيو سيرافين كولان S–G (١٨٩٣-١٩٧٧) الذي وفر لغوميث مخطوط ابن بشرى في الموشحات أثناء إنجاز كتابه المشهور:

***Las Jarchas romances de la serie ?rabe en su marco.***

انظر حديثه عن هذا التعاون العلمي بينهما في المقدمة الأولى لكتابه السابق.

[2] - كان غوميث عضوا في الأكاديمية الملكية للتاريخ، ثم رئيسا لها فيما بعد، وعضوا في الأكاديمية الملكية الإسبانية، كما كان عضوا فعالا ونشيطا في أكاديميات ومجامع علمية عالمية عديدة.

[3] - انظر على سبيل المثال لا الحصر اكتشافه للخرجات الرومانثية في الموشحات العربية الذي نشره سنة ١٩٥٢ بمجلة الأندلس بعنوان:

**"Veinticuatro jarŷas romances en muwaššahas ? rabes, G.S. colin)", Revista *Al-Andalus*, Vol. XVII Fasc: I (1952), pags: 57-127.**

بعد أن اكتشف شتيرن مثيلاتها في الموشحات العبرية قبله نشرها بمجلة الأندلس كذلك، سنة ١٩٤٨.

* انظر أيضا تتبعه الدقيق للفظ "الدشار" منذ أن نشر عنه مقالا طريفا بمجلة " الأندلس " سنة ١٩٣٤، وكان أصل الاسم واشتقاقه مجهولين وغامضين قبله.

### أ - مستوى التلاحم والتماسك بين الترجمة والتحقيق :

واللافت للانتباه والمثير للإعجاب والتقدير في نفس الوقت هو أن أغلبها – وهي خاصية مهمة تحسب لغوميث ولفرادة مشروعه في الترجمة – تقع على أعمال ونصوص أندلسية مخطوطة أي لم تطرق من قبْلُ من قِبَلِ الباحثين والمترجمين، ولم تطبع أو تعرف طريقها بعد إلى التداول والذيوع.

ومما يجعل عمله يتسم بالتميز والفرادة هو اضطلاعه بالتحقيق والضبط الشديدين لهذه المخطوطات قبل أن ينجز لها ترجمة في المرحلة المتعاقبة، انطلاقا من إيمانه وقناعته الراسخين بأن مهمة إنجاز ترجمة جيدة ومنسجمة لنص ما تتوقف على وجود هذا النص محققا تحقيقا جيدا، على اعتبار أن إمكانية نجاح الترجمة أو فشلها مرهونة بمدى اقتراب النص الخاضع للترجمة من الحقيقة والوثوقية اللتين أرادهما له صاحبه ومبدعه الأول.

وهذا كله يدفعنا إلى القول إن عمل غوميث كان ينهض على إجراءين متلاحمين متماسكين: الإجراء الأول هو التحقيق وتخريج النص ثم الإجراء الثاني ويأتي بعد ذلك وهو خاص بإنجاز الترجمة، ومعنى هذا أن العمل الذي يود غوميث إجراء عليه الترجمة لم يكن جاهزا أو مهيأ من قبل ، أو وصل إليه محققا سالما وصالحا للترجمة مباشرة ، ولكنه كان يشتغل على المادة الخام، مما يحتاج معه إلى قراءة العمل ومعاودة القراءة ومقارنة النصوص بنسخها الموجودة المتوفرة لديه، وهو جهد كبير وشاق يحتاج من المترجم إلى جانب امتلاكه لآليات الترجمة وأصولها وضوابطها وطرقها يحتاج إلى معرفة ودراية بأصول التحقيق وتوثيق النصوص وخبرة في سبر أغوارها، وهذا كله لا يتأتى لجميع الباحثين بطبيعة الحال، إلا من أوتي منهم بَسْطَة في المعرفة وقدرة على الصبر والعمل والمثابرة في مصارعة النصوص واقتحام قلاعها المنيعة الحصينة. فمثل هذه النصوص لا تحتاج إلى مترجم فقط بل تحتاج أيضا إلى مترجم محقق يعمل جاهدا على إخراجها في الحلة الصحيحة التي ألبسها إياها مبدعوها أول مرة.

### ب - أهمية الأبعاد الثقافية والحضارية للنص المترجم :

ولهذا يمكن أن نقول بنوع من الاطمئنان إن هذه الترجمات ذات فوائد علمية كثيرة ومتعددة، حتى إنها تعين الباحث والدارس لمبحث " الأندلسيات " لمعرفة الخلفيات المعرفية للأعمال الأندلسية المترجمة وفهمها ، فغوميث كان يجهد نفسه كثيرا وبشكل يدعو إلى الإعجاب والتقدير في البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بالنصوص التي يسعى إلى ترجمتها، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة عنها إلا

ويوردها. وهذا المجهود العلمي بمفرده عمل مضن وشاق، مطمحه في ذلك هو أن يخرج هذه الأعمال المترجمة في أتم صورة وأكملها قد تغني المتلقي عن مشاق البحث، واللهث وراء معلومات أخرى تيسر له أمر فهم الأعمال المترجمة. وهو مجهود ضخم ومثالي كان ينهض به غوميث. ولو أننا احتفظنا فقط بأعماله المترجمة لسجلنا له مكرمة، ولكنه يضيف إلى هذه المكرمة – مكرمة الترجمة – مكرمة ثانية هي مجهوداته في توثيق وضبط وتصحيح هذه النصوص التي يريد ترجمتها. وهذا في حد ذاته عمل جبار.

فهو بهذا كله يتقمص شخصيتين أوينهض بدورين في وقت واحد. دور المحقق الموثق الساهر على ضبط النص، ودور المترجم له، فيقطع النص الذي يراد ترجمته بذلك رحلته الشاقة المضنية هذه بسلام.

ولعل مما يزيد من صعوبة عمله في الترجمة أيضا هوأن أغلب الأعمال التي كان يترجمها لا تتسم بوحدة الموضوع أو الإخلاص التام لحدوده، أي ما يصطلح عليه في عصرنا اليوم بمبدأ نقاء الجنس الإبداعي. فقد تَجِدُ كتابا في التاريخ أو في الفكر، متوفرا على قصائد شعرية ومستملحات وطرف وأمثال أدبية حتى ليمكن اعتبارها داخلة في النسيج العضوي والموضوعي لهذه الكتب، وهو ما يعرف عندنا اليوم أيضا بالتداخل التيمي والموضوعاتي، بحيث تجد في النص الذي يراد ترجمته لوحات معرفية وثقافية متنوعة (شعرية – فكرية – دينية – نفسية – أدبية – اجتماعية.....). مما يدفع بالمترجم لأن يتسلح بأغلب العلوم الإسلامية، القديمة منها على الخصوص ، وعلى قدر غير يسير من المعرفة والإدراك الواعي الجيد لها، حتى تكون عملية ترجمته ونقل مصطلحاته ومفاهيمه في غاية العمق والدقة والإحاطة اللازمة، فمثلا كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف" لابن حزم القرطبي موضوعه المركزي هو الحب والمحبة والعلاقات الإنسانية، ومع ذلك توجد به أبيات شعرية متنوعة ولحظات نفسية دقيقة، ومواضيع أخرى تدخل في باب دراسة بنية المجتمع الأندلسي آنذاك وتشكلاته الطبقية والاجتماعية والسياسية والفكرية والفنية. فالنص عبارة عن فسيفساء من المعارف والثقافات المتداخلة يصعب على أي باحث اقتحامه وترجمة محتوياته بعمق ودقة ما لم يكن مسلحا بعلوم إنسانية شتى ومتنوعة. وهو مطمح صعب التحقق في فرد واحد ، فكيف كانت ترجمة غوميث إذن لهذا النص الأندلسي الفريد من نوعه؟

الحقيقة أنه يكاد يتفق أغلب الباحثين العالميين في مجال "الدراسات الأندلسية" أن ترجمة غوميث لهذا النص - أي ترجمته لكتاب طوق الحمامة إلى اللغة الإسبانية- كانت جيدة ودقيقة ومعبرة عن عمق النص ومحتوياته بامتياز، حيث وفر لها غوميث جميع عناصر النجاح والتفوق، بما عهد فيه من معرفة

واسعة وشاملة بهذا التراث وبفنونـه، وملكـة فنيـة وذوقيـة راقيـة قـادرة علـى تمثل النصوص معرفيا وجماليـا، حتـى أن « مـؤرخي الأدب الإسباني المعاصر قد درجوا على أن يفردوا صفحات لغرسية غومس ( غارثيا غوميث ) بصفته واحدا من أبرز الكتـاب المبـدعين»[1]، بعد صدور ترجمتـه هذه للطـوق سنة ١٩٥٢. كمـا اعتبرهـا العديد من نقاد الأدب وباحثيه[2] أفضل وأجود وأدق ترجمـة للطـوق فـي اللغـات الحيـة المعاصرة (الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والروسية...).

**قد تتيح لنا هذه الحقيقة العلمية البارزة حول تفوق غوميث ودرايته في ترجمة التراث الأندلسي طرح السؤال التالي:**

ما سر هذا النجاح الذي حققته ترجماته حتى أضحت مصدرا أساسيا لا غنى للباحثين الإسبان وغيرهم عنها؟

هنـاك فـي الواقـع استعداد حضاري وعلمـي ومعرفـي متميـز ولافـت للانتبـاه عنـد غوميث تجـاه هذا التراث، وانجذاب حميمـي إلـى عناصـره ومكوناتـه، وذلـك راجـع لاعتبارات شتى أهمها:

- أنـه كـان إسبانيا، ولمـا لهذا الاعتبـار مـن أهميـة فـي اعتقـاده تجـاه هذه الثقافة وما يربطه بها من روابط تتآزر مع انتماءاته العلمية، والحضارية.

- سـعة أفقـه العلمـي والمعرفـي والثقـافي، فـلا نـنس بأنـه كـان قارئـا ممتـازا ونموذجيا ووفيا للثقافة الإسلامية والأندلسية بالخصوص، ومستوعبا ذكيـا ومـاهرا لنصوصهما المتعددة. مع عشقه الجنوني لذلك كله.

- أنه كان أديبا وشاعرا مرهف الحس والذوق مع التمثل لكل ما هو إبداعي راق.

- أنـه كـان مؤرخـا يتحقـق مـن النـصوص والأخبـار والمـادة التاريخيـة التـي يشتغل عليها أو يريد ترجمتها ونقلها إلى الإسبانية، لـه أسلوبه الخـاص المستقل الذي عرف به في الترجمة حيث كان يعرف كيف يُحَوِّلُ النصوص أثناء هذه العمليـة من طابعها العلمـي الجـاف إلـى طـابع أدبـي رفيـع، وذلـك عن طريـق انتقـاء عباراتـه ومفرداته ذات حمولة شاعرية وفنية مؤثرة.

---

[1] - انظر محمود علي مكي، " ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي "، ص: ١٩.

[2]- مثل الباحث الفرنسي المعروف بروفنصال، انظر:

-Provençal, L. En réalisant le ‘Collier de la colombe” *Al-Andalus.* Vol XV. Fasc : II (1950). p : 334.

ومن ثم فإن هذه الترجمات التي أنجزها هو وغيره من المستعربين المحدثين تستحق دراسة تاريخية تطورية دياكرونية وأخرى وصفية سانكرونية (دراسة أفقية وعمودية)، لأنها فعلا تضعنا أمام التطورات والتحولات الفكرية والمنهجية والمعرفية التي شهدتها المنظومة الاستعرابية الحديثة في مسألة تعاملها مع التراث الأندلسي، كما توضح لنا نشوء وتطور هذه المنظومة في بعدها التاريخي والعلمي كما وكيفا.

ومما يبرر الأمر الذي نحن بصدد توضيحه هو جدة الإنتاج الترجمي ووفرته وغناه وتعدد مجالاته عند غوميث، وعند أولئك المستعربين الإسبان المحدثين، فهو عالم وارف الظلال ، متعدد زوايا الضوء . فقد يندر تماما عدم العثور على نشر أو تحقيق أو ترجمة لأهم الكتب والمؤلفات التي اهتمت بمجال التاريخ أو الأدب أو الجغرافية أو الفكر الأندلسي، تضيء بعض جوانب هذا التراث.

ثم إن هذه الجهود في الترجمة كانت جهودا جماعية منسجمة مع منطلقاتها وتصوراتها المشتركة حول القيمة الكبرى لهذه المؤلفات الخاضعة للترجمة، حيث يتداخل في تكوين تصورات هذه الجماعة – أي المستعربين الإسبان المحدثين – إزاء هذا التراث **مؤثران مركزيان:**

مؤثر سيكولوجي وجداني، وحميمي في ذات الوقت يتجسد في ارتباطهم الحنيني إزاءه، إلى عشقه والتفاني في العناية بمباحثه.

ومؤثر ثان ثقافي علمي أكسبهم وعيا وإدراكا بقيمته وضرورة إعادة إحيائه ودراسته وتحقيقه ونشره وترجمته، وقد كان لهذين المؤثرين نتائج إيجابية ومثمرة على الدراسات الاستعرابية الحديثة بإسبانيا.

### 3- مواصفات المترجم المبدع وشروط انجاز ترجمة جيدة في تصور غوميث:

إن المترجم الذي يتعامل مع عمل إبداعي ما ويتصدى لترجمته يحتاج بصفة أساسية إلى امتلاك القدرة على نقله بأمانة ومصداقية ، مسترشدا في هذه العملية بمجموعة من الآليات والمراقي والخطوات المرسومة سلفا؛ لكي يسلم عمله من الارتجال والاعتباطية أو التذوق الانطباعي الذاتي، وهي شروط ومواصفات تحدد جيد الترجمة من رديئها، كما تتوقف عليها معظم مراحل عملية الترجمة. وتنبني هذه الشروط والمواصفات على منهجية مضبوطة لها خصائصها ومراقيها وفعاليتها وطابعها الإجرائي العلمي السليم؛ إما أن يعلن عنها المترجم بشكل صريح ومباشر وإما أن يستضمرها ويستبطنها بشكل ضمني خفي خلال مراحل وخطوات عمله.

ومن هنا تأتي صعوبة اختيار طريقة ما للترجمة، لأن ذلك لا يرتبط باعتماد أو تجريب مجموعة من المبادئ الجاهزة يصطنعها المترجم في عمله، وإنما هي منهج ورؤية ومهارات تنشأ وتتنامى مع المران والتمرس ، وتثبت مصداقيتها وفعاليتها مع الدربة ومداومة النظر إلى النصوص والأعمال مع شيء غير قليل من التذوق الجمالي واستكناه الأبعاد الدلالية والوظيفية لهذه النصوص التي يراد ترجمتها ونقلها. وبالتالي فإننا لابد أن ندرك حجم المعاناة التي يعانيها المترجم وهو يتعامل مع هذه النصوص، بحيث لا تكفي إجادته للغات أيضا لتجعل منه مترجما ناجحا وتمنح لترجماته فراده وتميزا وسعة انتشار.

ويمكننا انطلاقا من تتبعنا واستقصائنا لمختلف إنجازات غوميث في الترجمة أن نحدد بعض ملامح طريقته أو منهجه وشروطه التي وضعها لهذه العملية، بحيث يمكننا القول إن تلك المفاهيم السابقة التي حددها كتصورات للترجمة في بعدها النظري سيعمد إلى أجرأتها وترجمتها إلى واقع عملي سلوكي متمثل في إنجازاته وأعماله الكثيرة المتعددة. وهذه الأجرأة تتمتع بقدر مهم من الحرية والانفتاحية والمثاقفة.

كما تتأسس على مجموعة من الخطوات والأنساق المعتمدة على مرجعيات علمية متنوعة ومعارف غنية متعددة الألوان والاتجاهات تسترفد من علوم إنسانية شتى تساعد على خلق معرفة جيدة بالنص الذي يراد ترجمته. وكل ذلك انعكس بشكل إيجابي وفعال في بلورته لمجموعة من الشروط والمواصفات لإنجاح ترجمة ما، وإكسابها قدرة على الإقناع والتأثير والنقل الوظيفي والجمالي للنصوص المترجمة، فقد أكد غوميث ضرورة توفر المترجم على القدرة على استنطاق أعماق النصوص وتحليلها أي رؤيتها من الداخل مع الإدراك الجيد لأبعادها الدلالية

والسياقية والمرجعية بحيث تصبح الترجمة بؤرة تستقطب كل ما يتصل بالنص المترجم من معارف ومعلومات تضيئها وتجليها من قريب أو من بعيد، مع الوقوف على البنى المعرفية والثقافية والجمالية المصاحبة للنص والمعايير المتحكمة في اتساقه وانسجامه، وهي شروط ومواصفات واجب توفرها في مترجم النص، وبفضلها يثري عمله ويوضحه، وهي إضافات لازمة وأساسية في نظر غوميث[1].

وإذا كان المترجم ملزما باستحضار دائم لمكونات النص الأصلي العضوية والبنيوية أثناء ذلك، فليس معناه أن ينقلها بدون نبض أو روح أو حياة، بل هو نقل محكوم بحتمية استدعاء لهذه المعطيات المشار إليها آنفا، ولكن هل هذا يعني أن ينفلت المترجم من إسار ترجمة النص بأمانة إلى محاولة تحليله ومقاربته وأن يتحرر من كل تقنيات الترجمة الصارمة التي تلتزم بحدود النص؟

ليس هذا ما كان ينشده غوميث في عمل المترجم، ولكن كان يرى فيه شخصية العالم والمبدع في نفس الآن الذي يحاول أن يتصرف في نقل النص، ولكن في حدود الصلاحيات المسموح بها التي تساهم في تقريب المعاني والدلالات ولا تخونها.

ويبدو من خلال كل هذا أن المترجم هو الذي لا يقتصر فقط على نقل أبنية الجمل والعبارات والبنى الدلالية والبلاغية المغلقة. ولكنه ينقل وبمهارة أيضا المعايير والأنساق الأدبية السائدة في العصر الذي انبثق فيه النص الأصلي، مع الإدراك الواعي اليقظ للسياق

الثقافي والتاريخي الذي ترعرع فيه وتبلورت مكوناته في ظله ، بحيث يمكن القول إن اختيار المترجم للألفاظ والعبارات البديلة المعادلة لتلك التي وردت في النص الأصلي لا يتوقف فقط على استكناه دلالاتها الاشتقاقية والوظيفية فقط بل يقتضي منه امتلاك المعرفة الجيدة والإلمام الكافي بثقافة اللغتين معا: اللغة الأصل واللغة الهدف (أي ثقافة اللغة التي يترجم منها وثقافة اللغة التي يترجم إليها)، وهذا ما نهجه غوميث نفسه في أغلب ترجماته إذ اضطلع في إنجازها بتزويد القارئ المتقبل لأعماله بجميع حيثيات النص الأصلي وظروف كتابته، ومواد بنائه والمصادر والمنابع التي نهل منها صاحبه، فجاءت هذه الإضافات مكملة مسهبة، ساهمت كثيرا في إضاء النص أثناء ترجمته.

ويشترط غوميث في المترجم المبدع أن يكون ذا ذوق فني رفيع يستطيع بواسطته انتقاء النصوص التي يبتغي نقلها وترجمتها، واختيار الألفاظ والمفردات

---

[1] - انظر **- Garcia G?mez, E. *El Collar de la Paloma*. Madrid 1952 P?gs: 37 -38**

والعبارات المناسبة التي تؤدي الغرض المناسب، وأن يُحَوِّلُ جفاف الترجمة إلى مرونة وطلاوة، وأسوأ ما يمكن أن يسلكه المترجم في تصور غوميث هو أن تتحول ترجمته إلى نوع من استبدال بنية لغوية بأخرى بدون أدنى استدعاء لشروطها وخصائصها التداولية السياقية المناسبة للمقام الجديد، فليس هدف الترجمة أن يشعر القارئ أنه يقرأ نصا أجنبيا، ولكنه يحس أنه يقرأ نصا قد خرج توا من فكر صاحبه ومبدعه الأول، ولا أثر لملامح الترجمة فيه، فترجمة المفردات والعبارات ليس معناه نقلها نقلا سطحيا حرفيا، وإنما معناه الاحتفاظ بماء النص وروحه من وجهة نظر اللغة الهدف أي اللغة المترجم إليها، وهذه الروح هي ما عبر عنها غوميث في النص السابق بالنغمة، وكثيرا ما يصعب على المترجم تحديد هذه النغمة في النص الذي يود ترجمته ونقله، يقول غوميث أيضا بهذا الصدد: « وكما أن اللحن الموسيقي يثير سحابة من الأنغام الموسيقية، فإن الجملة الأدبية كذلك، تشق طريقها من خلال تناسقها...وإذن نحن في أية ترجمة نسمع الألحان فحسب، وليس موسيقاها، ومهما يكن، فنحن، على الأقل، لا نسمع الموسيقى الأصلية، وليست بنا حاجة إلى القول بأن المترجم المقتدر يحاول دائما أن ينقل الأصل في كلمات لها عند القارئ الجديد موسيقى مساوية لتلك »[1].

ولا جدال في أن ما رسمه غوميث من شروط ومواصفات للمترجم الجيد المبدع هو عمل يتسم بالجدة والأصالة، ويتجلى ذلك في النقلة التي أحدثها في ممارسته للفعل الترجمي في المنظومة العلمية الإستعرابية الحديثة عبر استراتيجية محكمة، وذات فعالية في عقلنة عملية الترجمة وجعلها ممارسة إبداعية، وليس عملا تقنيا خاليا من كل تفاعل بين النص وشروط إنتاجه، لأن هدف المترجم عنده ليس نقل النص مقطوعا من كل عروق تربطه بموارده، بل هو عمل يروم إغناء النص، وإثراءه بكل ما له علاقة بإعادة إنتاجه وإحيائه من جديد في لغة أخرى جديدة.

### أ – معايير متقدمة لتأهيل النص الأندلسي وإمكانات تداوله :

وقد استطاع غوميث بحق أن يرقى بهذه الشروط والمواصفات إلى مستوى النضج والدراية ما فاق به كل التصورات والتوقعات، بل إن بعض ترجماته الجيدة قد غيرت من أفق انتظاره هو نفسه، بفضل ما وفر لها من ألوان الدقة والعمق والجودة والفنية، خصوصا الشعري منها، فقد حققت شهرة وذيوعا كبيرين بشهادة النقاد والدارسين داخل إسبانيا وخارجها ابتداء من إنجازاته الأولى المبكرة في

---

[1] - الطاهر أحمد مكي، "مع شعراء الأندلس والمتنبي"، ص: ١٢ و١٣.

ترجمة الشعر العربي الكلاسيكي، فقد مارست هذه المجموعة الشعرية المترجمة[1] تأثيرها على شعراء إسبانيا آنذاك بشكل أعمق وأبلغ مما كان يطمح إليه وأبعد مما كان ينتظره منها[2]، وذلك بما فتحته من آفاق شعرية جديدة ومنابع غنية ثرة، وبما غيرته من حساسيات شعرية لدى أغلب شعراء جيل٢٧ ، ( Generaci?n 27 ) وبما أحدثته من إضافات فنية وتيمية وجمالية مهمة في المشهد الشعري الإسباني الحديث، وبفضل مهارته في الترجمة ومقدرته على تطويع أدواتها استطاعت هذه الأشعار الأندلسية أن تلغي غربتها الفنية لدى المتلقي الإسباني بشكل خاص وتكسر الحدود الفاصلة بينها وبينه وتخلق فيه ذاتا متقبلة ومتأثرة، فلم يشعر القارئ الإسباني بأنه أمام نصوص أجنبية عنه وعن ذوقه، أو صعبة عسيرة على معدته الشعرية، ولكنها كانت قريبة التناول، سهلة المأخذ، دانية القطوف.

وباستطاعتنا أيضا أن نقول بنفس النجاح والمهارة والتفوق على ما حققته أيضا ترجماته للنصوص النثرية الأندلسية التي أضحت مرجعا أساسيا لا غنى عنه للإسبان عامة وللباحثين خاصة الذين يودون معرفة أوجه الإبداع النثري وتطورها في إسبانيا الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط. وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن ترجماته للأعمال الأندلسية في مجال التاريخ مثلا قد دخلت في تكوين النسيج العضوي للكتابة التاريخية الإسبانية ، بما وفرته من حقائق هامة ونادرة بحيث لا يمكن لمؤرخ إسباني كيفما كان موقعه العلمي إذا أراد صياغة تاريخه الوسيط في صورته الصحيحة أن يقوم بالقفز عليها أو إغفالها، لما تتوفر عليه من إضاءات ومواد وحقائق علمية ينذر أن توجد في نصوص أو مدونات مسيحية إسبانية التي رصدت حضارة إسبانيا في العصر الوسيط.

ويمكننا في هذا السياق أن نطرح سؤالا نراه في اعتقادنا ذا أهمية في إبراز شهرة غوميث عن غيره من المترجمين، وهو: لماذا تكتسي ترجماته كل هذا الذيوع والإقبال والانتشار، وتفرض نفسها بقوة على الدارسين والباحثين في مجال "الأندلسيات" كترجمة جيدة مقبولة ومنسجمة مع طرحهم ورؤاهم؟

إن ميزة غوميث وتفرده في الترجمة عن غيره يكمنان في أنه أثناء تعامله مع هذه النصوص الأندلسية لا يسعى إلى تقديم الدلالات والمعاني والمضامين فقط، ولكنه كان يحاول أيضا أن يُلْبس هذه الترجمات ثوبا عصريا مقبولا، منقولة بلغة إسبانية قريبة المأخذ، سهلة التناول، واضحة، لا تقعر فيها ولا غموض ، لكي تنفذ

---

[1] - نقصد بها تلك القصائد الشعرية الأندلسية التي ترجمها في كتابه: *Poemas ar?bigoandaluces-*

[2] - انظر مقدمة الطبعة الثانية من كتابه السابق:*Poemas ar?bigoandaluces*

إلى قطاع واسع كبير من القراء المهتمين، وتجد تقبلا عندهم بلا حدود أو حجب، ولتنشئ لنفسها بذلك قنوات تواصل وتجاوب واسعة، كل هذا تحقق لها وبشكل لافت للانتباه بفضل استخدام صاحبها للغة إسبانية حديثة تخاطب مختلف طبقات وشرائح المجتمع الإسباني (العالم – المثقف – القارئ البسيط – المهتم بالأندلسيات...) كل من موقعه ومن مرجعياته الثقافية والمعرفية. نلمس كل هذه الإيجابيات بشكل جلي وظاهر في ترجمته ل"طوق الحمامة في الألفة والألاف" لابن حزم القرطبي على سبيل المثال لا الحصر حيث وردت هذه الترجمة في لغة حديثة شاعرية شفافة ناطقة بفحوى النص، حاملة لمضامينه وأبعاده، ناقلة للوحات المجتمع الأندلسي آنذاك بمختلف صورها وتعدد مشاهدها النابضة بالحياة، وكأن القارئ يشاهدها تتراقص أمامه وتتحرك، وبلغة تنفد إلى العقل والقلب والعين معا، فيصبح القارئ حينها يفكر ويحس ويرى. وما تزال هذه الترجمة الشاعرية لهذا الكتاب تسجل حضورها الفعلي وتأثيرها على القراء إلى الآن بدليل طبعاتها المتعددة التي بلغت عشرا.

وغوميث نموذج يحتدى به في مجال الترجمة خصوصا ما يتصل منها بفن الشعر، فقد اجتمعت فيه خاصيتان قلما نجدهما في غيره هما: اتساع أفقه العلمي والمعرفي في مجال "الأندلسيات" واستيعابه العميق لمختلف تجلياته. ثم حرصه المتواصل والشديد على صياغة وبلورة رؤية متماسكة في ميدان الترجمة.

فالمترجم في نظر غوميث كاتب مبدع بالدرجة الأولى، ومنصت يقظ يلتقط كل العناصر التي تخلق له جودة في عمله، وقارئ واسع الاطلاع؛ عميق المعرفة بظاهر النص وباطنه، أمين يجهد نفسه كي يُضَيِّق الفجوة بين القارئ والكاتب.

ولتفادي بعض هذه الصعوبات أيضا في هذه العملية يعمد غوميث مثلا إلى تذييل ترجماته بهوامش وحواش وإضافات تضيء ما ظل معتما غامضا في الترجمة، بل إنه كان غالبا ما يمهد لترجماته بمقدمات توضيحية مفصلة، وبمعلومات متنوعة غنية عن المؤلف والمؤلف، مما يجعل ترجماته تتخلص كثيرا من الغموض والالتباس اللذين يكتنفان عادة الترجمات التي تشد عن هذه القاعدة، ولهذا فإنه كان يسعى بقصارى جهوده إلى نقل أكبر قدر ممكن من الحقائق المتصلة بالنص من الخارج لتفسير ما أحيط بداخله من غموض، غير منعزلة عن بعضها البعض، أو منفصلة عن عوامل وجودها وأسبابها.

إنه يدرك تلك المعطيات باعتبارها أنساقا منسجمة، وعناصر متصلة ومتآلفة. وبفضل هذه المهارات المنهجية التي يسلكها غوميث في إنجازاته يدخل القارئ إلى عالم النص المترجم وهو مزود بكل ما يتصل به من معلومات ذات

روافد متنوعة، حتى أنها تغنيه عن البحث فيما يضيء له الطريق في رحلة الفهم والاستيعاب للعمل المترجم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه عند انتهاء المترجم إميليو غارثيا غوميث من عمله يصبح النص المترجم جزءا من حضارة وثقافة ومجتمع المترجم والقارئ معا، فالنص في هذه الرحلة الطويلة الشاقة المتعبة التي يسمونها الترجمة، يفقد كثيرا من خصوصياته الأصيلة وطابعه المميز الذي اكتسبه في لغته الأصلية، وبه سجل تفرده وتميزه، إلا أنه هنا في الترجمة الإسبانية التي ينهض بها غوميث لحسن الحظ لا يفقد كثيرا من هذه الخصوصيات والمميزات، وإنما يعاد إحياؤها وبعثها من جديد، أي أن المترجم غوميث في هذه الحالة يعيد إحياء هذه النصوص بعد رقودها، فتعود مرة ثانية للعب الدور نفسه الذي كانت تحظى به في عصورها الذهبية، وتكتسي أهمية ظاهرة جديدة وتحتل موقعا بارزا أيضا ضمن الثقافتين: الإسبانية والعربية المعاصرتين. ولولا إيجابياتها المتعددة لما حظيت بكل هذا التقدير والإعجاب، ولما أسست لنفسها مبحثا علميا مرموقا ومعروفا هو "الأندلسيات".

إننا لا نغالي إذا قلنا إن هذه الترجمات التي أنجزها غوميث وغيره من المستعربين المحدثين تدخل في البناء العضوي للحضارة الإسبانية، وتخلق مكونا لا يقل شأنا ومرتبة وعناية عن المكونات الأخرى التي يتألف منها هذا النسيج المتكامل، بما مارسته من تأثير فعال ومعترف به لدى الدوائر الثقافية الإسبانية ، وبالتالي فإن هذه الترجمات مجتمعة تُكَوِّنُ ميثاقا علميا وثقافيا مشتركا بين المترجم الذي ينتجها والقارئ الذي يستقبلها ويتلقاها، ويقوم بدوره بربط الحضارة والمعرفة والثقافة التي أنتجتها بحضارته ومرجعياته الثقافية وقيمه الفنية والذوقية، ولهذا الغرض فقد نجح غوميث بترجماته في تحريك الاهتمام والفضول المعرفي لدى المثقف الإسباني لدراسة هذا التراث الإنساني الخالد، وصياغة أسئلة كبرى حوله، وحول مدى مساهمته في بناء المعرفة الإنسانية عموما والعربية والإسبانية خصوصا.

ونود أن نشير هنا إلى مسألة جديرة بالملاحظة هي أن الخطوات التي تنهجها عملية الترجمة وتتبعها هي ذاتها التي تنهض بها العملية الإبداعية بشكل عام في نشوئها وابتكارها وتكوينها واكتمالها، ولهذا تصبح الترجمة في ضوء ذلك إعادة إنتاج النص الأساس من جديد، وإعادة إبداعه وخلقه ضمن شروط ومواصفات وسياقات قد تقترب أو تبتعد من تلك التي أفرزته أول مرة، بحسب كفاءة المترجم ومهارته وقدرته وسعيه المتواصل إلى الالتزام بمكونات النص ومعاييره والبنى الدلالية فيه. وكنتيجة لذلك فإن المترجم عادة ما يحاول أن يتغلب

على هذه العراقيل والصعوبات بابتكار الوسائل وإيجاد الطرائق التي يراها ناجعة ومناسبة، رغم ما يطبع كل ترجمة مهما كانت أمينة ونزيهة من ذاتية، ورغم ما قد يتسم به المترجم من فهم خاص متعلق بقناعاته وتصوراته ومنطلقاته التي يستنبطها عن وعي أو بدون وعي، وهو يطأ عتبات النص الذي يود ترجمته ونقله.

## ٤- من هو المتلقي لترجمات إميليو غارثيا غوميث؟

ولكن على المستوى النوعي ما هو نوع الجمهور القارئ الذي كان يوجه غوميث إليه هذه الترجمات؟ وبعبارة أوضح لمن كان يترجم؟ ومن كان يخاطب؟ ومن أي صنف هذا المتلقي المرسل إليه؟ ما هي نوعيته وموقعه الثقافي والمعرفي والعرقي؟...

- ما هي الآثار التي يحاول غوميث جاهدا تركها لدى القارئ؟ وأي العوامل الأكثر أهمية والتي يتعين تنفيذها وإنجازها أثناء الترجمة من موقع مراعاة وضعية المتلقي؟

- كيف قُدِّمَت هذه الترجمات إلى هذا القارئ المستهدف؟ وما هو نوع الذيوع أو الانتشار الذي عرفته على المستوى الكمي؟ كم عدد الطبعات التي عرفتها ترجماته؟ وما هي التي انفردت بحصة الأسد في ذلك كله، وشكلت مساحة كبيرة في عملية القراءة، خصوصا إذا علمنا بأن غوميث من المؤلفين الذين كانت تطبع أعمالهم بشكل مكثف ولمرات عديدة؟

- هل كانت هناك حاجة الإسبان مثلا إلى هذه الترجمات؟ وما هي الدوافع التي كانت وراء هذه الحاجة؟ وما هي الخلفيات والسياقات الثقافية والعلمية والحضارية والتاريخية التي وردت فيها هذه الترجمات؟ وما هي الأصداء التي خلفتها لدى القراء المتقبلين على اختلاف مواقعهم اللسانية والثقافية والإثنية المتعددة (إسبانية وعربية وفرنسية وإيطالية وإنجليزية...؟).

إن مسألة تطابق الترجمة مع النص الأصلي عند غوميث تشكل أهم المرامي والأهداف التي يسعى إليها وينشدها في إنجازاته، وهي مطمحه الأساس في كل هذه العملية، ولكن ليس – في تصوره - على حساب تحويل هذا التطابق إلى نوع من الجمود والالتزام النصي الحرفي بالنص الأصلي؛ مما يلغي معه الذات المتقبلة له أو تلك التي تتوجه إليها الترجمة في نهاية المطاف، فهذه الذات تظل حاضرة بشكل أو بآخر في ذهنه ووعيه وهو ينجر خطوات عمله الترجمي لهذا التراث.

فغوميث كان دائما يهفو إلى تحقيق هذا المسعى والوصول إليه في كل عمل ينجزه، باستحضار هذا القارئ المتلقي الذي سيقوم باستقبال ترجماته ويتعامل

معها ويستوعب دلالاتها وأبعادها ويفك رموزها ورسائلها منذ بدايته العلمية الأولى المبكرة لاحتكاكه بهذا التراث (شعرا ونثرا). ومن هنا يبدو ضروريا ربط الأبحاث التي تتناول الترجمة عند غوميث بتلك التي تدرس التلقي باعتبارها واجهة من واجهات الانشغال بهذا التراث، أي دمج دراسة الأعمال المترجمة التي أنجزها الرجل بتفسير فعل القراءة ومستويات التقبل لها ضمن شبكة من العلاقات والمواقع.

صحيح أن النص المترجم يحاول أن يذوب بطريقة أو بأخرى في الآثار الثقافية للغة المترجم أو في منظومته المعرفية المستقبلة، إلا أنه يحتفظ ببعض سماته الأجنبية، وسيبقى دائما نصا مستوردا أو قطعة دخيلة على النسيج الثقافي الذي يستقبله؛ مهما نجحت محاولة دمجه. لكن الأمر هنا يختلف بالنسبة إلى هذه الترجمات التي أنجزها غوميث خصوصا، والمستعربون المحدثون عموما حول التراث الأندلسي من وجهة نظر تلقيها، ذلك أن هذه العملية في تصورهم لم تكن مجرد متعة جمالية فنية خالصة فحسب ولكنها

أيضا عملية تجاوب حميمة بين هذه النصوص وبين قارئها الأول الإسباني الذي يعتقد أنها تدخل في صميم ثقافته القديمة المتوارثة. هذا القارئ المتقبل الذي يظل حاضرا وبقوة في أذهانهم وفي تصوراتهم وقناعتهم وهم ينجزون عملهم الترجمي.

إن غوميث يرى مثلا في ترجماته بأنه لا يواجه تراثا علميا وثقافيا غريبا عنه وعن حضارته، أو يتوجه بها – أي الترجمة – إلى متقبل أجنبي لا تربطه بهذا التراث أية وشائج، ولكنه ينطلق من قناعة ثابتة راسخة بلورها عبر ممارسته الطويلة في هذا المجال هي أن وضعية المتلقي لترجماته (نوعيته – موقعه الثقافي – مرجعياته – اعتقاداته – تصوراته لوظيفة الترجمة...) تحكمها اعتبارات تاريخية ومعرفية وحضارية منسجمة ومتناغمة، وأيضا بدافع من الوعي بقيمة هذا التراث وغناه وتعدد صوره. ومن الطبيعي أن تستدعي هذه المعطيات حضور أسئلة تقنية وأخرى معرفية مرتبطة أساسا بنظرية التلقي عموما.

وإذا أردنا أن نحصر تلك الأسئلة المتتابعة عن الموضوع في سؤال جوهري مؤداه: هل عملية التلقي تتعلق باستجابة القارئ الإسباني خاصة والقارئ الضمني عامة أم بفاعلية التراث الأندلسي الذي يكتسي أهمية قصوى كتراث إنساني خالد؛ أم أنها تقع داخل هذين المحورين (المتلقي والتراث الأندلسي)؟.

نشير هنا في ضوء ذلك أن دراسة تلقي هذه الإنجازات، ومستويات انتشارها وذيوعها في نظرنا لا يمكن أن يتأتى لنا إلا ضمن تصور علائقي لمختلف التفاعلات الممكنة للعناصر المؤلفة لعملية التلقي هذه التي يدخل في تكوينها (المترجم/غوميث) و(المادة المترجمة/التراث الأندلسي) والقارئ المرسل إليه

(الإسباني أولا وبشكل مباشر، والعربي وغير العربي ثانيا وبشكل غير مباشر)، حيث تظل هذه الترجمات حبيسة الجهود المكرسة لتقديمها للقارئ الإسباني المستهدف بالدرجة الأولى في أنصع صورها وأبهى تجلياتها، مكتملة الجوانب، شاملة لأغلب مباحث هذا التراث، التي تعينه على بناء معرفة متكاملة منسجمة به.

ولهذا قد لا نغالي أو نجانب الصواب إذا قلنا إن هذا المتلقي الإسباني بالخصوص ظل يحرك عن قرب هذه الأعمال المترجمة، ويوجهها وفق ما كان يهدف إليه هو ويراه مناسبا في إغناء فضوله المعرفي وإشباع نهمه العلمي، كما ظل يؤثر في مترجميها (غوميث وغيره من المستعربين الإسبان المحدثين) عبر توجيهاته الضمنية لرؤاهم ومنطلقاتهم واختياراتهم، يقول الأستاذ حسن الوراكلي بهذا الصدد: «...تمثل فئة من المستشرقين الإسبان وخاصة الأندلسيين منهم حقيقة تاريخ أمتها ووعيها بالدور العظيم الذي نهض به الإسباني المسلم العربي في نسج خيوط ذلك التاريخ وصياغة آثاره الثقافية والمعرفية والحضارية، وقد كان من أثر هذا وذاك اهتمام أقسام العربية والإسلام في كلية الآداب بالجامعات الإسبانية وخاصة آداب غرناطة ومدريد وبرشلونة بالموضوع الأندلسي، وتوجيه طلبة الدراسات العليا، إسبانيين وغير إسبان، إلى تحقيق نصوصه التراثية وترجمتها ودرسها»[1].

وهذه الحقيقة وإن وردت في معرض الحديث عن أهمية هذا التراث في تجلية حضارة غرناطة، فإنها يمكن أن تصلح وتصدق على باقي عناصر هذا التراث في بناء المعرفة العامة وصياغتها عن ماضي إسبانيا المسيحي والإسلامي، إذ انطلاقا من الحاجة الماسة الملحة لهذا التراث يبني المتلقي الإسباني علاقته مع مباحثه ومع الترجمات التي مسته.

وهذه الحاجة هي التي سيستثمرها غوميث وغيره من المستعربين المحدثين بذكاء ونباهة ووظيفية لتزويده بكل ما من شأنه أن يعمق معرفته بهذا التراث، وغوميث نفسه يشير غير ما مرة إلى هذا النوع من التعاقد العلمي الضمني الخفي الذي يجمع بينهما كذات مؤثرة وفاعلة ومنجزة للترجمة وأخرى متأثرة منفعلة بها انفعالا إيجابيا بناء، يقول غوميث بهذا الصدد في كتابه (خمسة شعراء مسلمين):«...وإذا استطاع هذا الكتاب، بأية وسيلة، ومهما كانت ضئيلة أن يثير فضول القارئ الإسباني، وأن يدفع به بعيدا، وراء تذوق روعة الشعر العربي، والغوص وراء دقائقه، فسوف يشعر المؤلف بسعادة حقة، لما أنفق في

---

[1] - حسن الوراكلي ، " لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين (دراسة وبيبلوجرافيا)"، مجلة كلية الآداب بتطوان، السنة الثانية، العدد ٢. ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص: ١٠٦.

تحريره من وقت، وما بذل في نشره من جهد»[1]، ويؤكد أستاذه بلاثيوس حقيقة هذه العلاقة المتينة التي تجمع بين غوميث والمتلقي الإسباني حينما يقول:« يستطيع بفضله [بفضل غوميث] القارئ الإسباني أن يتذوق جمالية الأشعار الأندلسية بدون إغفال لأي عنصر من عناصرها الجمالية»[2].

إذن فهذه العملية (عملية التلقي لهذه الترجمة) ظلت تؤطرها رؤية مشتركة موجهة نحو المتلقي الإسباني أولا، كما ظلت جهودها وإنجازاتها مسخرة لصالحه بالدرجة الأولى[*]، ولم تجد طريقها إلى القارئ المتلقي الآخر إلا بعد تخطيها للأول، ويبدو ذلك جليا وبشكل ملموس من خلال إجراء إحصاء أولي سريع لحصيلة هذه الترجمات ووضعية متلقيها فإننا سنجد لا محالة بأن ما يربو عن الثلثين منها موجه بطريقة خاصة ومقصودة إلى المتلقي الإسباني، بدليل صياغتها باللغة الإسبانية، وبدليل التنبيهات والإشارات التي تتخذ منه قارئا مستهدفا وحاضرا بشكل صريح وواضح وقريبا إلى ذهن غوميث المترجم.

نؤسس في ضوء ما أوردناه آنفا من معطيات بأن عملية التلقي لترجمات غوميث تنهض على أساس تدرجها التسلسلي المنطقي أي الانتقال من الخاص إلى العام، تنتقل من خصوصياتها الإسبانية أولا والتي يركز غوميث عليها بشكل معلن عنه وصريح من خلال التنبيهات والتقديمات والتمهيدات التي ترد في ثنايا كتبه، ثم بشكل ضمني غير مباشر يتعلق بأي قارئ غير إسباني يقترب من هذه الترجمات ويود قراءتها، وهو قارئ مثالي عام وغير خاضع للانتماء أو التعيين، ويأتي القارئ العربي في المرتبة الأولى في هذا المقام.

ويتضح لنا من خلال هذا كله بأن فعل الترجمة عند غوميث كان يسير جنبا إلى جنب مع فعل التلقي والتقبل لهذا التراث، كما يتضح لنا أيضا بأن فعل القراءة يقدم نفسه كمحرك ومسير لهذه العملية، وهذا هو الذي يؤدي بالمترجم والمتلقي الإسبانيين إلى الوصول إلى نتائج منسجمة وغير متباينة، وملتحمة حول هذا التراث، لأن المنطلقات هي هي واحدة ومشتركة، على اعتبار أن زوايا النظر عند أغلب هؤلاء الإسبان الذين ترجموا عناصر من هذا التراث أو درسوها تكاد تتفق

---

[1] - انظرالترجمة العربية لهذا الكتاب للطاهر أحمد مكي: "مع شعراء الأندلس والمتنبي، سير ودراسات"، ص: ١٣.

[2] - Asín Palacios, M. Rese?a sobre (Qasidas de Andaluc?a puestas en verso castellano) de E.G.G. *Al –Andalus,* Vol. V. Fasc: I (1940) P?gs.: 250-251.

[*] - كان غوميث يشير دائما في ترجماته إلى المتلقي الإسباني، على أساس أنه هو المستهدف بشكل مباشر.

على أهمية هذا التراث وإشعاعه، ويعود هذا التوافق في تفسير هذا التلقي إلى الخصوصيات الثقافية والإيديولوجية والمعرفية التي توجه مواقفهم ومنطلقاتهم إزاء هذا التراث في شموليته.

نبادر إذن إلى القول إن هذه الإجراءات المختلفة في إنجاز الترجمة عند غوميث تتفق في حصر هدفية هذه الترجمات وغايتها في تزويد المتلقي الإسباني بمعطيات من هذا التراث الذي هو في حاجة إليها لتساعده على فهم ماضيه الحضاري والعلمي والثقافي، كما أنها تطمح إلى استنطاق هذه النصوص وترجمتها من وجهة نظر مقصدية هذا المتلقي المستهدف الذي تظل صورته مرسومة في ذهن غوميث وهو ينجز عملية الترجمة من بدايتها إلى نهايتها، وكأنها مسؤولية قومية وحضارية تجاه بلاده وتاريخها وعلمائها ومثقفيها، مما يخلق لهذه الترجمات شروط ملاءمتها لهذه الانشغالات التي يحملها هؤلاء الإسبان والتي اقتضتها ضرورات الاطلاع والمعرفة لحضارة إسبانيا المسيحية والمسلمة في عصرها الوسيط، ويمكن للباحث في هذا المجال أن يجد أدلة كثيرة على ذلك في ترجمات غوميث وغيره من الإسبان.

ومن جهة أخرى فلاشك أن النظرة الفاحصة أيضا لموقع هذا المتلقي ستعكس لنا حقيقة سعيه إلى تأسيس تعاقد علمي حميمي مع المترجم الذي يظل هو بدوره واقعا تحت سلطة هذا المتلقي (المباشر والضمني)، ومشدودا إلى تأثيرها وسحرها، باعتبارها قوة ضاغطة عليه، رغم أنه لا يشعر بوطأتها بشكل مباشر.

ومن ثم يظل غوميث محكوما بهاجس تكييف هذه العلاقة لصالح فضول المتلقي وانشغالاته المعرفية، والثقافية والعلمية. ويمكننا في هذا الصدد أن نحدد بعض تمظهرات هذا الإرضاء للمعرفة المتعطشة عند المتلقي من خلال تزويده بمعطيات تقع في قلب تخصصه العلمي، بحيث سيقوم بجهد كبير في إمداد متلقيه من الدارسين لهذا التراث من مؤرخين، وفيلولوجيين ونقاد الشعر وعلماء اللغة العامية الأندلسية (الرومانثية) وأدباء، وعلماء الآثار الأندلسية.

فكانت هذه الجهود الكبرى التي كرس لها غوميث حياته العلمية بمثابة وضع مفاتيح الحلول في طريق الإشكالية التي تطرحها مباحث هذا التراث. ومن ثم تبرز حقيقة هامة هي أن عملية التلقي لترجمات غوميث لم تكن سهلة بسيطة يسيرة، ولكنها شبكة من العلاقات المترابطة المتلاحمة يحركها دافع البحث في هذا التراث عما يساعد المتلقي على تخطي معضلة الغياب المعرفي الذي يشكو منه الإسبان بسبب قلة المعلومات التي يتوفر عليها عن ماضيه في العصر الوسيط. وبتصفحنا للأعمال الأندلسية المترجمة من قبل غوميث من وجهة نظر مواضيعها نجدها تخاطب المتلقي من موقعين مختلفين: انطلاقا من اهتمام وحماس أصحاب

كل موقع على حدة. فمثلا الترجمات التي تعنى بالموشحات والأزجال وبإيقاعاتهما وبنيتهما الصوتية أو الأمثال والشعر العامي الشعبي كانت توجه أساسا إلى المتلقي الإسباني بدليل كتابة نصها العربي بأحرف لاتينية[1]، وليس برسمها الكاليغرافي العربي الذي كتبت به أول مرة.

أما حينما يتعلق الأمر بترجمته للثقافة العربية الإسلامية الكلاسيكية كالشعر الأندلسي العمودي، أو التاريخ وغيرهما، فكان يورد نصوصها العربية كاملة مع الترجمة الإسبانية لها، وفي هذه الحالة تغدو هذه الترجمات موجهة إلى المتلقي العربي أيضا إلى جانب تسخيرها لصالح المتلقي الإسباني بطبيعة الحال.

وليس معنى هذا أن غوميث حينما يولي العناية بالمتلقي الإسباني بشكل خاص ويمنحه حضورا قويا في ترجماته عن طريق استحضاره الدائم له أنه يقصي من انشغالاته كل قارئ آخر يرتاد عالم هذه الترجمات، بل بالعكس إنه بالإضافة إلى ذلك يسهم بلا شك في نقل هذا الانشغال أيضا من بعده الضيق الخاص بالإسباني إلى بعده  الشمولي العام والمنفتح، يستفيد منه أيضا كل متلق متقبل يأخذ هذا التراث الأندلسي ضمن أولوياته العلمية والمعرفية، ولولا هذا الطابع الانفتاحي الذي اتسمت به هذه الترجمات لما استطاعت أن تجد طريقها إلى الانتشار والذيوع الكبيرين.

كما أن هذا المتلقي بدوره يجعل فعل القراءة لها فعلا استكشافيا واستطلاعيا لقيمتها العلمية التوثيقية، فيعمد من خلال ذلك إلى ربط علاقات جديدة معها. ولهذا أتيح لترجمات غوميث قدر كبير واسع من التفاعل والإقبال من قبل قراء إسبان عديدين في مختلف التخصصات والانتماءات العلمية، وهذا النجاح الذي أحرزته لم يتحقق إلا عندما استطاعت تحويل هذه النصوص العربية الأندلسية من هيأتها الخطية العربية الصامتة إلى منظومة ناطقة منسجمة متكاملة من المعارف والمعلومات تمنح للقارئ الإسباني المستهدف إمكانات هائلة وغنية لإعادة تركيب وبناء حضارته وثقافته ومعارفه تركيبا جديدا صحيحا إلى حد كبير، ومؤسسة على معطيات يقينية، ومن ثم فإننا نجزم بأن عملية تقبل وتلق لهذا التراث من قبل الإسبان كانت حيوية وإيجابية بدليل الإصدارات والطبعات المتعددة المتواصلة لهذه الترجمات التي فاقت كل التوقعات، والتي فتحت مباحث جديدة ومشاريع كبرى في ترجمة المزيد من نصوص وأعمال هامة وغنية، من التراث الأندلسي بما يفيدهم في معرفة ماضيهم وحضارتهم.

---

[1] - انظر مثلا أعماله التي ترجم فيها نصوصا أندلسية في الأزجال والموشحات والأمثال.

ومن بين العلامات المضيئة والإيجابية لهذه الترجمات أنها تتيح لمتلقيها التفاعل معها والاستفادة **منها من خلال مستويين:**

المستوى الأول: إنتاج قراءة حديثة لهذه النصوص الأندلسية التراثية انطلاقا من متقبل متلق محدث ومتعدد، وجعلها تمتلك موقعا جديدا نشيطا وحيويا وانشغالا علميا حديثا ضمن الأنظمة الثقافية الإسبانية الحديثة خصوصا والعالمية عموما، بعد أن مكنتها هذه الترجمة من إعادة دفء الحياة والانتعاش إلى أوصالها، فأضحت تؤسس لنفسها بذلك استمرارية وانفتاحية بعد أن كانت شبه مقصورة على المثقف المتلقي العربي في عصورها السابقة.

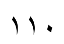
المستوى الثاني: تحوير موقع المتلقي القارئ وجعله يقبل على هذا التراث ليس في ملمحه الجمالي والفني منه فقط، ولكن كذلك في المعرفة القيمة المتضمنة في عناصره، فتصبح علاقته به ليست علاقة انفصال ولكنها علاقة اتصال، هدفها الإخلاص له، ولنصوصه ولمباحثه عبر المدارسة والبحث والتحليل والمساءلة، فينتج عن ذلك كله أن يصبح هذا التراث بدوره جزءا من خلفية المتلقي الثقافية والعلمية في أوضح صورها.

ثمة مسألة في غاية الأهمية نجزم بضرورة الوعي بها ونحن نتحدث عن التراث الأندلسي الخالد وقيمة الترجمات التي مست عناصره ألا وهي أن المتلقي الإسباني، خاصة وهو خاضع لسلطة هذا التراث وسحره وقيمته، وطاقاته العلمية الهائلة يصبح متحللا ومتحررا إلى حد كبير هذه المرة من أغلب تلك التصورات والمواقف والرؤى السلبية التي كان يحملها أسلافه من العلماء والمثقفين إزاء هذا التراث الغني والعظيم، ومن تلك التصورات غير العلمية وغير الموضوعية التي كانت تحملها كتاباتهم ومؤلفاتهم، وبذلك يستطيع هذا التراث بفضل هذه الترجمات أن يكسر عزلته داخل إسبانيا ، ويخرج من دائرة نسيانه التي فرضتها عليه القرون الماضية بإسبانيا، وينتفض من برودة رفوف المكتبات والخزانات العامة إلى حرارة التوهج والإشعاع التي أضحى يحققها الآن بعد أن نفخت فيه ترجمات غوميث وغيره من المستعربين المحدثين الحياة والحيوية من جديد.

## ٥- تركيب :

هذه الحقائق تقودنا إلى الإقرار بأن هذا التراث الأندلسي يمارس فعلا سلطة معرفية على المتلقي الإسباني عموما ويوجه اهتماماته وعنايته. غير أن هذه الحقائق لا ينبغي أن تحجب عنا حقيقة ذات أهمية بالغة، وهي أن قوة الإعجاب هذه ليست دائما أحادية الجانب تقتصر فقط على المتلقي الإسباني، ولكن تستحوذ أيضا على انشغالات واهتمامات المتلقي العربي، وكل من له اهتمام بهذا التراث ، الأمر

**الذي يجعل طبيعة هذا الإعجاب معيارا خاصا على جودته وغناه وتأثيره وقدرته السحرية على حل كثير من معضلات حضارة العصر الوسيط بامتلاكه للنصوص التي تتيح للمتلقي هذه المعرفة الضرورية التي لا يمكن أن يختلف اثنان في أمر قيمتها العلمية، فهي الوحيدة التي استطاعت أسر المتلقي والمترجم معا، بدليل الأبحاث والدراسات والكتب والترجمات والمقالات الإسبانية الكثيرة، مما يولد لدى هذا المتقبل إحساسا ثابتا دائما بالاقتراب منها والإنصات إليها، وعلى العكس من ذلك فإن النصوص الضعيفة أو عديمة القيمة تبقى مفتقرة لسلطة إغراء المتلقي واجتذابه إليها.**



# الفصل الثالث

# ترجمة الشعر الأندلسي عند غوميث

## ( التجليات/المظاهر/ والمواصفات )

*تمهيد*

١ - ترجمة الشعر الأندلسي: النشأة والتأسيس.

٢- غوميث والشعر الأندلسي الكلاسيكي:

٣ - غوميث والشعر الأندلسي المستحدث (الموشح والزجل).

أ- العناية بعالم ابن قزمان طموح علمي واعد لدراسة الأزجال الأندلسية.

ب - "كل ما يتعلق بابن قزمان" ثمرة طيبة لمجهود علمي في مقاربة الشعر الزجلي بالأندلس.

ج - "الكالكو ريتمكو" أو نحو تقنية بديلية في ترجمة الشعر الأندلسي المستحدث.

٤ - تركيب

**تمهيد:**

يواجه الباحث في مجالات الترجمة عند غوميث، خصوصا في وجهها المهتم بالشعر الأندلسي عدة مصاعب، تتمثل أهمها في غزارة ما أنتجه الرجل من أعمال ومؤلفات ودراسات في هذا المبحث، وغنى ما أسسه من طرائق جديدة مبتكرة عُرِفت به، مما يصعب معه رصد جميع تجلياتها، ورسم ملامحها بيسر وسهولة، نظرا لاتساع حقل الترجمة عنده، وتشعب صوره ومظاهره، فالرجل لم يكن مترجما عاديا أو تقنيا يغير كلمة أو جملة بأخرى في سياق دلالي وتداولي معين، ولكنه كان يؤسس لقاعدة جوهرية في ترجمة الشعر الأندلسي التي سار على نسقها أغلب من اهتم بهذا الشعر فيما بعد من الباحثين الإسبان وغيرهم ، بحيث اجتهد وبإصرار شديد في بلورة رؤية علمية متماسكة ومنسجمة في نقل نصوص شعرية أندلسية رائدة إلى لغته الإسبانية.

كما كان له قصب السبق في تغيير كثير من القناعات الخاطئة عن الشعر العربي الأندلسي التي كانت سائدة من قبل، وفي بداية مشروعه العلمي، والتي كانت ترى في الاهتمام بالشعر العربي بشكل عام مجرد مضيعة للوقت وهدرا للجهود والطاقات[1]، فكانت له اليد العليا في فتح آفاق جديدة في ترجمة هذا الشعر وتمثله ودراسته واستيعابه، ثم التأثر به وبمكوناته الجمالية والإيقاعية والتيمية.

ولعلنا قد لا نبالغ إذا قلنا إن أكثر الأجناس الأدبية اهتماما وعناية بالترجمة عنده هي الشعر، فقد حظي الشعر عنده بالمكانة الرفيعة ضمن أعماله، نظرا لطبيعة اللغة الإيحائية التصويرية التي توظف فيه، ونظرا لأن غوميث كان شاعرا بالقوة وإنسانا متذوقا للشعر ولنماذجه بالدرجة الأولى، وميالا إلى تمثله والانفعال بمكوناته الجمالية، فجمع بذلك في ترجماته ما بين الذوق الفني الجمالي في اختيار الشعر وانتقاء نصوصه، وبين الصرامة العلمية في نقله وترجمته إلى لغته الإسبانية.

---

[1] - يذكر غوميث بهذا الصدد في كتابه (أشعار أندلسية) ***Poemas ar?bigoandaluces***". أنه "حدث في سنة ١٨٣١ أن تقدم طالب إلى جامعة ألمانية برسالة لنيل الدكتوراه قال فيها:"حقا، إن من يقرأ شعراء العرب لشعرهم فحسب، فإنه – إن لم يكن ناقص الإدراك – ينفق وقته هباء...، فأصاب الشعر العربي من جراء ذلك شر كثير".

انظر غوميث: أشعار أندلسية، ترجمه: حسين مؤنس إلى العربية بعنوان " الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٦، ص: ١١٧ و١١٨.

كما أن الأمر الملاحظ في مشروعه وإنجازاته العلمية في هذا المجال هو المقدرة الفائقة التي لم يستطع أحد منافسته أو مجاراته فيها في ارتياده للعديد من الموضوعات الشعرية المتعددة والترجمة منها. ومن ثم يمكن القول إن مشروعه غني بالدلالات والمواقف العلمية يتضمن قدرا كبيرا من التنوع والتعدد في الرؤى المنهجية والطرق والتناول بحسب المراحل والمنطلقات، وبحسب طبيعة المواد الخاضعة للترجمة، حتى ليمكننا القول إن نظره اتجه لإنجاز نظرية في ترجمة الشعر أضحت مشهورة ومعروفة في الأوساط العلمية داخل إسبانيا وخارجها، لأنه تعامل مع التراث الشعري الأندلسي في مختلف أطواره ومراحل تقلباته ونموه، وليس كمادة معزولة عن سياقاتها المتنوعة.

وضمن هذا الأفق تمنحنا حصيلة ترجماته الكثيرةوالمتنوعة للشعر مساحات عالية من المعرفة بالشعر الأندلسي في مختلف مراحل نموه وتطوره فنيا وتاريخيا، فهو قد ترجم إلى الإسبانية قصائد أندلسية كلاسيكية جميلة للسان الدين بن الخطيب[١]، وللأمير الطليق[٢]، وابن الزقاق[٣]، ابن زمرك[٤]، وابن الجياب[٥].

كما ترجم الموشحات[٦] والأزجال[٧] واهتم بإيقاعهما ومكوناتهما التيمية والبنيوية كالخرجة وغيرها، وبالأمثال الشعرية.

---

[1] - Garc?a G?mez, E. "*Foco de antigua luz sobre la Alhambra*" . Madrid 1988

[2] - Garc?a G?mez, E. "*Cinco poetas Musulmanes, Biograf?a y Estudios*", - Madrid, 1944, P?gs. 69-93

[3] - Garc?a G?mez, E."*Ibn al-Zaqqāq, Poes?as*". Edici?n y traducci?n en - verso. Madrid, Instituto Hispano-?rabe de cultura, 1956

[4] و[186]. - Garc?a G?mez, E. "*Poemas ?rabes en los muros y Fuentes de la Alhambra*". Madrid, segunda edici?n 1996

[6] - Garc?a G?mez, E. "*Las Jarchas romances de la serie ?rabe en su marco*". Barcelona, Seix Barral, 1975

[7] - Garc?a G?mez, E. "*Todo Ben Quzmān*". Madrid Instituto Hispano-?rabe de cultura, Credos. 1972

فلاشك إذن أن العلاقة القائمة بين غوميث والشعر الأندلسي تتسم بنوع من الانفتاح والشمولية والتنوع والموسوعية.

وبهذا تتيح لنا أعماله وإنجازاته في الترجمة إمكانات مهمة للإلمام بخريطة الشعر الأندلسي عبر عصوره المتعددة، وعبر تجلياته المتنوعة فينا وتاريخيا. ففنيا طرْقُهُ لأغلب فنون الشعر الأندلسي تقريبا، وتاريخيا منذ البدايات الأولى لنشأة هذا الشعر بإسبانيا الإسلامية، وعبر عصوره المتعاقبة، فتضمنت اجتهاداته في هذا الباب مساهمات مهمة لمعرفة التطورات والتحولات التي عرفها مجال الترجمة الشعرية الأندلسية بإسبانيا، فعملت على إعادة صياغة مفهومنا للشعر الأندلسي عبر ما كان يصوغه من تصورات وما يؤسسه من قناعات مصاحبة لمجهوداته في الترجمة ومرافقة لها.

وقد ساعدت أيضا كتاباته وأبحاثه التي كانت تصاحب ترجماته وتواكبها في ترسيخ قدم ترجمة الشعر بإسبانيا، وعلى استمرارها بشكل حيوي كطاقة وكفعل فنيين وعلميين متجددين؛ بعد أن كانت قبله خجولة وقليلة ونادرة جدا.

ولهذا يمكن القول: إنه تعامل مع الإرث الثقافي الشعري الأندلسي في شموليته تقريبا مما يجعل الدارس الباحث لأعماله يقف حائرا مترددا أمامها، من أين يبدأ؟ وكيف يصوغ معرفة شاملة بهذا الحصاد العلمي الغني الذي خلفه الرجل في إطار اهتمامه بالشعر؟ . فكيفما كانت ثقافته عميقة وسعة اطلاعه وإلمامه بهذا التراكم الغوميثي – إن صح هذا التعبير – فإن مجهوده وعمله سيظلان محدودين في وجه هذا الزخم الهائل من الترجمات الجيدة التي مست الشعر الأندلسي في صوره وملامحه المختلفة.

تقول ماريا خيسوس بيغيرا مولينس **Mar?a Jes?s Viguera Molins**

«...ولهذا فإننا حينما نستعرض قائمة مؤلفاته التي جمعها خواكين بالبيه وصنفها على أساس موضوعي فإننا نراها تؤلف ما يشبه معرضا شاملا يقدم حياة الأندلس في لوحات رائعة رسمتها ريشة هذا المصور العبقري، ومع غنى هذه الصور وكثافتها فإن أبرزها هي تلك التي قدم بها الشعر الأندلسي. نعم، يبرز الشعر بين إنتاج من الاتساع والغزارة بحيث أصبح مجرد إحصائه موضوعا لرسالة قدمتها للحصول على الليسانس الباحثة ماريا دولوريس ثيجوينيا بيكاريا في جامعة مدريد المركزية (الكومبلوتنسي) بعنوان "بيبليوغرافيا إميليو غرسية غومس»[1].

كما أن ما يبرز الأمر الذي نحن بصدد توضيحه هو جدة إنتاجه العلمي وطرافته، فقد كان يندر أن يتحدث عالم مستعرب محدث تناول الشعر الأندلسي

---

[1]- محمود علي مكي ، "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ١٥٩.

وترجمتـه دون أن يـشير إلـى مـشروع غوميـث المتميـز فـي هـذا البـاب ، فقـد نـوه بأعماله بشكل مفصل كل من ليفـي بروفنـصال[١]، وآنخل غونثالث باليثيـا[٢]، وآسين بالثيوس[٣]، وماريا خيسوس بيغيرا[٤]...

فكتاباتـه وترجماتـه للتـراث الـشعري الأندلـسي مارسـت تأثيراتهـا الجليـة الملموسة على تشكيل رؤى النقاد الإسبان وغير الإسبان المهتمين بهذا المجال؛ والإقبال على دراسته بكثافة، وتطوير أدواتهم العلمية والفنية في مقاربته وتحليله.

---

[1]- يقول بروفنصال بشأن ترجمات غوميث:" وفي إسبانيا اليوم وعلى رأس علمائها المستشرقين عالم خلف عالمها المتمكن ميجيل آسين بلاثيوس هو زميلي وصديقي إميليو جارسيا جوميز، الذي هو اليوم في ما أرى أعمق المستشرقين الأوروبيين علما بالشعر الكلاسيكي الأندلسي إن لم يكن بالشعر العربي عامة، وهو لا يحيط به فقط ولكنه يتذوقه إلى أبعد حد ويتقن تحليله في تعمق نفاد وبراعة فائقة من كل وجه، لما له من مران جاءه من الإلمام التام بشعر بلاده في كل عصورها ابتداء من مجموعات أغاني الحدود المعروفة باسم رومانسيرو، ومن قصيدة السيد إلى جنجورا إلى آثار المدرسة الإسبانية المجددة. ولعل الأستاذ جرسيا جوميز هو الجدير فيما نأمل بأن يخرج لنا في هذه السنين صورة نهائية للشعر العربي الأندلسي، وهو حري بأن يستطيع التمييز بين أثر الشرق في هذا الشعر وأثر الابتكار فيه، وقد أثبت جرسيا جوميز[ غارثيا غوميث ] قدرته وعبقريته في عدة دراسات ممهدة...فلا تدهشوا إذا رأيتموني في أثناء هذا الحديث الأول أستلهم في كثير من المواضيع صفحات مقدمة قدم بها جوميز لكتاب مختارات صغير نال في إسبانيا أعظم إقبال، وقد ترجم المؤلف فيه قصائد عربية أندلسية إلى لغة قشتالية ». انظركتاب بروفنصال " أدب الأندلس وتاريخها ". ترجمة إلى العربية شعيرة محمد عبد الهادي وراجعه العبادي عبد الحميد، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥١، ص: ٣ و٤.

[2]- يقول بالينثيا بشأن أهمية هذه الترجمات:" كل تراجم الشعر الأندلسي إلى اللغة الإسبانية الواردة في هذه الدراسة [أي دراسته للشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوروبي] ستكون من عمل صديقي وزميلي غرسية غوميث، وهو أقدر من غيره على ترجمة الشعر الأندلسي إلى لغتنا برغم صعوبته، وكتابه الشعر الأندلسي، ونشر في مدريد لأول مرة عام ١٩٣٠، أفضل مجموعة منه تعرفها اللغة القشتالية، لقد عرف حقا كيف يهب الأشعار المترجمة روحا، مما جعل ترجمته أعذب وأرق من ترجمة خوان باليرا الأنيقة في ترجمته لكتاب فون شاك الألماني "شعر العرب وفنهم في إسبانيا وصقلية". انظر: الطاهر أحمد مكي "دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٨٧، ص: ١٧٧ (في الهامش).

[3] - As?n Palacios, Miguel. Rese?a sobre el "Qasidas de Andaluc?a - puestas en Verso Castellano", *Al Andalus*, vol V Fax I, pags.250-251.

[4] -Viguera Molins, Mar?a J. Met?foras ?rabes y Greguer?as. Homenaje a Don Emilio Gracia G?mez, Revista del *(I.E.E.I)*. Vol. XXVIII (1996) pags147-156.

وهناك سمة أخرى اتصفت بها أعماله الترجمية للشعر أيضا هي ارتباطها الوثيق والحميم بالشعر الأندلسي خاصة، لا تتعداه، مع استمرارية هذا الاتجاه عنده ووفائه له إلى أبعد حد ممكن، وعبر مسيرته العلمية الطويلة، حيث كانت هذه الترجمات تتخذ مظهرين رئيسيين متقاربين يقترن الأول بالترجمة للشعر الأندلسي التقليدي الكلاسيكي، والثاني بترجمته للشعر الشعبي المستحدث بإسبانيا الإسلامية ( الأزجال والموشحات ).

وهما في الواقع من المواضيع والمباحث المفضلة والمحببة إليه، فهما يشكلان بذلك قاعدة تخصصه ومركز اهتمامه وانشغاله العلمي بنسبة ٧٠% سبعين في المائة من ترجماته وإنجازاته العلمية عموما. يقول أندريس مارتنيث لوركا Andrés Mart?nez Lorca عن أهمية الترجمات التي أنجزها غوميث: « فَمَنْ الذي كان يتجرأ ويتجاسر على تأكيد أن تلك النصوص العربية القديمة سوف لن تنال حياة وعمرا جديدا، مدركا ومتوصلا [أي غوميث] إلى تشكيل وصياغة حساسيتنا الفنية الجمالية، وتغيير بعض ملامح رؤيتنا للعالم والحياة؟» [1].

فكان له بذلك أثر عميق في إعادة إحياء نصوص شعرية أندلسية كانت منسية ومهملة، فتم إبرازها وإخراجها وترجمتها ونشرها من جديد لترى النور وتحظى بالتداول الفني والجمالي، فأضحت عملية ترجمتها عنده بمثابة صياغة جديدة لهذه النصوص الجميلة، مع حسن الإنصات لنبضها الدلالي والجمالي مرة ثانية، وروعة التأليف بين مكوناتها البنيوية والإيقاعية وسماتها الذاتية حتى لتبدو من ابتداعه هو في نهاية المطاف.

والحق أنه بفضل ترجماته الدقيقة الغنية لعيون التراث الشعري الأندلسي صار من الصعب إنكار تأثيراتها على شعراء إسبانيا القرن الماضي، يؤكد هذه الحقيقة الساطعة كثير من الباحثين والدارسين لأعمال غوميث في هذا الباب، فقد أخصبت مناطق مهمة وواسعة من المشهد الشعري والجمالي في الأدب الإسباني الحديث، فنتج عنها تحول معرفي وفني في العديد من المشاريع الأدبية كان أبرزها صياغة معرفة دقيقة وقريبة من مكونات الشعر الأندلسي ومظاهره بشكل أكثر شمولية واكتمالا واتساقا مما كانت عليه سابقا بفضل النصوص الأندلسية المتدفقة التي عمل غوميث على ترجمتها وإخراجها ونشرها تباعا، وبفضل تنقيبه المضني في رفوف المكتبات العامة والخاصة عن الباقي النادر منها.

---

1. Mart?nez Lorca, Andrés "La semilla inmortal de Don Emilio Garc?a G?mez" Revista del *(I.E.E.I)* Vol.XXVIII (1996). p: 84.

بل إن هذه الترجمات كانت بمثابة المادة العلمية التي اعتمد عليها العديد من الأدباء والمؤرخين الإسبان والعرب على حد سواء في بناء مجدهم العلمي والأدبي. فمثلا الإبداعات الشعرية التي صاغها شعراء جيل ٢٧ في الأدب الإسباني الحديث أمثال: فديريكو غارثيا لوركا Federico Garc?a Lorca (١٨٩٨-١٩٣٦ ) وداماسو ألونسو Damaso Alonso (١٨٩٨- ١٩٩٩ ) . ورافاييل ألبرتي Rafael Alberte وغيرهم لا يمكن فهمها جيدا أو القبض على دلالاتها وأبعادها العميقة إلا من خلال دراسة أوجه تأثرها بتلك الترجمات المبكرة التي أنجزها غوميث في بداية مراحل حياته العلمية، بل إن ماريا خيسوس بيغيرا ترى بأن « ترجمته للشعر الأندلسي مازالت تباشر تأثيرا بالغ العمق في جماليات الأدب الإسباني المعاصر على نحو ربما جاوز ما باشرته على "جيل سنة ١٩٢٧، وما تفرع منه من طوائف الأدباء. ومن المعروف أن انبهار ذلك الجيل بالكتاب كان هائلا حتى أن غرسية غومس[ غارثيا غوميث] كتب في سنة ١٩٧٨ يقول: « أعتقد أن مثل هذا التقبل لكتابي "قصائد أندلسية" الآن يبدو أمرا لا يكاد يصدق»، وقد يكون صحيحا أن تأثيرالكتاب في الأوساط الأدبية ربما اختلفت صورته في الوقت الحاضر عنها آنذاك، غير أن الزمن لم ينتقص شيئا من عمقه» [1].

لقد بذل غوميث جهودا كبرى في سبيل تحقيق وترجمة كثير من النصوص الشعرية الأندلسية التي أنجزت في باب التعرف على هذا التراث ليس فقط بين دفتي ديوان مكتوب، ولكن أيضا تلك التي كانت منقوشة على جدران ونافورات الحمراء ، بما يملكه هذا الشعر من طرافة وأهمية وتنوع حتى أن قصر الحمراء يعبر عن نفسه بالشعر، وكأن هذا الشعر عبارة عن كتاب ضخم من الجبس والحجر يريد بقوته وثقله وثباته أن يقهر الزمن، فهو يخاطب العين والذوق والجمال، حتى وأنت في قصر الحمراء تشعر باعتزاز لهذا العمل الجبار، فيأخذك الإحساس بالمكان وبهيبته وحينما تغمض عينيك يستبد بك شعور بعظمة هؤلاء الشعراء الذين أبدعوا هذه القصائد فتسمع الأصوات أصواتهم وهي تصنع حوارا خالدا مع المكان والزمان، فهذا الشعر والقصر قهرا معا الفناء بالذكرى وبالنقش الذي يصعب على الدهر النيل منه إلا بعد مدة طويلة.

فكانت باكورة جهوده العلمية في هذا المجال ديوان ابن زمرك الذي نقله غوميث من الصخر إلى الطرس وهو الديوان الوحيد المكتوب بهذه الطريقة في العالم.

[1] . محمود علي مكي، ثلاث دراسات أندلسية، ص: ١٦١.

فكانت هذه الجهود العلمية بذلك تتناسب مع حجم الأسئلة والإشكالات المطروحة أمامه التي رافقته طيلة حياته العلمية، حيث ألهمه هذا الصرح الجمالي الخالد الذي يسمى الشعر الأندلسي معظم أعماله وأكثرها شهرة وأبعدها تأثيرا.

كما كان هاجس معرفة خبايا هذا التراث الشعري واستكناه مكامن الجمال والجدة فيه حافزا لغوميث ودافعه الأساسي على ترجمته ونقله إلى المتلقي الإسباني المهتم بقضايا الثقافة الجمالية في إسبانيا الإسلامية، بحيث تظل مسألة الترجمة بسلطتها وقوتها ماثلة في وعيه وتصوراته ومنطلقاته، فبدلا من التركيز على الترجمة كممارسة لغوية مثلا يتم عبرها ومن خلالها نقل نصوص من لغة إلى أخرى، تصبح العناية عنده منصبة عليها كحدث ثقافي وحضاري يتم عبر ثقافتين متقاربتين متجاورتين (العربية /الإسبانية).

إنه يتعدى كل ما هو ضيق في الترجمة إلى مستوى أرقى في نقل حمولات النص الفنية والثقافية، فتغدو الترجمة عنده بذلك عملية تأثر وتأثير وعملية تفاوض ثقافي وحواري بين ثقافتين عاشتا جنبا إلى جنب في إسبانيا الإسلامية.

ولكي نفهم مشروع غوميث في مجال الترجمة للشعر الأندلسي لابد لنا من وضعه في سياق نسق معرفي مناسب، وننظر إليه بصفته تجليا علميا لإنجاز معرفي وجمالي متكامل ومنسجم؛ بدل صاحبه جهدا كبيرا في بنائه والسهر على بلورة مكوناته، وتغذيته بكل ما أوتي من قدرة ودراية علميتين.

والجميل الجديد في هذا المشروع أنه لا يتمركز حول مجال أو حقل شعري واحد معين، ولكنه ينوع ذلك في إطار عنايته بالعالم الشعري الأندلسي وتراثه الفني ومحاولة تبنيه واحتضانه عن طريق ترجمته ودراسته ومقاربة نماذجه.

كما ينبغي كذلك معرفة المنطلقات الأساسية التي كانت وراء توجهاته ورؤاه لفعل الترجمة، وممارستها. لأنه مشروع علمي متكامل وطموح استطاع صاحبه نقل الانشغالات المرتبطة بالشعر الأندلسي من مجالاتها العربية والإسبانية إلى مجالات أوسع وأرحب، إلى مستوى العالمية، حيث اهتم به الباحث الإنجليزي والفرنسي والأمريكي كبروفنصال وكولان وبيريس ونيكل وشتيرن وغيرهم.

ومن هنا نجده قد أقبل على نقل كثير من النصوص من الشعر الأندلسي إلى لغته الإسبانية والتعريف بها وبأهميتها وبمكوناتها الدلالية والجمالية الغنية، فأضحت رؤاه ملتزمة بالقضايا الجمالية والفنية لهذا الشعر بعد أن كانت ملتزمة بالقضايا التوثيقية التاريخية.

ثم إن دراسة هذه الإنجازات الغوميثية ستسمح لنا دون شك بتحديد مواقفه وتصوراته وقناعاته تجاه الشعر وترجمته، مع إدراك العديد من القضايا التي ترتبط بهذا التراث.

إذن من هذه المنطلقات سنحاول مقاربة القضايا المتصلة بمشروعه في ترجمة الشعر، لأنها ستفتح أمامنا مدخلا لبناء تصور متكامل عنه ، وعن دواعي هذه الترجمات وملابساتها، أي ما هي الدوافع والبواعث التي عملت على انبثاقه ونشأته وازدهاره؟ ولماذا كان غوميث يترجم أعمالا شعرية بعينها ومختارة بدقة؟ وما هي أهداف هذه الترجمات ووظائفها وأبعادها؟

وعندما نطرح هذه الأسئلة تنتصب أمامنا أسئلة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وهي: كيف كان يختار غوميث النصوص الشعرية التي يريد ترجمتها؟ وما هي المعايير المعتمدة في هذا الاختيار؟ هل هي فنية أم تاريخية أم معرفية أم تيمية؟ كيف كان يأخذ النص الشعري مكانته ضمن المنظومة الأدبية المستقبلة كالإسبانية هنا مثلا؟ ما هي التأثيرات والتغييرات التي مارستها هذه الترجمات على المشهد الشعري الجمالي الإسباني؟

وكيف ساهم غوميث في خلخلة القناعات الشعرية التي كانت سائدة لدى شعراء إسبانيا العصر الحديث؟

وهكذا إذن ينبغي أن نلج عوالم الترجمة وفضاءاتها عند غوميث باعتبارها تفصح عن عميق إلمامه ودرايته بالتراث الشعري الأندلسي، وإدراكه للإشكالات المتصلة به، لأنه كان بحق من أهم الباحثين العالميين احتكاكا ووعيا بأسئلة الترجمة لهذا الشعر وتضاريسه المختلفة، إذ عاش هذه التجربة على مدى أزيد من نصف قرن من الإنجازات والأعمال الكبرى الجادة المثمرة في هذا المجال.

كما أن هناك مجموعة من الأسئلة الأخرى المرافقة للأولى التي ينبغي طرحها، وفي الواقع يتم الوصول إليها من خلال طرح المجموعة الأولى والإجابة عنها، وهي: ما هو الفرق بين ترجمة غوميث وترجمة خوان باليرا Ju?n Valera للشعر الأندلسي؟ وما هي المعطيات والملابسات والمهارات التي جعلت من ترجمته لهذا الشعر تتفوق على تلك التي أنجزها باليرا وتتجاوزها، وتسكتها؟ وما درجات التأثير التي أحدثتها في الحساسيات الجمالية الإسبانية؟ وهل كانت تعاني هذه النصوص مثلا غربتها وفقدانها لأصولها وعناصرها وخصوصياتها في هذه العملية، فتغدو أجنبية غريبة كباقي النصوص التي تسافر من لغة إلى أخرى، وتنتقل من نظام تداولي وسياقي أصلي إلى آخر طارئ جديد؟

إذن عملنا في هذا الفصل سينطلق من قراءة لإنجازات غوميث في ترجمته للشعر الأندلسي، وفي تناوله لمختلف الإشكالات والمعطيات المرتبطة بترجمة هذا

الجنس الأدبي الفني، كما سنسعى من خلال مواصلة قراءة أعماله إلى استكشاف بعض الإيجابيات التي طبعت ترجماته الشعرية ووسمتها بالأصالة والتفاعل والنضج العلمي، وجعلت منها وحدة متماسكة، استطاعت أن تقنع بكفاءتها ودقتها وعمقها شريحة واسعة من القراء والنقاد والدارسين في العالم.

### ١- ترجمة الشعر الأندلسي إلى الإسبانية: النشأة والتأسيس:

لقد أتيح لغوميث قدر واسع من الإلمام والإدراك لجدلية الترجمة للشعر الأندلسي ولوظيفتها وأبعادها، إذ قام بعدد من الأعمال الهامة في هذا الباب ومن موقع اهتمامه بالكشف عن أشكاله وتجلياته المتنوعة المختلفة.

فاهتم في بداية مسيرته العلمية بترجمة الشعر الأندلسي، حيث بدأ محاولاته المبكرة في هذا الموضوع بترجمة عيون الشعر الأندلسي الكلاسيكي، فحاول بذلك أن يصور مراحل نشأة وتطور هذا الشعر منذ بداياته الأولى إلى مراحله النصرية المتأخرة- نسبة إلى دولة بني نصر الغرناطية- ، عبر إيراد نماذج رائعة ومتنوعة ومتجانسة إلى الإسبانية.

ويعتبر غوميث فعلا من أقدم المستعربين المحدثين الذين اهتموا بالشعر الأندلسي دراسة وبحثا وترجمة وتحقيقا ونشرا، وجعلوا منه مركز عنايتهم وانشغالاتهم العلمية، فكان أغزرهم إنتاجا وتنظيرا ودراية وعمقا بحفريات الشعر الأندلسي وبتقنية ترجمته ونقله إلى الإسبانية نقلا جيدا معبرا ومؤديا للغرض طيلة حياته العلمية.

فهل كان لغوميث قصب السبق في ترجمة هذا الشعر إلى الإسبانية، وأول المبادرين إلى نقله إلى لغته أم كانت هناك قبله محاولات سابقة على درب الاحتكاك المباشر بهذه النماذج الشعرية الرفيعة، والرفع عنها حجب النسيان؟

الحق أنه ليس المرة الأولى التي يعرف الشعر الأندلسي هذه العناية بنقله إلى لغة لاتينية، بل سبقت غوميث محاولة مهمة مبكرة في هذا المجال قام بها خوان باليرا الذي ترجم كتاب أدولف فريدريك غراف فون شاك **Von Schack** (١٨١٥-١٨٩٤) الذي يحمل عنوانا "الشعر والفن العربيان في إسبانيا وصقلية".
"**Poesie und kunst der Araber in Spanien und Sicilien**" من الألمانية إلى الإسبانية. كما ترجم باسكوال دي غاينغوس **Pascual de Gayangos** (١٨٠٩-١٨٩٧)[1]

---

[1] - ولد بسكوال دي غاينغوس بإشبيلية في ٢١ يونيو سنة ١٨٠٩، تلقى العربية على يد دي ساسي في باريس، وعندما عاد إلى إسبانيا واصل تعلم اللغة العربية في سان إيسيدرو. أقام في

مقطوعة من أشعار لسان الدين بن الخطيب المنقوشة على جدران قصر الحمراء إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٨٤٢، ثم نقلها إميليو لافوينتي ألكنترا Emilio Lafuente y Alcantara (١٨٢٥-١٨٦٨) [1] إلى الإسبانية، مضيفا إليها مقطوعة أخرى في نفس الموضوع ونشرها ضمن كتابه (النقوش العربية في غرناطة).

وما دون هذه المحاولات الشحيحة جدا في ترجمة الشعر الأندلسي، فقد ظل الاهتمام به في دائرة النسيان، وحبيس الإهمال وعدم الالتفات الجدي إلى نصوصه. ولكن لماذا هذا الإجحاف في حق الشعر العربي عامة والأندلسي خاصة، وعدم العناية والاهتمام به إذا ما قيس بالاهتمامات الكبرى لباقي أشكال الإنتاج الفكري

---

مالقة بعض الوقت وتعرف على سيرافين كالديرون الذي كان مغرما إلى أقصى حد بالدراسات العربية. في عام ١٨٣٣ عين غاينغوس مترجما رسميا للغات في الحكومة، وكلف بعد ذلك بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة القصر الملكي، فاستخرج وثائق عديدة خاصة بتاريخ إسبانيا وجغرافيتها. توفي بلندن في ٤ أكتوبر ١٨٩٧.

من آثاره: نشر قسما كبيرا من نفح الطيب للمقري، متنا وترجمة إنجليزية في مجلدين (لندن – مدريد ١٨٤٠ – ١٨٤٣) وصنف كتابا عن تاريخ المسلمين في إسبانيا (لندن ١٨٤٠ – ١٨٤٣). للمزيد من المعلومات عنه ينظر: كتاب "المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر" (ص: ٨٩ إلى ١٠٧) وكتاب "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" (ص: ١٢٨ و١٢٩).

[1] - ولد إميليو لافونتي إي ألكنترا في أرشيدونة Archidona سنة ١٨٢٥، وهو أخ ميغيل لافونتي إي ألكنترا. كان صديقا وتلميذا لسيرافين كالديرون، وكان عضوا بأكاديمية التاريخ، ومديرا لمكتبة سان إيسيدرو. أول كتاب نشر له في مجال الدراسات العربية هو: "النقوش العربية في غرناطة". كان إميليو يحركه التعاطف مع الشعب الإسلامي البائد والقدر الذي لحق به وبلغته وآثاره الأدبية الراقية والفنية، فاختفت كتب عربية كثيرة على يد جهلاء ومتعصبين. بدأت أكاديمية التاريخ في نشر أعمال عربية خاصة بالتاريخ والجغرافية، وكان الكتاب الأول من أعمال لافونتي هو تحقيقه وترجمته كتاب "أخبار مجموعة" الذي نشر عام ١٨٦٧م. أما الكتاب الأخير الذي نشره إميليو في مجال الدراسات العربية هو "بعض أحداث الفترة الأخيرة لمملكة غرناطة"، توفي في مالقة سنة ١٨٦٨م.

للمزيد من المعلومات عنه انظر: كتاب "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" لمشيل جحا، ص: ١٣٣، و"المستشرقون" للعقيقي، ج: ٢، ص: ٥٨١-٥٨٢، و"المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر، ص: ١٨١ إلى ص: ١٨٥، ثم انظر أيضا:

**Manuela Mar?n:"** ***Los Arabistas Espa?oles y Marruecos: De Lafuente Alc?ntara a Mill?s Vallicrosa*****. pp: (73 – 91).**

والعلمي التي نبتت بإسبانيا الإسلامية فأخذت طريقها إلى الترجمة إلى لغات أوروبية أخرى كالتاريخ والعقائد والعمران والاقتصاد...؟

يجيبنا غوميث بنفسه عن هذا السؤال مشيرا إلى أهم المعوقات التي كانت سببا في هذا العزوف،فحالت دون ازدهار حركة ترجمة الشعرالأندلسي في بداية العصر الحديث، يقول غوميث:« يعتبر الشعر العربي أقل نواحي الدراسات الشرقية قدرا في نظر الباحثين (الغربيين) وأقلها اجتذابا لهم، ومرد ذلك إلى علل كثيرة، منها تعقد أوزانه وبحوره واتساع ثروته اللفظية...ومنها تشعب مجال الكنايات والتفنن في ابتكار التشبيهات، والتعقيد والألغاز، والإغراب فيما يعمد إليه الشعراء من أساليب الالتواء، كقلب الألفاظ والتوزيع والتضمين وما إلى ذلك. كل هذا يباعد ما بين لغة النثرالعادية ولغة الشعر في العربية بعدا شاسعا، ومن نتائج ذلك أننا وجدنا بعض الباحثين يعجزون عن فهم ما يصادفهم من هذا الشعر، فيصفونه بأنه لا يفهم، ملتمسين لأنفسهم بذلك أيسرالمخارج» [1].

وإذا كان اليوم هذا الازدهار العظيم الذي عرفه مجال ترجمة الشعر الأندلسي ودراسته والبحث فيه في إسبانيا والعالم العربي، فإن الفضل الكبير يرجع إلى هذا الرجل "إميليو غارثيا غوميث" الذي شق الطريق الوعر، فعبده وسهل السير فيه وذلله في وقت كان مجرد الاقتراب فقط من أسوار هذا الموضوع الرهيب الصعب الذي يسمى "ترجمة الشعر الأندلسي" يعد تحديا كبيرا للعلماء والمترجمين. ولهذا تتمثل أهمية إنجازاته المبكرة الأولى في انخراطه كباحث وكمترجم مرموق في سياق إرساء وترسيخ دعائم مشروع علمي في تناول قضايا الشعر الأندلسي وإشكالاته، حيث كان يتلمس طريقه وقتها مع ثلة منتخبة رائدة من علماء إسبانيا المرموقين من أساتذته وأصدقائه أمثال خوليان ربييرا إي طاراغو Juli?n Ribera y Tarrago [2] وميغيل أسين بلاثيوس Palacios

---

[1] - إميليو غارثيا غوميث، "أشعار أندلسية" ترجمه إلى العربية، حسين مؤنس بعنوان: "الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٦، ص: ١١٧.

[2] - خوليان ريبيرا إي طاراغو مستعرب إسباني، ولد ببلنسية Valencia، وتعلم العربية على يد فرانشسكو كوديرا، وتخرج من جامعة سرقسطة، وعين أستاذا للعربية بها (١٨٨٧) ثم انتقل إلى جامعة مدريد كأستاذ للحضارة الإسلامية من سنة ١٩٠٥-١٩٢٧. انتخب عضوا في المجمع اللغوي الإسباني، وهو ذو اهتمامات واسعة، وقد عد من بين كبار علماء الاجتماع والتاريخ والكشف عن أصل الشعر الغنائي الأوربي من المنابع العربية.

من آثاره: نشر بمعاونة كوديرا إي ثايدين المكتبة العربية الإسبانية من الجزء الثالث، وهي في عشرة أجزاء، و"تاريخ قضاة قرطبة" للخشني، متنا وترجمة إسبانية، و"التربية بين المسلمين

Leopoldo Torres Balb?s وليوبولدو طوريس بالباس [1] Miguel As?n [2] وآنخل غونثالث بالينثيا ? ngel Gonz?lez Palencia [1] وغيرهم، كل في

---

الإسبان"، و"موسيقى الأندلس والشعراء الجوالون" (مدريد ١٩٢٥)، ترجم إلى الإسبانية كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية ( مدريد ١٩٢٦) وغيرها.
كما يعد مرجعا للشعر الأندلسي وأثره في الشعر الغنائي الأوربي.
للمزيد من المعلومات عنه انظر: كتاب "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي (ص: ١٨٣ و١٨٤). و"الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" لميشيل جحا. (ص: ١٣٧ و١٣٨) و"المستشرقون" للعقيقي. الجزء الثاني (ص ٥٩٢ و٥٩٣). ثم انظر أيضا :
Revista *Al-*" Don Julian Ribera y Tarrago "Emilio, Garc?a G?mez: *Andalus* .vol. II Fasc 1 (1934) pp: (I – VIII).

[1]- ميغيل آسين بلاثيوس من كبار مستعربي إسبانيا العصر الحديث ، ولد بسرقسطة في يوليوز ١٨٧١، وتخرج في معهدها الديني، تلقى العربية على ريبيرا (١٨٩١)، ونال الدكتوراه من جامعة مدريد (١٨٩٦) نشر رسالته عن العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي (١٩٠١). وبعد فوزه في امتحان الأستاذية خلف كوديرا على كرسي العربية في جامعة مدريد (١٩٠٣). ترك هذا العالم الكبير ٢٤٥ كتابا وبحثا بعضها في عدة مجلدات وضعها ما بين ١٨٩٨ و١٩٤٤ وقد عالج في مؤلفاته هذه مواضيع عديدة كالفلسفة والتصوف والديني والتاريخ والأدب وغيرها...
للمزيد من المعلومات عنه انظر: كتاب "موسوعة المستشرقين" للبدوي، ص: (٧٥-٨١). و"الدراسات العربية والإسلامية في أوربا"، لمشيل جحا، ص: (١٣٨ – ١٣٩)، و"المستشرقون" للعقيقي، ج: ٢، ص: (٥٩٥ – ٥٩٧)، و"الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني"، لمحمد عبد الواحد العسري.
وانظر أيضا:
Emilio, Garc?a G?mez: Don Miguel As?n (1871 – 1944)
vol IX Esquema de una biografia. Bibliografia de Don Miguel As?n
Revista "*Al-Andalus*"
Fasc 2. (1944). pp. 267 – 319.

-

[2]- ولد ليوبولدو طوريس بالباس في مدريد سنة ١٨٨٨، وتخرج من كلية الفن المعماري في جامعتها (١٩١٦) وعين مهندسا لقصر الحمراء في غرناطة، (١٩٢٣) وأستاذا لتاريخ الفن المعماري في جامعة مدريد (١٩٣١) ومديرا لمتحف معهد بلنسية دي دون خوان Instituto de Valencia de Don Ju?n، وانتخب عضوا في مجمع التاريخ (١٩٥٤) وفي معهد ميغيل آسين، وعد خير خبير بتاريخ الفن الأندلسي، وقد خص مجلة "الأندلس" بدراسات نفيسة عن الآثار الإسلامية في إسبانيا بلغت ١٦٠مقالة.

مجـال اختـصاصه واهتماماتـه العلميـة، لتأسـيس صـوت عـالمي مـسموع لمجـال الدراسات العربية الأندلسية. وبفضل هذه الجهود التي قام بها غوميث أصبحت كثير من الأقلام تكتب عن هذا الشعر، بل وتدرجه ضمن اهتماماتها المركزية، وتطّلع على مكامن الجودة والجمال والفرادة فيه.

ولهذا يمكن أن نعتبر غوميث من أبرز الباحثين المستعربين المحدثين الذين حاولوا الانطلاق من معطيات ترجمة هذا الشعر لوضع معايير موضوعية، وطقوس علمية أكاديمية لترجمة النصوص الشعرية الأندلسية كنصوص مستقلة عن باقي حقـول التـراث الأندلـسي، وكنـصوص إبداعيـة قائمـة بـذاتها، لهـا خـصوصياتها المتميزة، ودون إدراجها ضمن الأنساق المعرفة الأخرى التي يتضمنها هذا التراث الغني كالتاريخ والفكر والدين والاقتصاد والاجتماع مثلا...

---

من آثاره: المدن الإسلامية في إسبانيا (حوليات معهد الدراسات الشرقية ١٩٤٢-١٩٤٧)، وفي سلسلة الفن الإسباني: الفن العربي في إسبانيا في عهد الموحدين ومملكة غرناطة والمغاربة، ثم قصر الحمراء وجنة العريف (مدريد)، ومسجد قرطبة وخرائب مدينة الزهراء (مدريد ١٩٥٢) توفي سنة ١٩٦٠.

للمزيد من المعلومات عنه انظر: «موسوعة المستشرقين" للبدوي (ص: ٨٣ إلى ص: ٨٥) و"المستشرقون" للعقيقي، ج: ٢، ص: ٦٠١ و٦٠٢. ثم أنظر:

**Garc?a G?mez, Emilio "Leopoldo Torres Balb?s" *Al-Andalus* Vol XXV. Fasc 2 (1960).**

[1]- آنخل غونثالث بالينثيا مستعرب إسباني محدث ولد بإقليم كوينكا Cuenca في ٤ شتنبر ١٨٨٩، تلميذ وصديق ميغيل آسين بلاثيوس وخليفة خوليان ريبيرا في كرسي التاريخ الإسلامي في جامعة مدريد سنة ١٩٢٧، تعرف على ميغيل آسين بلاثيوس لأول مرة أثناء الموسم الجامعي (١٩٠٩ – ١٩١٠) بجامعة مدريد، تولى إدارة "معهد آسين" (١٩٤٤-١٩٤٩)، كان عضوا بالأكاديمية الملكية للتاريخ والأكاديمية الإسبانية، توفي بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٩. من أبرز مؤلفاته: "المخطوطات العربية والإسبانية المكتوبة بالخط العربي " (١٩١٢) ." تاريخ الأدب العربي-الإسباني " (١٩٢٨) الذي نقله إلى العربية الدكتور حسين مؤنس بعنوان "تاريخ الفكر الأندلسي" (القاهرة ١٩٥٤)، و "المسلمون والمسيحيون في إسبانيا القرون الوسطى " (١٩٤٥) . كما قدم ترجمة جديدة لقصة حي بن يقظان لابن طفيل إلى الإسبانية (١٩٣٤). للمزيد من المعلومات عنه انظر: كتاب "الدراسات العربية والإسلامية في أوربا" د. ميشيل جحا، ص: ١٣٩ و١٤٠. و"المستشرقون" لنجيب العقيقي، ا لجزء الثاني، ص: ٥٩٧ و٥٩٨) و E,

**Revista *Al-Andalus*, Garc?a G?mez: "Don Angel Gonz?lez Palencia" vol. XIV. Fasc 2, 1949. pp: I y X (1889-1949)**

وإذا كان النص الشعري بمكوناته الجمالية والإيقاعية وصوره الفنية ليس سوى وثيقة تاريخية فقط في تصور الرعيل الأول من المستعربين الإسبان المحدثين أمثال بلسكوال دي غاينغوس وفرانثيسكو كوديرا وألكنترا وبونس بويغس حيث تتساوى عندهم في ذلك نصوص فنية عادية مع نصوص شعرية جيدة وراقية وذات مستوى عال من الشاعرية فإنه قد أصبح عند غوميث يتمتع بطابع دال عليه وبخصوصياته الذاتية التي تميزه عن باقي الأشكال الإبداعية الأندلسية الأخرى.

وهذا الموقف الذي اتخذه هؤلاء المستعربون المحدثون قبل مجيء غوميث كان يبخس للشعر حقه في التميز والتفرد وإظهار الخصوصية الفنية التي تميزه وبها يؤسس وجوده الجمالي، فيغدو هو والنصوص النثرية الأخرى العادية سيان، وفي مرتبة واحدة وعلى مستوى واحد في الإبلاغ والأداء التواصلي ودون مراعاة للفوارق التيمية والفنية التي تجعل منهما شيئين مختلفين.

ولهذا كان الغرض مثلا عند غاينغوس وبونس بويغس وألكنتر...من ترجمتهم للشعر هو خلق المعرفة التاريخية أو البحث عنها في نصوصه، وليست المعرفة الجمالية الفنية التي بدونها لا يعتبر الشعر شعرا، فأصاب الشعر العربي عامة من جراء ابتعاد هؤلاء المترجمين عن جوهره، وغياب المهارة في ترجمة ونقل كل مكوناته الذاتية التي بها يسمى شعرا أن« أسيء فهم عباراته وألفاظه، وجعلت المكانة الأولى بين ثمراته للقصائد ذات القيمة التاريخية أو التي يمكن الاستفادة منها في وجه من الوجوه، مع أن هذه الأضرب من الشعر العربي لا تمثل منه إلا جانبا عاطلا من كل جمال، وكانت نتيجة هذا أن أعطي هذا الضرب من الشعر فوق ما أعطي العشر الجميل الجديد بالإعجاب...ولقد كان الشعر الأندلسي – خاصة – أقل من غيره نصيبا من العناية والدراسة لأن كثيرا جدا من دواوينه ومجموعات مختاراته لم ينشر بعد، ومن بين هذا الذي لم ينشر طائفة من أهم مراجع ذلك الأدب "كذخيرة" ابن بسام "ومغرب" ابن سعيد، ثم إن نصيب الإسبان في نشر ما نشر منه لا يكاد يذكر. أما ترجمات هذا الشعر إلى لغات أوروبية أو الدراسات الموضوعية التي تمت في ميدانه فإننا – إذا استثنينا بعض رسائل صغيرة وبعض قصائد درست لا لذاتها بل لغرض آخر – لا نكاد نملك إلا المجموعة التي صنفها كوند نورونيا المسماة « أشعار آسيوية.

**Horacio el Conde de Noro?a: Poes?a Asi?ticas (1833)**

وهو لم يترجم مقطوعاتها من العربية رأسا، بل عن نقول إنجليزية أو لاتينية»[1].

---

[1] - نفسه، ص: ١١٨ و١١٩.

فأقر غوميث بأنه لا ينبغي أن ننظر إلى النص الشعري من جانبه التواصلي التوثيقي التاريخي فقط كما هو الحال عند أولئك العلماء الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم، اتسمت ترجماتهم له غالبا بالتقريرية والسطحية، بل لابد من الغوص وراء جوانبه العميقة المسكونة بالأبعاد الجمالية، الحبلى بالأسرار والصور والإيحاءات الدلالية واللغوية والتيمية، والتي تستفز القارئ المترجم لها فتدفعه إلى الحفر وراء المعاني البعيدة وجمالية التصوير والالتقاط الفني للأشياء وللواقع. ولهذا لم يعد الشعر وترجمته عند غوميث إذن مجرد واقعة تاريخية توثيقية، بل أصبح واقعة بلاغية إبلاغية، بناء على ما ينهض عليه من مكونات جمالية جوهرية ذاتية فيه.

وحتى غاينغوس مثلا حينما سعى إلى ترجمة أجزاء من نفح الطيب للمقري إلى الإنجليزية لم يعن بترجمة الشعر ترجمة علمية فنية تحافظ على مكوناته الجوهرية الجمالية والبنيوية والإيقاعية[1]، فجاءت ترجمته لهذا الجنس الأدبي الصرف ركيكة ضعيفة فنيا، وتخدم أمورا علمية أخرى بعيدة عن الشعر ومجاله الفني الجمالي ، لأن غرضه المركزي كان البحث فيه عن المادة التاريخية التي ينشدها من وراء عمله الترجمي لتلك النصوص الشعرية، فلم يأخذ هذا النوع الإبداعي على اعتبار أن له خصوصيات ومميزات تختلف عن التاريخ والاقتصاد والاجتماع، وله استقلاليته الجمالية والإيقاعية – كما قلنا – وإن كان يحمل بدوره وفي بعض لوحاته وصوره مادة تاريخية توثيقية.

فلم يأخذ إذن هذا النوع من الإبداع الإنساني الرفيع أهميته وقيمته الفنية والتوثيقية معا إلا مع مجيء إميليو غارثيا غوميث ابتداء من سنة ١٩٢٨ ومساهمته في هذا الباب مشهود لها بجرأتها وأهميتها وقيمتها التأسيسية.

وهكذا فإذا كان الشعر الأندلسي عند هؤلاء المستعربين الذين ذكرنا أسماءهم آنفا كذلك – أي وثيقة تاريخية – يستطيعون الاقتراب من خلالها من عصر الشاعر وواقعه وبيئته وسبل الحياة لديه ولدى مجتمعه فإنه سيصبح عند غوميث مبحثا مستقلا وقائما بذاته وسيغدو انشغالا علميا منفصلا عن باقي الأشكال الإبداعية والمعرفية التي تندرج ضمن منظومة التراث الأندلسي المترامي الأطراف، الوارف الظلال، له أسئلته الخاصة، وله هواجسه العلمية، وإشكالاته ونسقه النوعي الجنسي الذي يتسم به ويُدْرَسُ بواسطته في ذاته ولذاته، وهو بذلك كان يؤسس الترجمة لنوع جديد من المعرفة الأندلسية من وجهة نظر جمالية، ولم يعد

---

[1] - أي أن لا يحوله إلى نثر جامد ميت لا خصوصية شعرية وفنية فيه، بمعنى أن لا يقصي في عملية الترجمة كل عناصره الصوتية والإيقاعية والجمالية التي بها يسمى شعرا.

وجوده وترجمته مرهونين بوجود حقول معرفية مصاحبة له، يكون ثانويا فيها وليس موضوعا مركزيا في الترجمة، فكانوا بموقفهم هذا يقصون عن غير قصد نصوصا شعرية تحبل بكثير من المعطيات الفنية والأبعاد الجمالية المعبرة والرائعة.

والواقع أننا يمكن القول إن الترجمات التي شملت بعض النصوص الشعرية الأندلسية في سياق عنايتها بمحور تخصص أصحابها الأساسي، وخاصة منهم أصحاب الترجمات التاريخية كانت محدودة وتعد على رؤوس الأصابع، وبعيدة عن صرامة التخصص العلمي الرفيع الذي يرسم حدود كل عالم متخصص ومجال تخصصه، فظلت هذه المحاولات القليلة لترجمة الشعر الأندلسي في أغلب الأحيان استطلاعية ووسيلة لغاية تبتعد كثيرا عن مجال الشعر، واهتماماته وتذوقه والإلمام بمكوناته الجمالية.

ولهذا « لم يعرض أي مستشرق قبل فون شاك لهذا اللون من الدراسة، ذلك أن المستشرقين في جملتهم يهربون من الدراسات التي تحتاج إلى تذوق، لأن هذا يتطلب مع التمكن من اللغة وقواعد النحو، إدراك جماليات التعبير، وقدرة على إدراك التباين الدقيق بين الصور المختلفة، والوقوف على تفاوت الظلال بين تعبير وآخر، والوصول إلى هذا القدر ليس شيئا سهلا، لأنه يتطلب معايشة طويلة لأساليب اللغة المختلفة، وتمكنا قويا من إيقاعها ودلالات ألفاظها، وقراءات واسعة في أدبها»[1].

إذن فهم لم يتناولوه أو يترجموه من زاوية مكوناته الجوهرية، ولكنهم اعتبروه مبحثا ثانويا، في حين تفطن غوميث مبكرا إلى أهمية الشعر الأندلسي في خلق آفاق المعرفة المزدوجة التي لا تستطيع مباحث أخرى تحقيقها. فالشعر إلى جانب كونه مكونا جماليا يعتمد على التوظيف الانزياحي والبعيد للغة، والتشغيل الذكي للأساليب البيانية والبلاغية فيها بشكل يسمو على اللغة العادية المستعملة في التخاطب والتداول اليوميين، فهو بالإضافة إلى ذلك كله ناقل لنبض الواقع الذي يعيشه الشاعر المبدع ولكل ما يعتلج به المجتمع الذي نشأ وترعرع فيه، فيرسم أدق تفاصيل الحياة والحركة ، ربما قد لا تصل إليها حتى النصوص الأخرى المتخصصة في هذا الإطار، والمهتمة بالموضوع عن قرب كالتاريخ وعلم الاجتماع...الخ.

[1] - الطاهر أحمد مكي ، المقدمة التي وضعها لترجمته كتاب فون شاك، "الشعر العربي في إسبانيا وصقلية"، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص: ٦.

ولذلك أحس غوميث بأهمية هذا اللون الأدبي العجيب في خلق منافذ وقنوات مهمة للتواصل مع الماضي الإسلامي بإسبانيا العصر الوسيط، فَأَوْلاهُ كل ما يستحقه من اهتمام وعناية لازمين، وسخر له جل جهوده العلمية المتواصلة.

وهذا الاحتكاك عنده بمثل هذه النصوص الأندلسية سيأخذ في الاتساع والشمولية، وسيتخذ الشكل الانفتاحي على أغلب المباحث والمجالات المرتبطة بالتراث الشعري الأندلسي، وهي استجابة تختلف بالنسبة إليه اختلافا متفاوتا مدا وجزرا، حسب تمرحل مسيرته العلمية، فتارة تأخذ طابع الكثرة والسيولة، وتارة أخرى تأخذ طابع القلة وهكذا.

وفي كلتا الحالتين كان غوميث يرى في هذه الإنجازات فرصة ذهبية لإثراء الهوية الثقافية والجمالية الإسبانية وتطويرها من خلال تعميق الاتصال بهذا التراث الشعري، وإغنائها بنصوصه الجيدة التي يكتشفها مع كل محاولة جديدة في مسيرته العلمية المتواصلة .

ولهذا اختار غوميث الاشتغال على النص الشعري الأندلسي في تجلياته الكلاسيكية القديمة (القصيدة التقليدية الفصيحة) ثم الفنون الجديدة المستحدثة في الأندلس (الموشحات والأزجال) ترجمة وبحثا وتحقيقا ودراسة ونشرا.

ففتح بذلك آفاقا جديدة وغنية لدراسة هذا الشعر، فكان له الفضل الكبير في توسيع مجالات ترجمته، بما سخر له من عناية واهتمام بأصنافه المختلفة، المهمش منها والمركزي الرسمي فيها.

كان غوميث ينادي بأن تحقيق معرفة جيدة وعالية المستوى بالشعر الأندلسي مطلب لن يتحقق أو يتم بلوغه إلا بإنجاز شامل لعملية الترجمة لجل نماذجه، ولهذا فإن مشروعيته ما تزال تحتفظ بمقومات راهنيتها، فهو الذي أعاد إحياء نصوصه، وهو أيضا الذي حقق لعملية ترجمته عالميتها وأكسبها انتشارا، وذيوعا ومصداقية وقدرة على الإقناع والتأثير والتقبل.

فاتسمت ترجماته بالحضور الفعلي الدائم في الدوائر الثقافية العلمية العالمية؛ بما أسسته من غنى الرؤية وسعة التناول ودقة المسعى وعمق الترجمة...

يقول ألفونسو دي لاسرنا **Alfonso de la Serna** بهذا الصدد:

«...له حساسية أدبية كبيرة، وروح شاعرية، نثره مليء بالعصارة وبالجمال والروعة، صاحب نفس إيقاعي وشعري، كان يعرف كيف تسقط في يديه نصوص أندلسية رائعة من الشعر والنثر ، كما كان يدري كيف يمسك الشعر الأندلسي ويسكبه في قوالب اللغة الإسبانية مثل الذي ينقل الماء من جرة ملونة بألوان قوس قزح إلى كأس لؤلئي بريقه أصلي خالص وفاتن. كما كان يعرف أيضا كيف يشرح

لنـا غمـوض "الخرجـات" Las Jarchas بعبـارات واضـحة وبـسيطة، ولامعـة براقة» [1].

ولهذا ففضل غوميث الكبير يتمثل هنا في سعيه الحثيث والمستمر منذ انطلاقة مشروعه العلمي في الثلاثينات من القرن الماضي في صياغة منظومة من الخطوات تكون قاعدة ذهبية لكل من يريد ترجمة الشعر الأندلسي مع محاولة الاستعانة والاسترشاد في هذه الترجمة بمناهج متعددة وغنية تتراوح ما بين المنهج الفيلولوجي المقارن والمنهج التاريخي وبين المنهج الانطباعي الذوقي التأثري، أي ما يعرف بالمنهج التكاملي، انسجاما مع نظرته المتكاملة التي ميزت أعماله وأنشطته العلمية، ووسمتها بكثير من الحيوية والفعالية والفنية. يقول برميخو Bermejo « أود أن أشير هنا إلى أن غوميث قد جمع بين المعرفة العلمية الدقيقة للشعر الأندلسي والإيقاعات العربية والحساسية الفنية العميقة» [2].

وغوميث نفسه نموذج فريد في البحث والسعي وراء كل جديد في عالم الترجمة، ومثال يحتدى في الجهد العلمي والجدية، فقد اضطلع الرجل بالتأريخ لحياة الشعر الأندلسي من بداياته الأولى تقريبا إلى المراحل المتأخرة من توهجه وسموقه بإسبانيا الإسلامية، وأحاط بمصادره المختلفة مخطوطة كانت أو مطبوعة، في مكتبات عديدة، حيث كان الوصول إليها صعبا عسيرا، إن لم يكن في بعض الأحيان مستحيلا. كما أن أمر تداول الموجود المتوفر منها كان محصورا بين ثلة من الباحثين لا يتعدى إلى غيرهم من العلماء الذين يودون الاشتغال بالشعر ومجالاته.

وللغرض نفسه تتمتع ترجمات غوميث بحضور بارز مهم وكبير ليس فقط على المستوى الأكاديمي المنحصر في دائرة المتخصصين، ولكن على كل من له علاقة بالثقافة الإسبانية القديمة، ولكل من يريد معرفة ذلك.

لقد كان لغوميث قدرة كبيرة على سبر أغوار النصوص وتفسيرها وتقريب دلالاتها إلى جانب ترجمتها. فأعاد الاعتبار بذلك لهذا الشعر، وسعى إلى إدراجه وإدخاله ضمن الاهتمامات العلمية المركزية للنقاد والأدباء الإسبان والعرب على حد سواء.

---

[1] -Serna Alfonso, De la."Homenaje a Don Emilio Gracia G?mez" - Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII (1996) p.120.

[2] Vallve Bermejo, Joaqu?n. "Homenaje a Don Emilio Garc?a G?mez" - Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII (1996) p. 133.

ويمكن اعتبار محطة دراسته بمصر نقطة انطلاقه في مسيرة احتكاكه بهذا اللون الفني الرفيع. فهناك بأرض الكنانة اكتشف غوميث المعنى العميق لجمالية هذا الشعر، ومستويات تمثله وتذوقه والإعجاب به، ووعيه بقدرة الترجمة على فتح منافذ كثيرة لمعرفة الآخر جماليا وفنيا هذه المرة. هذا الآخر القريب جدا من الأنا – كما ذكرنا سابقا في الفصل السابق-، وفي مصر أيضا استطاع أن يتعرف عن كثب، وبالملموس على علامات التشابه والاختلاف بين الشعرين: العربي الأندلسي والإسباني اللاتيني ويقارن بينهما، فكان ذلك بداية لبحث عميق ومضن وطويل في حفريات هذا الشعر الذي نبت في إسبانيا الإسلامية، فأسس لمدرسة جديدة في منظومة الاستعراب الإسباني الحديث تهتم بلون جميل جديد من ألوان الثقافة الأندلسية الغنية وهو الشعر بعدما كان الاهتمام مكرسا ومنصبا على التاريخ والفكر والدين...وغيرها في فترات سابقة.

وتعد هذه المرحلة أيضا انطلاقة لمجهود علمي للتفكير الجاد المثمر حول أهمية هذا الشعر وأثره في الأنساق الجمالية الفنية للشعر الأوروبي بشكل عام، انطلاقا من البحث فيه عن جدلية التأثر والتأثير فيه، وعلاقة الأصول والامتدادات في إبداعات شعراء إسبانيا أولا وأوروبا ثانيا.

ويذهب محمود علي مكي إلى أن ترجمات غوميث "للأشعار الأندلسية"، و"لطوق الحمامة"، ولأزجال ابن قزمان احتلت مكانة سامية وانتشارا كبيرين لم تعرفهما الثقافة الإسبانية من قبل، كما أن مغامرته العلمية الكبرى تتجلى في ترجمته لقصائد أندلسية تتوفر على جانب غير قليل من الصعوبة، ونفس العملية قام بها في ترجمته للموشحات والأزجال التي تعد تحديا للباحثين الغربيين، ولكن غوميث بإصراره وعناده قبل الرهان[1].

وقد ساعدته ترجماته وإنجازاته الأولى المبكرة على ترسيخ قدماه في ميدان ترجمة الشعر الأندلسي دون منازع. فأضحت هذه الترجمات بذلك معينا ثرا متدفقا بالمعرفة النادرة، ومعينا لا يفتر عن تزويد كل من يود البحث أو دراسة أو الاشتغال بالشعر الأندلسي، نظرا لدقتها وسمو لغتها ولطريقتها الصارمة في الترجمة والنقل العلميين.

ويمكن القول إن غوميث بهذه النشأة الأولى – أي في المرحلة المبكرة من حياته العلمية – قد جعل من التراث الشعري الأندلسي قضية كونية، وشديدة التأثير

---

[1] - **Makki Ali, Mahmud. "Emilio Garc?a G?mez, El Arabismo Espa?ol y El Hispanismo ? rabe" Revista del *(I.E.E.I). Vol. XXVIII* (1996). p. 114**

والاستقطاب لدى الباحثين الدارسين من ثقافات كثيرة مختلفة، ولم يعد معه هذا الموضوع من اهتمام الإسبان فقط، أو محصورا عليهم، بل أضحى موضوعا مفتوحا على كل الاتجاهات، وقبلة لكل الباحثين المهتمين بالتراث الأندلسي في العالم.

كما صارت أعماله مصدرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنها في بابها من قبل الباحثين بمختلف توجهاتهم ومنطلقاتهم أو مباحثهم التي يشتغلون عليها في مجال (الأندلسيات) فكانت نتيجة ذلك ظهور فيض من الأعمال والدراسات الإسبانية التي أخذت تعتمد على ترجماته بشكل مباشر، والتي تنم عن فهم عميق له ولمجالاته. كما تدل أبحاثه في نفس الاتجاه عن حس الباحث الكبير، والمتذوق العارف بخبايا هذا الشعر وبطرق اشتغال العناصر الجمالية فيه، فالعديد من مؤلفاته وترجماته طبعت مرات عديدة ونفدت قبل أن تعرف فترات استراحة، أي قبل أن تختفي من السوق.

وهذه الترجمات لا غنى عنها للباحث في التراث الشعري الأندلسي إذا أراد تكوين معرفة قريبة ودقيقة عن تطور هذا الفن في إسبانيا الإسلامية، فهي تقوده إلى امتلاك ثقافة ومعرفة جيدتين عن سيرورة هذا اللون الإبداعي في الزمان والمكان داخل الأندلس، وتساعده على فك أسرار وألغاز كثيرة ظلت غامضة ويكتنفها اللبس إلى مجيء غوميث. ويذهب الباحث الإيطالي المعروف فرانثيسكو غبريللي إلى أن مساهمة غوميث كانت فعالة في دراسة التحولات التي عرفها الشعر العربي بإسبانيا[1].

والحق أن هذه الأشعار تقع ضمن قائمة النصوص الأدبية الرفيعة الراقية جماليا، إذ تتمتع بصفات وسمات لغوية جيدة، وبأسلوب شعري يعجز الكثيرون عن نقلها وترجمتها ترجمة تحافظ على مكوناتها الجوهرية الأصلية، كما تكمن صعوبتها كذلك في نسقها الشعري العتيق ولغتها ومفرداتها التي تعود إلى أكثر تسعمائة سنة خلت ، وتراكيبها وطرائق صياغتها نبتت في زمن وبيئة غير زمن وبيئة غوميث، وجهازها المفاهيمي والتعبيري غير مألوف في لغتنا العربية المعاصرة بالشكل الكافي والمعقول الذي يمكننا معه أن نفهمها بسهولة كبيرة مثلما نفهم الشعر العربي الحديث مثلا ، وبالتالي نتوقع أن يجد غوميث صعوبة في فك

[1] - Téres Sadaba El?as. "En la jubilaci?n de Don Emilio Garc?a G?mez" *Al-Andalus. vol XL. Fasc ?nico (*1975) p:v

مفرداتها وأبعادها الجمالية التي لا تسلم نفسها للمترجم أو المتلقي بسهولة ومنذ الوهلة الأولى.

ثم إنه مما يزيد من صعوبات غوميث في الترجمة لهذا الشعر هو أنه يترجم نصوصا من القرن الثالث الهجري ثم ينتقل إلى ترجمة نصوص أخرى ترقى إلى القرن السابع أو الثامن مثلا وما بين الفترتين من بون وتفاوت بارزين في اللغة وطرائق الصياغة والبناء الشعري وفي اختلاف المراحل ، وقانون التبدل والتغير في الرؤى وفي البيئات الفنية.

ولهذا يمكن القول إن لترجمة الإبداع الشعري خصوصية معينة وللشعر القديم خصوصية أكبر مقارنة مع غيره من باقي أنواع الشعر الحديثة، حيث تقع على عاتق مترجم هذا الشعر الأندلسي القديم مسؤولية مزدوجة وجهد مضاعف في العناية بنقل دلالات نصوصه وأبعادها المعنوية مع المحافظة في نفس الآن على جمالية هذه النصوص التي يود ترجمتها، والتي بها تسمى شعرا ، أي ما يمكن أن نطلق عليه بجمالية الترجمة لأنها تنقل خصوصيات القصيدة التي لا يمكن التضحية بها أو التفريط في جزء من أجزائها.

ولذلك ينبغي أن يكون المترجم ذا خبرة شعرية عالية كأن يكون شاعرا متذوقا للشعر كما ذكرنا آنفا ، عارفا بأموره وخباياه ، وصاحب خبرة طويلة في قراءته وتحليله وتمثله. وقد ذهب كثير من منظري الترجمة إلى القول إن الترجمة التي أنجزها شعراء أو من لهم محاولات شعرية، كانت دائما تحرص كامل الحرص على مكونات النص الجمالية والفنية.

ومن حسن حظ الشعر الأندلسي الكلاسيكي أن أتيح له مترجم متفرد وعالم يعرف أصول نظم الشعر ويتقن الكتابة فيه ، ومتمكن متمرس بأدواته وعارف كيف يقتحم قلاع نصوصه وينقل منها دلالاتها وأبعادها وجماليتها بأمانة ودقة، حيث استطاع بذلك كله أن يحدث تحولا عميقا في ترجمة الشعر وتلقيه عند الإسبان بشكل خاص فترجم نصوصه بأسلوب راق ومعبر حتى حقق إجماعا واتفاقا عالميين على أنه مترجم من الدرجة الأولى للشعر الأندلسي.

فكان يختار مفرداته بشكل جيد ومقابلات إسبانية أكثر دقة ودلالة في ملاءمتها للمعاني العربية وقربها من خصوصيات الشعر الأندلسي، خصوصا إذا علمنا بأن الترجمة من العربية إلى الإسبانية ليست هي الترجمة من الفرنسية أو البرتغالية أو الإيطالية... إلى الإسبانية لصعوبة العربية واختلافها عن هذه اللغات اللاتينية التي تتماهى مع بعضها في كثير من السمات اللغوية المشتركة.

يضاف إلى ذلك أن اللغة العربية تتميز بخاصية الإيجاز والاقتضاب وحمل المعاني والدلالات في أقل عدد ممكن من الكلمات، وكلما كانت القصيدة موجزة إلا

وكانت جيدة وبليغة وهذا ما يجعل عمل المترجم أيضا صعبا للغاية، وتقع عليه مسؤولية استكناه البنى العميقة للغة العربية وتشكلاتها الدلالية.

فكان غوميث للأسباب ذاتها يعتني دائما ببلاغة الكلمات العربية وإيقاعاتها الموسيقية وخصائصها الفنية أثناء إنجاز الترجمة، فجاءت ترجماته لهذا الشعر أقرب إلى روحه وأجوائه الحقيقية.

والعجيب في الأمر هنا هو أنه لم يتجرأ إسم آخر على مزاحمة غوميث في ترجمة الشعر الأندلسي الكلاسيكي، خصوصا في المراحل المبكرة من مشروعه العلمي ، بل ظل متربعا على عرش الترجمة للشعر الأندلسي زمنا طويلا قبل أن تظهر أسماء استعرابية أخرى جديدة في السنوات الأخيرة.

وباختصار ينبغي أن يكون المترجم قادرا على نقل بكفاءة وبأسلوب مماثل ما يقوله النص الأصلي، ويقتضي أن يتسلح بالخيال وبسعة الأفق في النظر والفراسة القوية على إدراك الأشياء والمعطيات إدراكا لا يخطئ الهدف وإنما يصيبه، سعيا إلى تأسيس أعمال تتسم بالدقة والأمانة والشاعرية كما وردت في النص الأصلي، أي ألا يفقد النص المترجم تلك الخصوصيات التي بفضلها استحق الترجمة والنقد، مع المحافظة قدر الإمكان على الخصائص اللغوية دون الارتماء في أحضان الترجمة الحرفية، التي تضر بروح النص وتُميتُ كل خصوصياته النوعية ودون أن تتحول عملية الترجمة أيضا إلى حذف أو اختصار لمكونات النص، مما يسقط معه صاحبها في الترجمة الاختزالية التلخيصية.

وهكذا يتضح أن ترجمة الشعر تتسم بطابع خاص يميزها عن ترجمة باقي الأنواع الإبداعية الأخرى، لأن الشعر يراعى في ترجمته كافة العناصر التي ينهض عليها من أفكار وصور فنية بلاغية واختيار للألفاظ المؤدية للغرض، وبناء عليه فإن الترجمة الجيدة للشعر لا تستقيم إلا باستحضار هذه العناصر وإعطائها حقها أثناء إنجاز عملية الترجمة.

والحق إن مهارة ومقدرة غوميث الرائدتين في هذا الباب هي التي سعت إلى ضمان لهذه النصوص سيرورتها المتجددة، فاستطاعت بذلك أن تسمو إلى مصاف النصوص الشعرية الخالدة في التراث الإنساني، حيث أصبح التراثان: العربي والإسباني، يجدان ذاتيهما ممتدتين فيه عبر معان وصور هذه النصوص التي قيض لها أن تعاد فيها دورة الحياة والتجدد مرة ثانية بفضل ترجمات غوميث التي مستها ، فسرت فيها كما يسري النور في ليل حالك داج، فيخترق عتمته، فيتحول ضياء وهاجا لا يعرف ظلمة بعدها.

إلا أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن غوميث لم يقتصر في ترجماته وأعماله التي تعكس خصائص المرحلة الأولى المبكرة من مشروعه في ترجمة الشعر على

نقل المادة الشعرية المتعلقة بالشعر الكلاسيكي فحسب – رغم أنه كان الطابع الغالب فيها – وإنما كان يمزج بشكل ماهر بين مختلف تجليات هذا النوع الأدبي الرفيع وفقا لنسق التمييز في إطار الوحدة ، وإن كان يولي عناية كبرى واستثنائية في هذه المرحلة- المرحلة الأولى من مشروعه العلمي - للشعر الكلاسيكي منه. ومن ثم فجوانب مشروعه تفصح عن مدى استيعابه لأغلب ألوان التراث الشعري الأندلسي.

لكن احتكاكه بهذه النصوص أخذ في الاتساع والشمولية في المرحلة الثانية، والانفتاح على الشعر الأندلسي المستحدث في إسبانيا الإسبانية بشكل أشد قربا وأكثر انشغالا به واستجابة لقضاياه ومكوناته من ذي قبل، بفعل ملابسات متنوعة فنية وتاريخية وإبستمولوجية سنشير إليها في محلها من هذا الفصل.

ولهذا يمكن القول إن الأساس النظري والمنهجي الذي انطلقت منه هذه الترجمات في صياغة رؤيتها وتصوراتها العلمية إزاء التراث الشعري الأندلسي يتأسس على مظهرين متكاملين:

مظهر الشعر التقليدي الكلاسيكي، ومظهر الشعر الشعبي المستحدث بالأندلس (كالموشحات والأزجال).

وفي هذا الإطار قدم غوميث ترجمات ذات قيمة علمية عالية للشعر الأندلسي، حيث حاول من خلالها الكشف عن أوجه المفارقات والاختلافات الموجودة بين اتجاهين فنيين عرفتهما إسبانيا الإسلامية. كما كان بارعا في اختيار نصوصه التي يود ترجمتها، وقادرا على المضي في هذه العملية إلى نهايتها، وبكل ما تحمله من مستجدات ومفاجآت غير مرتقبة، ولهذا فإن أي باحث يريد الاقتراب من مشروع غوميث يستطيع أن يقف على صورة قوية من صور تجليات الترجمة الشعرية في مستوياتها المتعددة.

وحتى ندرك أصالة غوميث ودوره في تطوير وإغناء مظاهر الترجمة للشعر الأندلسي بإسبانيا وخارجها علينا أن نضع نصب أعيننا البدايات الأولى لمشروعه هذا، ونشأة المحاولات الجادة المبكرة التي كانت إيذانا بميلاد باحث وعالم بارز في مجال ترجمة الشعر الأندلسي دون منازع.

واللافت للانتباه والإعجاب معا في هذا المشروع أنه بالرغم من مرور قرن تقريبا من الزمن على ترجماته الأولى لنماذج من الشعر الأندلسي ، فإنها ما تزال تمارس تأثيرها العميق والفعال في المشهد الجمالي الفني الإسباني والعربي إلى الآن ، وعلى حد سواء، وأنها ما تزال تصنع خلودها العلمي واستمراريتها دون

فتور أو تراخ بفضل توهجها وتوفرها على عناصر الصمود والتمدد في الزمان والمكان.

## ٢- غوميث والشعر الأندلسي الكلاسيكي:

يعد غوميث من الرموز الثقافية والعلمية الوازنة في الثقافة الإسبانية عموما والاستعرابية الحديثة خصوصا التي اهتمت بالشعر الأندلسي وإشكالاته وأسئلته الكثيرة الصعبة الملتبسة والمتنوعة. فكلما ذكر اسمه في هذا المجال إلا واستحضرنا ثورته الأدبية العنيفة التي أحدثتها ترجماته الرصينة في المنظومة الجمالية لشعراء إسبانيا في الثلاثينات من القرن الماضي، فاستمرت متوهجة متألقة ومؤثرة إلى يومنا هذا، بما بلورته من مواقف، وما خلفته من تغييرات إيجابية هامة على الحساسية الشعرية الإسبانية الحديثة.

نستطيع أن نقول إذن إن الشعر الأندلسي قد استحوذ على اهتمامات غوميث وأخذ بانشغالاته العلمية مباشرة بعد عودته من رحلة العلم بالمشرق العربي، إذ بعد رجوعه من مصر سيظهر مقدرة مذهلة ومدهشة في حقل علمي جديد سيصبح محورا استراتيجيا ضمن انشغالاته العلمية الأساسية، إنه محور الشعر الأندلسي، فلم يكن هذا الفن معروفا آنذاك – كما ذكرنا – بإسبانيا وأوروبا بالقدر الكافي، كما لم يكن مطروقا بشكل يجعل منه مبحثا علميا مستقلا ضمن مباحث الاستعراب الحديث.

فأصدر غوميث حينها عدة ترجمات لهذا الشعر عمل فيها على تأسيس مبادئ مشروع علمي طموح يجمع بين المعرفة الغنية المثمرة التي لا غنى عنها، والترجمات الدقيقة التي لا يمكن القفز عليها لمن أراد امتلاك ثقافة جيدة وضرورية عن مسيرة الشعر الأندلسي ومستويات تطوره، وازدهاره ومختلف تقلباته عبر عصوره التي عاشها.

ويمكن اعتبار مقالته المبكرة عن "أشعار أندلسية" في مجلة " الغرب *Occidente*" سنة ١٩٢٨ أول ترجمة له في مجال الشعر الكلاسيكي يحاول فيها غوميث أن يكسر غربة هذا الشعر بإسبانيا، ويعبر من خلالها عن خلق وشائج وعلاقات حميمة به تتجاوز حدود المنطق العلمي البارد إلى نسج خيوط من الارتباط العضوي بينهما ظلت طوال حياته العلمية.

وهذه الأشعار الأندلسية ظلت رغم انتقالها إلى الإسبانية عن طريق الترجمة محافظة على واقعيتها وجماليتها مما كان يُضْمَنُ لها تأثير عالي المستوى في المتلقي الإسباني أولا ثم بعدها المتلقي الأوروبي ثانيا، فما أن نشرغارثيا كتابه "أشعار أندلسية" حتى لقي استحسانا واستقبالا كبيرين داخل إسبانيا وخارجها،

**بحيث شكل مفاجئة كبيرة حتى لغوميث نفسه، مما دفعه إلى مواصلة المشوار والمضي قدما في هذا الاتجاه وبشجاعة وثقة وأمل في مزيد من النجاح والتطوير لأدوات الترجمة وصقلها.**

**ويبدو غوميث مغرما مفتونا منذ البداية بهذا النوع الأصيل من القصائد الشعرية الكلاسيكية الجيدة في هذه المرحلة. حيث تعتبر هذه المحاولة الأولى في الترجمة مدخلا أساسيا وضروريا لمعرفة بداية التحولات والتطورات في مسار مشروعه العلمي، والإلمام بحيثيات انطلاقه.**

**ولا جدال في أن ما أتى به غوميث في هذا المجال هو عمل علمي غير مسبوق يمتاز بالجدة والأصالة، وتتجلى هذه الأصالة أول ما تتجلى في النقلة النوعية التي أحدثتها آنذاك في إسبانيا.**

**ومن الواضح أن هذه الأشعار وترجماتها قد مكنته من إعادة الحيوية لعدد من الأعضاء الباردة في جسد المشهد الشعري الإسباني، فكانت مجلة "الغرب" "*Occidente*" التي كان يصدرها فيلسوف إسبانيا العصر الحديث أورتيغا إي غاسيت سباقة إلى نشر هذه الباقات العاطرة المترجمة من الشعر الأندلسي الجميل التي ستؤثر في طرق نظم شعراء إسبانيا بعد ذلك، ثم إن هذه المجلة تجاوزت كل المجالات الناطقة باللغة الإسبانية بفضل هذا السبق العلمي الأدبي، وتقدمت بذلك على كثير من مثيلاتها، وفتحت الباب على مصراعيه لكل التيارات والرياح الجديدة[1].**

**وهكذا فإن هذا الحضور العلمي داخل المشهد الاستعرابي بإسبانيا سيمنح لغوميث مكانة عظيمة، وثقة كبيرة على نجاعة ونجاح مشروعه في ترجمة الشعر، بحيث يمكننا أن نسجل بأنه سيشرع في إنجاز أعمال جيدة مواكبة للعمل الترجمي للنصوص الشعرية الكلاسيكية... . وكل ذلك مرده إلى إحساسه بثقل المهام العلمية التي ينهض بها، ومثابرته في إنجاز ذلك، مع دقة ترجماته التي كانت تستحوذ على قطاع واسع من المولعين والمهتمين بالشعر الأندلسي بشكل خاص.**

**يذكر تلميذه المستعرب المحدث فرناندو دي لاغرانخا Fernando de la Granja بهذا الصدد أنه « حينما سمح أو وافق فرناندو بيلا Fernando Vela وأورتيغا إي غاسيت لغوميث بنشر مقاله عن أشعار أندلسية Poemas**

---

**[1] - Granja Fernando, de la. "Don Emilio Garc?a G?mez. "Homenaje a Garc?a G?mez", Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*. Vol. XXVIII. (1996) P?gs. 64-65**

Ar?bigo andaluces في مجلة الغرب لم يكن يدري أو يتخيل أحدهما أهمية تلك الصفحات، رغم ما كان يمتلكان من أدوات أو عناصر كافية للحكم انطلاقا من الشعر نفسه»[١].

فكانت هذه المختارات الشعرية المترجمة بما تحمله من دلالات ورؤى وصور جديدة بواكير أولى لقسم صغير من العمل الذي سيوسعه غوميث وسينشره بعدها في كتاب عن دار النشر Plutarco سنة ١٩٣٠ مضيفا إلى ذلك عددا من الأشعار الأخرى، التي لم يدرجها في مقاله السابق سنة ١٩٢٨ حيث أضحى مخطوط ابن سعيد المغربي "رايات المبرزين وغايات المميزين " في هذا الباب نقطة انطلاق لدراسات إميليو غارثيا غوميث للشعر الأندلسي، وأول هذه الدراسات مجموعة الأشعار الأندلسية التي نشرت بمجلة "الغرب"»[٢].

وبهذا العمل العلمي الرائع أعاد غوميث اكتشاف هذا الشعر بالأندلس، فأفلح في الوصول إلى نتائج وحقائق عديدة هامة تتعلق بمعطيات هذا الفن العربي الأندلسي وخباياه.

وقد أثار هذا الكتاب[٣] كثيرا من الإعجاب والشهرة داخل إسبانيا وخارجها، وكثيرا من النقد والتحليل الإيجابيين بفضل المقدمة الرائعة الجذابة التي رصع بها غوميث كتابه هذا وبفضل الترجمة الإسبانية الجيدة التي نقل بها الأشعار أيضا.

وهذا الكتاب من المؤلفات التركيبية التي يحاول فيها أصحابها حشد كثير من الأفكار والمعلومات عن الموضوع المطروق بلغة مكثفة تختزل المسافات الزمنية والجغرافية، فهو يختصر تاريخ نشأة الشعر الأندلسي وتطوره في عبارات دالة تقربك بشكل جيد من المعرفة المقبولة بهذا الشعر، مع الإلمام بحيثياته في صفحات مختصرة وقليلة جدا، وموفية بالغرض ومؤدية للهدف المنشود المقصود.

ويمكن القول إن غوميث في هذه المرحلة الأولى[٤] كان يصدر عن ظرفية ثقافية وفنية حساسة على مستوى المشهد الشعري الإسباني، تتميز بتزايد الدعوات من قبل شعراء إسبانيا للخروج من المأزق الذي أصبح يعرفه الشعر الإسباني بعد انسداد منافذ التجديد والتغيير في مفاصله وأعضائه ، والنداءات المتكررة من أجل

---

[1] Ib?d. p: 64.-

[2] - Lapesa Melgar, Rafael "Homenaje a Don Emilio Garc?a G?mez". - Revista del (*I.E.E.I*), Vol. XXVIII (1996) p: 74

[3] - نقصد كتابه الأول في ترجمة الشعر الأندلسي بعنوان "*Poemas Ar?bigoandaluces*".

[4] - مرحلة ترجمته للشعر الأندلسي الكلاسيكي التقليدي.

خلق آفاق شاملة عبر البحث عن موارد جديدة ودماء طرية تضخ في جسد الشعر الإسباني الذي أصيب بالوهن والضعف والعقم في تلك الفترة.

ولهذا يمكن القول إن هذه الترجمة تتأطر تاريخيا في سياق زمني وفني اتسم بمحاولات التجديد في الشعر الإسباني التي أعلنها أغلب شعراء إسبانيا آنذاك، وبذلك أضحى تأثرهم بهذه الترجمة وعيا شعريا وفنيا ناهضا استمد فاعليته من ضرورة بعث الشعر الإسباني ، وبث الحياة فيه من جديد بعد فترة ركود، وجعله قادرا على الاستجابة لشروط الحاضر مع الانفتاح على كل ما من شأنه أن يغنيه ويثري خصوصياته.

فكان غوميث بذلك يحاور هذه النداءات (نداء هؤلاء الشعراء الإسبان) بعُدَّة علمية وتيمية مستمدة من غنى التراث الشعري الأندلسي.

ولكن ما هي العناصر أو المعطيات الموجودة في هذا الشعر التي مارست تأثيراتها العميقة والإيجابية على رؤاهم وطرائق نظمهم للشعر، وجعلتهم يقبلون بشكل كبير على نصوصه الرائعة إقبال من يتوق إلى الارتواء من ظمأ الهاجرة في واحة غيض ماؤها وجفت ينابيعها، فأصبح يتطلع – منتظرا بفارغ الصبر – إلى فيض من الحياة والحيوية والتجدد، يعيد له توازنه الطبيعي.

تجيبنا لوث غوميث غارثيا Luz G?mez Garc?a عن هذه العناصر المؤثرة التي تتجلى في «هذه المختارات من المقاطع الاستعارية والمجازية لأقدم نماذج الشعر العربي الكلاسيكي، المنشورة سنة ١٩٣٠ التي توافقت وانسجمت مع جيل جديد من الشعراء الإسبان جيل ٢٧، الذي كان غوميث بدوره عضوا نشيطا في هذه المجموعة»[1].

وغوميث بدوره يشير إلى بعض العناصر الجمالية التي كانت محط إعجاب وتأثير واقتباس من قبل الشعراء الإسبان ومثار اهتمام النقاد والقراء، يقول في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه "أشعار أندلسية": « عندما ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٣٠، لقيت من النقاد وجمهور القارئين من القبول فوق ما كنت أتوقعه لها، ولا شك أن مرد ذلك إلى أن ظهوره وافق هذا الروح الجديد الذي تردد في كيان أندلسنا الإلهي، وقد كنا في ذلك الحين نقترب من موعد الذكرى المئوية الثالثة للشاعر لويس دي جُنْجُرَة الذي وفّقت جماعة من أهل العلم والفن إلى فهمه للمرة الأولى بعد انقضاء عصره، وكانت نتيجة ذلك أن بدأت أوساط

---

[1] -G?mez Garc?a, Luz. "Apuntes para una visi?n de Espa?a de Emilio - Garc?a G?mez (Homenaje a D.E.G.G). Cairo (1998) p: 208

الثقافة عندنا تعنى بالتشبيهات والأخيلة، ولما كانت مختاراتي هذه في أساسها مجموعة من نماذج من التشبيهات، إذ إنني نظرت عند تأليفها إلى كتاب من تأليف ابن سعيد المغربي، فقد صادفت هوى من نفوس أهل الأدب إذ ذاك، إذ قدمت إليهم طائفة من هذه الأخيلة تجمع بين القدم والجدة في آن واحد»[١].

ولهذا لقي كتابه قبولا وترحيبا كبيرين من قبل شعراء إسبانيا جيل ٢٧، واستجابة كبيرة وواعية لنصوصه المترجمة ولمحتوياته التنظيرية التي مست رحلة الشعر الأندلسي عبر مراحله المتطورة والمتعاقبة.

يقول أندري مارتينيث لوركا **Andrés Mart?nez Lorca** عن هذا الإعجاب والتأثير والإقبال الذي لقيه كتاب غوميث: « في قمة ثورة الشعراء الشباب الإسبان الذين سيعرفون فيما بعد بجيل ٢٧، سينشر غوميث كتابا صغيرا هو كتاب العصر (أشعار أندلسية)، قدم له بمقدمة ذهبية رائعة، كرسها لدراسة تطور الشعر العربي بالأندلس، حيث أثار غوميث انتباه الجميع إلى غنى هذا الشعر بالصور والاستعارات والحساسية الجمالية الفائقة الجودة»[٢].

وتتميز هذه النصوص المترجمة في (أشعار أندلسية) برصد كثير من المواضيع الشعرية الأندلسية الهامة، وتأتي أهميتها من كونها تتناول فترات تاريخية وفنية مهمة ومختلفة. وكأن غوميث أراد بهذا الإنجاز العلمي الرفيع أن يصور انبثاق لحظة أمل جديدة في الشعر الإسباني الحديث بعد انحصار كبير عرفته نماذجه.

إن نجاعة الأخذ بهذه النصوص الشعرية المترجمة لبناء المعرفة الفنية لدى الإسبان تكمن في الإمكانات الأدبية المهمة التي يقدمها هذا التراث الشعري الأندلسي، والتي تتيحها لهم نصوصه المتنوعة؛ من أجل الرجوع مجددا في العصر الحديث إلى النماذج القديمة المضيئة المشعة لإعادة الارتباط وتوثيق الصلة بين الماضي الفني لإسبانيا الإسلامية،
والحاضر الذي يتطلع ويتوق إلى الانعتاق من الركود...خصوصا وأن هذه النصوص التراثية أثبتت قدرتها وكفاءتها على انتشال المشهد الشعري الإسباني الحديث مما كان يعرفه من تدهور، وذلك بما زودته به من نماذج جيدة، ورائدة في بابها.

---

[1] - غوميث: "أشعار أندلسية"، ترجمة حسين مؤنس، ص: ١٥

**- Garc?a G?mez, E. *Poemas Ar?bigoandaluces*. P. 9.**

[2] **- Mart?nez Lorca, Andrés. "La Semilla inmortal de Don Emilio Garc?a G?mez". Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*, Vol. XXVIII (1996) P?gs.: 94-95**

فأضحت هذه الرؤية الانفتاحية تجاه نماذج هذا التراث الفني الأندلسي تشكل طابعا بارزا ومهيمنا على العديد من التجارب الشعرية الإسبانية الرائدة.

وهذا الكتاب يعيد مجددا تلقي هذه النصوص الخالدة في الوقت الراهن ، وقراءتها وتمثلها بشكل حيوي، كما أنها تحطم كل الحواجز التاريخية والفنية، حينما تخلق لنفسها هذه المرة ألفة حميمة مع المبدع الإسباني المحدث، بعد أن كانت في السابق منحصرة في المبدع والإنسان العربيين، ومن ثم فهي تمثل بطبيعة الحال اختراقا فنيا للذوق الجمالي السائد بإسبانيا وقتها، الذي كان متعطشا لمثل هذا النوع من النصوص الحبلى بالجديد الطريف. ولذلك تتسع مسألة التلقي والتقبل لتشمل قطاعا واسعا من القراء الجدد.

تقول سلمى الخضراء الجيوسي:« ...هناك أيضا العمل الملهم الذي قدمه إميليو غارثا غوميث، فقد عمل على توفير معرفة عظيمة بالأندلس وأدبها للإسبان المعاصرين، وأية رابطة كشفها الباحث العظيم عبر ترجماته المختارة بعناية فائقة بين شعراء العرب في أندلس العصور الوسطى والشعراء الإسبان المعاصرين، خالقا روابط جديدة من الألفة والعرفان والتأثر الذي ظهرت نتائجه واضحة، من بين أشياء أخرى في عمل واحد من أعظم شعراء إسبانيا الحديثين: فيدر يكو غارثيا لوركا» [1].

ولكننا نعود لنتساءل مرة ثانية؛ لماذا لقيت ترجمة غوميث لهذه الأشعار كل هذا الإقبال الكبير من شعراء كثيرين بإسبانيا مباشرة بعد صدور الكتاب؟ لماذا كان للكتاب كل هذا البريق المتوهج، وهذا التأثير المشهود الذي ما يزال صداه ساريا إلى الآن؟ هل يعود إلى طريقة الترجمة وتقنيتها ودقتها، وهذا أمر وارد بطبيعة الحال؟ أم يعود إلى طبيعة المخيال الشعري المشترك بين القديم والحديث في الثقافة الإسبانية، مما يدفع بالإسبان إلى خلق وشائج فنية ومعرفية مع نصوص كانت بلادهم إسبانيا منبتا ومرتعا خصبا لها؟

هل ذلك راجع إلى عقم الرؤى والتصورات التي تشهدها المنظومة الجمالية الإسبانية التي ضاق ذرعا بها المشهد الشعري الإسباني آنذاك، فطفق يبحث عن روافد جديدة مغذية تنعشه وتعيد دورة الحياة والتجدد فيه؟

---

[1] . الجيوسي سلمى الخضراء، "شكر وعرفان" من كتاب "الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الجزء الأول، ص: ١٦.

ما هو الملمح الذي أثار انتباه شعراء جيل ٢٧، وشعراء آخرين إسبان في كتاب غوميث؟ هل هو الجانب التنظيري التركيبي فيه؟ أم مختاراته من الشعر؟ أم هما معا؟

نعتقد أن جاذبية هذا الكتاب أمر واضح لا يقبل المجادلة رغم صغر حجمه، سواء من حيث تأثيره على المشهد الشعري الإسباني وقتها أو من حيث انتشار أفكاره ونصوصه المترجمة بين شعراء إسبانيا العصر الحديث، الذين منهم من اعترف صراحة بهذا التأثير عليهم وعلى رؤاهم الجمالية والتيمية. وهذا ليس عيبا أمثال رافاييل ألبرتي**Rafael Albert?** وداماسو ألونسو **D?maso Alonso** وغيرهما ، أو أولئك الذين لم يعترفوا بذلك مثل فيديريكو غارثا لوركا **Federico Garc?a Lorca**رغم أن هناك في إبداعاته ما يفضحه ويبرز بجلاء هذا التأثير الذي لا يخفى على كل متتبع لمسيرة هذا الشاعر الإبداعية، خصوصا في (ديوان التماريت) **"Div?n de Tamarit"**.

يقول غوميث بهذا الصدد: «...قرأه كل الناس [أشعار أندلسية] والتقى مع المواضيع التي كان يعالجها الشعرالإسباني في تلك الفترة، أي دون تأثير مباشر. الكثير من شعراء هذا الجيل اعترفوا بكل صراحة بقراءتهم للكتاب وإعجابهم به، منهم الشاعر رافائيل ألبرتي – هذا الشاعر اعترف بإعجابه بالشعر الأندلسي أثناء إلقائه لبعض قصائده
في نادي الآداب والفنون الجميلة في مدريد، العام الماضي – أما فيديركو غارثيا لوركا، الذي كانت تربطني به صداقة، فلم يعترف بذلك»[١].

كما رصدت الباحثة الإسبانية ماريا خيسوس بيغيرا مولينس تجليات هذا التأثير أيضا في أعمال الشاعر الإسباني الكبير رامون غوميث دي لاسيرنا **Ram?n G?mez de la Serna** خصوصا في عمله المشهور "سوانح **Greguer?as**" فتتبعت مواطن هذا التأثير والاقتباس، وتجلياته، ولاسيما في مقالها "الصورة الشعرية العربية وسوانح"[2]

---

[1] - انظر الحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث بعنوان "إميليو غارثيا غوميث ودوره الاستشراقي"، مجلة الوحدة، العدد ٦٢/٦١ أكتوبر، نوفمبر، الرباط، ١٩٨٩، ص: ١٧٢.

[2] - **Jes?s Viguera Molins, Maria. "Met?foras ?rabes y Greguer?as" Revista del *(I.E.E.I). Vol. XXVIII (*1996). p 147-156**

إن إيجابيات هذا الكتاب وفعاليته على التأثير والتغيير لما كان سائدا فنيا بإسبانيا آنذاك يوضح لنا بأننا أمام مجموعة شعرية متجانسة اختيرت بذكاء كبير، وبعناية فائقة، يربط بين أجزائها رابط مشترك هو دقة وجمالية ترجمتها وجودتها.

يؤكد هذه الحقيقة ويزكيها خواكين بايبي برميخو Vallve Bermejo Joaqu?n حينما يقول: «... وهذه الطبعة [الطبعة الأولى لكتاب أشعار أندلسية] وغيرها من طبعات الكتاب أحدثت وقعا كبيرا وتأثيرا شديدا، ونالت إعجابا في إسبانيا ولاسيما عند جيل ٢٧ بمناسبة احتفالهم بالذكرى المئوية الثالثة لوفاة الشاعر غونغورا G?ngora... وتأثيرات كتاب غوميث "أشعار أندلسية" في الإصدارات السابقة لشعراء جيل ٢٧ بديهية وواضحة خصوصا عند لوركا، وقد أبرز غوميث نفسه هذا التأثير مرارا وتكرارا في عدة مناسبات» [1]

فهل كان صاحبه عالما بكل ما سوف يجلبه الكتاب من شهرة وذيوع صيت؟ وبكل ما سيحدثه من تأثير وتغيير؟

وهل هناك أشياء مسبقة كان يضمرها ويستبطنها في وعيه الجمالي هي التي ستدفعه إلى الاعتقاد بأن هذه القصائد سيكون لها شأن بارز، وسَيُحْتَفَى بها أيما احتفاء داخل المشهد الشعري الإسباني أولا وبعدها في العالم ثانيا؟

ثمة عوامل كثيرة متعددة ومتضافرة عملت على إنجاح الكتاب وتداوله، وساهمت في منحه صيتا وانتشارا مهمين نذكر أهمها وهي:

-إن غوميث باعتباره كان شاعرا بالقوة وليس بالفعل، فقد كان يدرك الظرف التاريخي والفني الذي أضحى يجتازه الشعر الإسباني آنذاك.

-إنه كان قريبا من الشعر الإسباني، ومطلعا عن كثب على الحركات والتحولات الشعرية الإسبانية عبر تاريخها الطويل، يرصد نبضها الرتيب الذي يعيشه مشهدها الفني وقتئذ، وما كان يحتاج إليه من عناصر الدعم والحيوية.

-إنه كان شاهدا على انحصار الشعر الإسباني في دائرة ضيقة تخنق كل عناصر التجدد فيه، لأنه كان هو بدوره عضوا فاعلا في مجموعة جيل ٢٧، وأحد أفرادها النشيطين، ولهذا لم يقتصر فقط على ما جاء في كتاب "الرايات" من أشعار، ولكنه أضاف إليها قصائد أخرى مختارة، لم يردها ابن سعيد في مؤلفه (رايات المبرزين وغايات المميزين).

---

[1] Vallve Bermejo, Joaqu?n. "Don Emilio Garc?a G?mez, El conde de los Alijares" Cairo, (1998). P. 338

ولهذا ليس من السهل على أي مترجم دارس اقتناص مثل هذه القصائد الجيدة أولا، وحتى ولو كانت جيدة فهي لن تذاع وتنتشر وتسمو وتتألق في لغة أخرى جديدة غير لغتها الأصلية إلا إذا تيسرت لها ترجمة جيدة وذكية ومؤثرة ومعبرة في نفس الآن.

وربما كان أكبر مساعد له على نجاح ترجماته لهذه القصائد كذلك هو سعة اطلاعه على تاريخ الأدب العربي عبر عصوره المتنوعة والفكر والفن والاجتماع، ومختلف أنواع الإنتاجات الثقافية التي أنتجتها إسبانيا الإسلامية، انسجاما مع ما أسسه من تصورات من أن الترجمة تفسير وتأويل وانفتاح على كل ما يغني المعرفة الداخلية والخارجية للنص الذي يسعى إلى ترجمته، وكأن غوميث ينادي ولسان حاله يقول إذا ما رَغِبْتَ في صياغة ترجمة ناجحة وموفقة إلى حد كبير فينبغي الإحاطة بالدلالات الضمنية والمقاصد الخفية للنص التي لا تبدو للمترجم منذ الوهلة الأولى، لكنها تظل مختفية متوارية خلف الكلمات والعبارات، ولهذا ما ينبغي أن يعمد المترجم إلى تحقيقه إذا ما أراد النفاذ إلى المناطق المعتمة في العمل الذي يود ترجمته هو إعادة تشكيل المناخ الحضاري والثقافي والفني الذي نشأ وترعرع فيه الشاعر المبدع ولو وهميا.

وبعبارة أدق إنه لما كان السياق المجالي والحضاري والثقافي للنص يشكل جزءا أساسيا لا يتجزأ منه فمن شأن جهله له أو إغفاله لحيثياته أن يؤثر بالضرورة على فهمه للنص وبالتالي تكون ترجمته له بعيدة عنه جاهلة لمحتوياته الحقيقية وبالتالي خيانة له.

إذن هناك ظروف وعوامل ومعطيات متنوعة وإيجابية تضافرت مع بعضها فمنحت لهذا الكتاب خلودا أدبيا مشهودا به، وصيتا عالميا قلما يحققهما كتاب آخر على شاكلته، وفي ميدانه، وبحجمه، فقد كان يقول عنه أندري مارتينيث لوركا إنه "كتاب العصر"[1].

**وأهم هذه العوامل هي:**

العامل التاريخي: خلو المشهد الشعري الإسباني من أي تجديد ذي أهمية أو جدوى، أو انطلاقة، قصد الترحيب بكل ما هو جديد وحيوي يغني التجربة الفنية لهؤلاء الشعراء، فجاء هذا الكتاب في سياق تاريخي مناسب جدا.

---

[1] -Mart?nez Lorca, A. La semilla inmortal de Don Emilio Garc?a - G?mez, Revista del *Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos*, Vol. XXVIII (1996) P?gs.: 94-95.

**العامل الفني**: جودة هذه القصائد المترجمة والمختارة بعناية من كتاب "الرايات"، وحتى تلك التي لم ترد فيه، وأضافها غوميث من مصادر أندلسية أخرى كانت تخضع لذوق فني رائع يفصح عن انتقاء واختيار شاعر مرهف الحس والذوق وليس من انتخاب مترجم يغلب عليه جفاف العلم وتقريريته ، وغنى هذه النصوص أيضا من حيث العناصر الجديدة على الذوق الإسباني من كنايات واستعارات غريبة، وصور إيجابية انزياحية مخالفة للذوق العام والسائد في الثقافة الجمالية الإسبانية.

**العامل العلمي**: ترجمة جيدة لشاعر ومترجم جيد، يدرك مجالات اشتغاله الفنية التي يترجم منها أو ينقل عنها. أضف إلى ذلك أنه كان يكتب كل ذلك بلغة أدبية شاعرية يوظف فيها الاستعارة واللغة التصويرية ولم يكن يصرح بأفكاره بشكل تقريري بارد ولكنه كان يركب ألوانا من المجازات التي تسمو بالأسلوب الأدبي سموا راقيا يستمد من اللغة جوانبها الوظيفية المباشرة، لكنه يركز أكثر على أبعادها الجمالية والفنية. فهذه العوامل وغيرها منحت للكتاب ذيوعا وشهرة عالميين كما ذكرنا سابقا.

وقد نجم عن هذا التأثير بهذه النصوص الجيدة تغييرات جذرية ملحوظة في البناء الفني الأدبي الإسباني وقتئذ، بحيث لم تعد معه مسألة التعامل مع هذه الأشعار تتم من بعيد، بل كان هذا التعامل يرقى إلى مستوى تحصل معه عملية إذابة وامتصاص هذه النصوص في المنظومة الشعرية الإسبانية، وتحويلها لصالحها، خدمة للذاكرة الفنية والجمالية للإسبان، وخدمة للذات الإسبانية هذه المرة في أبعادها الذوقية والأدبية، وليس لمجرد الترجمة فقط لمعرفة الآخر والاطلاع عليه بشكل حيادي وغير حميمي.

ويمكن اعتبار تأثير هذه الترجمة أقرب إلى الصدمة الثقافية على بعض أعضاء الصفوة المثقفة بإسبانيا من علماء ونقاد وشعراء ومتذوقي الأدب، وبخاصة أولئك الذين أتيح لهم الاحتكاك المباشر بهذه الترجمة كجيل ٢٧ مثلا.

وحينما نحاول البحث في الخلفيات المعرفية والجمالية التي تحكمت في هذا التحول، فإننا سنجدها كامنة في تهافت ولهف النقاد والشعراء الإسبان على كل طريف جديد، وفي اعتماد زوايا نظر متطورة وطرق وآليات جديدة في تمثل الشعر وفهمه مثل تلك التي وضع غوميث أسسها فأضحت أكثر جدوى وإجرائية وتأثيرا من تلك التي خلفها خوان باليرا Ju?n Valera (١٨٢٤ – ١٩٠٥) مثلا ، والتي لم تحدث ترجمته للشعر الأندلسي أي تأثير بارز وكبير يذكر. فلماذا مرت ترجمة خوان باليرا في هدوء دون إحداث أية ضجة أو انقلاب فني وجمالي في المشهد الجمالي الإسباني في حين خلفت ترجمة غوميث لهذا الشعر ردود فعل عالمية،

وليست محلية فقط، تجاوزت إسبانيا فخلقت لنفسها امتدادا وقراء عالميين جددا، من خلال ترجمتها إلى لغات عالمية كثيرة بعد الإسبانية؟

ولماذا تفوقت ترجمة غوميث على ترجمة باليرا، واستطاعت أن ترسم لنفسها خريطة واسعة من المعجبين المتأثرين في ظرف زمني وجيز جدا؟ .

أولا: يكمن سر تفوق غوميث على خوان باليرا في ترجمة الشعر الأندلسي ليس في مسألة انتقاء النصوص الشعرية واختيارها فحسب، رغم أن المجموعة التي ترجمها باليرا جيدة ورائعة هي بدورها، ولكن السر يكمن في سحر الترجمة التي أنجزها غوميث، وفي اختياره لعبارات اللغة الموفية بدقائق النص، والمؤدية لمضامينه العميقة وفي استيعاب ما يتوفر عليه هذا الشعر من طرافة وغرابة وصور انزياحية غنية ومعقدة. فمهارته في استكناه النصوص التي يود ترجمتها، والنفاد إلى أعماقها، مع ذوقه الشاعري المرهف شكلت مفاتيح نبوغ وحذقه . كل ذلك جعله يسقط المسافة بين اللغة الأصلية لهذه النصوص الشعرية واللغة الوسيطة الناقلة التي أنجزت بها الترجمة، وهنا يكمن سر نجاح غوميث وتفوقه.

ثانيا: أن باليرا في ترجمته للشعرالأندلسي لم يتعامل مباشرة مع نصوصه العربية الأصلية، بل ترجمه عن اللغة الألمانية عبر كتاب فون شاك الذي ذكرناه سابقا، فابتعد بذلك عن النص الأصلي مرتين، وفي ذلك بعد كبير عن النص وحمولاته الجمالية والتيمية.

أما غوميث فاتصل مباشرة بالنص العربي الأصلي، ثم أضاف إليه أثناء الترجمة من ذوقه ومعرفته وخبرته وقدرته على استكناه النصوص والنفاد إلى شعريتها الشيء الكثير، ثم لِمَا في مسألة ترجمتها مباشرة من دقة وقرب من النص المحور، لأن الترجمة عن الترجمة تفسد الترجمة، وتخون النص مرتين. يقول غوميث عن ذلك: « ....ولكنه تصادف أن هذا النوع من الشعر الأندلسي كان مجهولا في إسبانيا لأن آخر شيء نشر في إسبانيا، كان قد ترجمه الكاتب الإسباني خوان باليرا في القرن التاسع عشر عن كاتب ألماني، [يقصد فون شاك] أي ترجمه عن ترجمة، في حين ترجمتي كانت عن العربية مباشرة» [1].

وبذلك استطاع غوميث اعتمادا على هذه النصوص الشعرية الجيدة أن يضع أسس مشروع شديد الفرادة والتميز والخصوصية العلمية في ترجمة الشعر.

---

[1] . انظر الحوار الذي أجراه خالد سالم مع غوميث بعنون: إميليو غارثيا غوميث ودوره الاستشراقي" مجلة الوحدة، ص: ١٧١.

كما يبدو لنا غوميث في هذه المجموعة المترجمة مغرما بهذا النوع من القصائد، مفتونا بعوالمها وطقوسها وأجوائها العبقة ، فيحاول جاهدا إماطة الحجب عنها التي كانت تحول دون رؤيتها والاقتراب من أسرارها الرائعة.

وقد قادته هذه الترجمات الجيدة لنصوص إبداعية تنتمي مرجعيا وتيميا إلى فترات ذهبية من حضارة إسبانيا العصر الوسيط إلى التركيز على أهمية هذه الأشعار، والسعي في ترجمة الجديد منها بإصرار وثبات ومثابرة، ومن ثم أدرك بأن إمكانية اعتماد أدوات منهجية أكثر دقة وفاعلية وإجرائية هذه المرة للرفع من كفاءة عملية الترجمة وجودتها، والارتقاء بها إلى مستوى كاف من الدراية ، مع الاستفادة من بعض الهنات التي عرفتها المحاولات العلمية السابقة.

في الواقع إن عملية الترجمة عند غوميث للشعر الأندلسي عموما عرفت ثلاثة مستويات متنوعة أو لنقل سلكت مسالك ثلاثة، تبعا للمراحل التي قطعها مشروعه العلمي في ترجمة الشعر، وانسجاما مع التحولات التقنية والمعرفية والمنهجية التي عرفتها حياته العلمية في تدرجها عبر خط تصاعدي تطوري وانتقالها من حالة بسيطة أولية إلى مستوى أكثر دقة وتعقيدا في المراحل الأخرى المتعاقبة.

وهكذا نجده في المرحلة الأولى يترجم الشعر الأندلسي ترجمة نثرية خالصة، كما هو الحال بالنسبة إلى إنجازاته المبكرة التالية:

*-Poemas Ar?bigoandaluces 1930.*

*-El libro de las banderas de los campeones 1942.*

*-Cinco poetas Musulmanes, Biograf?as, Estudios 1944.*

ثم سيتحول عن هذه الطريقة بعد ذلك إلى تأسيس تقنية أكثر إجرائية ودقة ودراية بخصوصيات الشعر وترجمته، فنجده في أعماله اللاحقة يترجم الشعر شعرا، يلتزم فيها بكثير من المكونات الجوهرية للشعر المترجم، فينقلها بأمانة ، محافظا على خصوصياتها الفنية التي بها يسمى الشعر شعرا خصوصا في مؤلفاته التالية:

*-Ibn AL-Zaqqāq. Poes?as, 1956.*

*-Poemas ?rabes en los Muros y Fuentes de la Alhambra, 1985.*

*-Foco de Antigua luz sobre la Alhambra, Desde un texto de ibn Al-Jat?b en 1362, 1988.*

أمــا فــي المرحلــة الأخيــرة وعنــد اشــتغاله بترجمــة نــصوص الأزجــال والموشـحات، سـيتجه نظـره إلـى ترجمتهمـا بتقنيـة عاليـة الكفـاءة والاحترافيـة والمهارة عرفت به واقترنت باسمه، وهي طريقة **Calco R?tmico** .

وهذه الطريقة هي التي برع فيها غوميث بشكل بارز، حتى أضحت من أبرز مميزات أعماله، وعلامة مسجلة على مشروعه المتميز. وهي ترجمة شعرية يلتزم فيها بإيقاع المطلع وقافيته، وبعدد المقاطع سواء في المطلع العربي أو الخرجة الرومانثية.

وكل ذلك يتطلب من المترجم دراية عميقة، وجهدا كبيرا بأمور الشعر ودقائقه وخبرة في نقل نصوصه دون أن تتضرر في هذه الرحلة التي تقطعها بين اللغتين.

أما الأعمال التي خضعت لهذه التقنية نذكر منها على سبيل المثال:

*-"Las Jarchas Romances en la serie ?rabe en su marco, Edici?n en caracteres latinos, versi?n Espa?ola en calco r?tmico..." 1965.*

*-"Todo Ben Quzmān" 1972.*

*-"Métrica de la moaxaja y Métrica espa?ola. Aplicaci?n de un nuevo método de medici?n completa al "Ğaiš" de Ben Al Hatib". 1974.*

فكل هذه المحاولات الجديدة الجادة تبقى إجراءات علمية نافعة ولا غنى عنها ، بغية خلق كفاءة عالية في الترجمة.

ولا جدال في أن هذه الترجمات قد أثارت الرغبة العارمة عند غوميث في التعرف على المزيد من مثل هذه الأشعار بعد فترة الصدمة والإعجاب الشديدين اللذين أحدثهما كتابه الأول "أشعار أندلسية" *Poemas Ar?bigoandaluces*.

كما كانت حماسته أكبر في المضي صعدا في ترجمة هذه الأشعار، وكل ذلك مرده إلى إحساسه بثقل المهام العلمية التي بدأ يشعر بها بعدما طوقت عنقه شهرة كتابه الأول، وإصراره القوي على الاحتفاظ بتلك المكانة العالمية التي حفرها بجهده ومثابرته وكده وتعبه.

وهكذا ظل يستثمر بشكل جيد وذكي كل تجليات الشعر الأندلسي الكلاسيكي ويترجمها، فنقل إلى الإسبانية قصائد أندلسية جميلة ومشهورة، حيث « أخرج للناس عام ١٩٤٠ كتيبه المسمى (قصائد الأندلس *Qasidas de Andaluc?a*) ترجم فيه إلى شعر إسباني رصين أطرافا من أشعار ابن زيدون وابن عمار والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية»[1].

بعدها سينشر تباعا أعمالا شعرية أندلسية جيدة. فنشر النص الكامل لكتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين" لابن سعيد المغربي، الذي كان نقطة انطلاقه في أغلب ما ترجمه من أشعار في كتابه الأول، فكتب له مقدمة نظرية وترجم

---

[1]- غونثاليث بالينثيا: آنخل: "تاريخ الفكر الأندلسي"، تر. حسين مؤنس، ص: ٣٠.

نصوصه كلها التي جمعها ابن سعيد في "راياته" إلى الإسبانية، بعد أن أورد نصها الأصلي بلغته العربية، وأردفه بكتاب آخر سنة ١٩٤٤ بعنوان ***Cinco poetas Musulmanes*** جمع فيه أشعار نخبة من أعظم شعراء الأندلس، وذلك كله في سياق منهجي همه الأكبر الكشف عن أهمية هذه النصوص المترجمة الرفيعة في بابها، وأهميتها في بلورة اتجاهات فنية جديدة في بنية القصيدة الإسبانية الحديثة، وإثراء معطياتها الدلالية والتيمية والجمالية. يقول ألبارو غالميس دي فوينتس **?lvaro Galmes de Fuentes** مثلا بشأن كتاب ***Qasidas de Andalucia*** « ... ودائما مع كتابه "قصائد من الأندلس" (مدريد ١٩٤٠) يكشف لنا غارثيا غوميث وجها آخر من أوجه الشعر العربي الأندلسي، وهذه المرة ترجمه شعرا إسبانيا، حيث أنجز ذلك بمهارة الشعراء وبراعتهم»[1].

وفي عام ١٩٤٣ ونظرا لنشاطه العلمي المكثف والمتواصل في خدمة الثقافة الأندلسية عموما وترجمته لنصوص شعرية أندلسية رائدة خصوصا انتخب عضوا بالأكاديمية الملكية للتاريخ (**La Real Academia de la Historia**)، فألقى بمناسبة حفل استقباله بالمجمع دراسته عن "ابن زمرك شاعر الحمراء" أحاط فيها بمختلف تقلبات حياة ابن زمرك، مع ترجمة إسبانية لبعض قصائده المعروفة.

يقول خواكين بايبي برميخو **V. Bermejo** عن هذه المناسبة « في ١٢ يونيو ١٩٤٢ اختير غوميث عضوا بالأكاديمية الملكية للتاريخ من أجل أن يشغل المنصب الذي ظل شاغرا بعد وفاة أنطونيو بريتو إي بيبس **A. Prieto y Vives** الاختصاصي في المسكوكات العربية الذي مات في ١٩ مارس ١٩٣٩. وقد تسلم غوميث هذه العضوية في ١٣ فبراير ١٩٤٣ بعرض عن ابن زمرك، شاعر الحمراء، فرد عليه آسين بهذه المناسبة، مشيدا بالعمل والنشاط العلميين اللذين ما فتئ غوميث يضطلع بهما، غوميث أعاد تناول نفس الموضوع في سنة ١٩٨٥ حينما كان لديه ثمانون عاما بكتابه المعروف "أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء"»[2].

---

[1]- **Calmes de Fuente, ?lvaro. "Don Emilio G?mez (Conde de los Alixares)". Revista del *instituto Egipcio de Estudios Isl?micos.* Vol.: XXVIII (1996) P?gs. 50 -51**

[2]- **Vallvé Bermejo, J."Don E.G.G, Conde de los Alixares". Cairo, 1998. p: 333.**

وربما كان هذا العمل أفضل دراسة عن ابن زمرك، حتى هذه اللحظة؛ قام بها غوميث خدمة لهذا الشاعر ونشرا لبعض شعره .

ولم تكد تمضي سنتان حتى انتخب أيضا عضوا في المجمع اللغوي بإسبانيا ، فألقى عرضا رصينا عن حالة الشعر الأندلسي الكلاسيكي أيام حكم المرابطين بالأندلس بعنوان "ركود الشعر في إشبيلية على عهد المرابطين"[1] اقتفى فيه خطوات رينهارت دوزي في موقفه السلبي المعادي للمرابطين والحركة الثقافية والأدبية بالأندلس في عهدهم.

يقول فرناندو بالديرما **Fernando Valderrama** عن هذه المناسبة:

« وفي ٢٥ يناير ١٩٤٥ اختير بالإجماع عضوا جديدا في الأكاديمية الملكية الإسبانية خلفا للشاعر الكبير أنطونيو ماتشتادو **Antonio Machado** الذي توفى، فتسلم غوميث هذه العضوية في ٢٢ نوفمبر من نفس السنة وألقى بالمناسبة عرضا عن الشعر الكلاسيكي بعنوان: "ركود الشعر في إشبيلية على عهد المرابطين" فرد عليه أنخل غونثاليث بالينثيا مشيدا بجهوده في ترجمة الشعر ودراسته»[2]، وقد عمد غوميث كعادته في هذا العرض إلى نقل بعض القصائد التقليدية إلى الإسبانية.

وكان قد نشر قبل ذلك ديوان الفقيه الأندلسي أبي إسحاق الإلبيري مع ترجمة إسبانية لبعض قصائده، ودراسة تحليلية قدم بها لديوان الشاعر[3].

وربما كان أبرز ما يميز هذه المرحلة بشكل ملحوظ وبارز هو حضور صاحبها الفعلي المكثف في صياغة ترجمات شعرية أندلسية ذات مستوى رفيع على أعمدة المجلات والدوريات، وعبر تأليف كب ونشر مؤلفات.

نسجل إذن أن مشروع غوميث في الترجمة يجد خلفيته المرجعية في مادة أوسع عبر خريطة الشعر الأندلسي في حقبه المختلفة منذ النشأة إلى آخر عهوده بإسبانيا الإسلامية.

---

1- Garc?a G?mez, E. "Un eclipse de la poes?a en Sevilla: la época almor?vide". *Al-Andalus* Vol. X Fasc.II (1945) P?gs. 285-344.

2- Valderrama, F. "Acto de Homenaje a Emilio Garc?a G?mez". Revista del *(I.E.E.I) vol: XXVIII (1996) P?gs.: 128-129.*

3- Garc?a G?mez, E. *Un Alfaqu? Espa?ol Abu Ishāq de Elvira*. Madrid 1944.

ثم إن الجهد التوثيقي الكبير الذي بذله غوميث في هذه الترجمات ورجوعه إلى مصادر عربية كثيرة، واستعانته بهذه المرجعيات المختلفة من التراث الشعري الأندلسي جعلت إنجازاته تبتعد عن الترجمات المبتسرة الأحادية النظر، وضيقة الزوايا والرؤى، كل ذلك من أجل بناء معرفة شاملة بحضارة الأندلس الشعرية، مع الإشارة قدر الإمكان إلى المصادر والمراجع والروافد التي تساعد على ذلك، بحيث كان الهدف هو الوصول إلى صياغة أو بناء تصور ومعرفة متكاملين في قراءة الشعر الأندلسي في أوجهه وصوره المتنوعة عبر جسور الترجمة ومستوياتها، فيقدم لنا في خضم ذلك المعرفة الجمالية بهذا الشعر على أسس متطورة تنبني على الشمولية والانفتاحية والغنى.

وهكذا وفي إطار التعاون العلمي والثقافي الذي نشأ في الخمسينات من القرن الماضي بينه وبين المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد وإنشاء "المعهد الإسباني العربي للثقافة" وما عهد إليهما من مد جسور التواصل الثقافي بين الشعبين العربي والإسباني، شرع غوميث في جمع وترجمة ودراسة بعض الأعمال الشعرية لشعراء أندلسيين مبدعين كبار استهلها بعمله الرائع عن "ابن الزقاق"[1] الذي كان ثمرة جهود مشتركة بينهما.

وفي نفس السياق، واصل غوميث تعاونه مع المعهد المصري، فأصدر تباعا عملين جليلين ترجم فيهما نصوصا لأبرز شعراء مملكة بني نصر بغرناطة آخر معاقل الحضارة الإسلامية بالأندلس ، وكذا آخر مراحل التطور الشعري بها. وهم لسان الدين بن الخطيب، وابن الجياب، وابن زمرك. فنشر العمل الأول بعنوان "أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء"[2] سنة ١٩٨٥. وفيه يتحدث أيضا عن هذه النصوص الأندلسية الكلاسيكية المنقوشة بقصر الحمراء « حيث ترجم لنا كل الأشعار المنقوشة على أعمدة القصر الغرناطي من غرفة إلى غرفة، ومن نافورة إلى أخرى»[3]، ترجم فيه نصوصا شعرية لابن الجياب وابن الخطيب وابن

---

1 -García Gómez, E. Ibn Al-Zaqqāq. *Poesías Edición y traducción en verso de E.G.G.* Madrid, Instituto Hispano-Árabe de cultura 1956.

2 -García Gómez, E. *Poemas Árabes en los muros y fuentes de la Alhambra*, Madrid instituto egipcio de estudios islámicos, 1985

3 -Serna Alfonso, De la. Homenaje a Don Emilio García Gómez. Revista del *instituto egipcio de Estudios Islámicos, Vol. XXVIII 19996 p: 120.*

زمرك على أوزان الشعر الإسباني، وهو كما يقول عنه صاحبه غوميث حصيلة جهود سنين عكف فيها على قراءة هذه الأشعار المنقوشة على جدران قصر الحمراء ونافوراته، حتى أضحى هذا العمل أحسن طبعة ديوان شعر في العالم، وعلى مدى تاريخ البشرية مكتوب بخط كوفي جميل.

بعد ثلاث سنوات تقريبا سينشر عمله الثاني في الموضوع نفسه بعنوان: أضواء قديمة على قصر الحمراء، حسب نص لابن الخطيب (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) سنة ١٩٨٨[1]. ترجم فيه نصا لابن الخطيب، مع دراسة وتحليل للحيثيات والملابسات المحيطة بهذا النص تاريخيا وسياسيا وفنيا ودينيا وحضاريا.

وحينما نحاول البحث عن الأهداف التي تدور حولها هذه الترجمات فإننا نجدها تنهض على تحقيق مطمحين أساسيين هما :

-إرساء مفاهيم وطرائق جديدة في الترجمة لدى القارئ الإسباني لإبراز أهمية الشعر الأندلسي الكلاسيكي، وقدرته على فتح منافذ المعرفة حول أساليب الإبداع الفني في إسبانيا الإسلامية.

-استيعاب تجليات هذا الشعر وتمثله جماليا واستثمار مكوناته ومضامينه لإثراء التجربة الشعرية الإسبانية جماليا وتيميا.

وأهم ما يمكن استنباطه من هذه الترجمات هو استبطانه وبمهارة شديدة – كما ذكرنا سالفا- مجموعة من الملكات والمهارات التي كانت تصاحب ترجماته وتتحكم فيها، أهمها: الذوق الذي كان يتميز به والتمرس على استكناه البنى الدلالية العميقة لهذه النصوص انطلاقا من الخبرة الطويلة التي اكتسبها من كثرة المداومة على العمل الترجمي والتراكم الكمي والنوعي الذي حققه في هذا المجال، مع التصرف الذكي اليقظ في اقتناص العبارات الدالة على المعاني الحقيقية للنصوص المترجمة، وهو مطلب سام يرقى بعملية الترجمة إلى مستويات عليا من الكفاءة والدراية الضروريتين.

وهكذا وبفضل جهوده في الترجمة أضحت كثير من الأقلام والأصوات تطمئن إلى أعماله وتعتمدها كمصادر أساسية لا غنى عنها. كما كانت ترجماته الغنية تلهم الأدباء المبدعين بمواد إبداعهم. وتمكنهم من تأسيس معرفة جيدة ودقيقة إلى حد كبير بمكونات هذا الشعر في تجلياته الكلاسيكية.

وبذلك يمنح غوميث للشعر الأندلسي بهذه الإنجازات راهينيته حينما يعمد إلى ترجمته وبث الروح والحيوية في مفاصله من جديد وإعادة دورة الحياة فيه،

---

1- **Garc?a G?mez, E.** ***Foco de antigua luz sobre la Alhambra*****.-Madrid.1988.**

وإيقاظه من رقاده في عصرنا الحديث، وأكبر دليل على مسألة هذه الراهينية هو تأثير نماذجه المضيئة المتوهجة في شعراء جيل ٢٧، ومن جاء بعده من الشعراء الإسبان ، فيغدو هذا الشعر راهنيا بفضل جهود غوميث في ذلك، يعيش عصرنا بعد أن كان قبل الترجمة فاقدا لكل أنواع التأثير والجاذبية والفاعلية، وقابعا في رفوف المكتبات، وفي بطون الدواوين والمخطوطات.

## ٢- غوميث والشعر الأندلسي المستحدث ( الموشح والزجل ) .

لا أظن أن هناك مستعربا محدثا سيتجدد عنه الحديث بشأن مسألة ترجمة الموشحات والأزجال الأندلسيين ومكوناتهما في الثقافات العالمية كما هو الحال بالنسبة إلى إميليو غارثيا غوميث. وليس منبع هذا الحديث من كونه قد طرق هذا الموضوع بعمق ودقة وإسهاب وتفصيل فقط، وإنما مصدر هذه العناية يرجع بالأساس إلى كونه قد جسد بحق صورة الباحث المتمكن في مجاله العلمي، والمترجم الصبور الذي كرس أزيد من أربعين سنة من حياته، في سبيل الكشف عن الإشكالات الكبرى الملتبسة التي كان يطرحها موضوع هذين الفنين الأندلسيين ( الموشح والزجل)، وما يكتنفهما من تعقيدات وغموض حول أصولهما وامتداداتهما وحول أمور نشأتهما وروافدهما وتأثيرهما، وما يتصل بهما من مكونات إيقاعية ولغوية (رومانثية) وتيمية...

ولعل مصدر ما يدين به الخطاب الاستعرابي الحديث أيضا لهذا الرجل يتمثل في طريقة معالجته لهذا الموضوع وطبيعة طرحه لقضاياه الشائكة التي فتح بها باب الأسئلة المتنوعة التي كانت تتطلب من العلماء المتخصصين نفسا طويلا وصبرا استثنائيا للوصول إلى معرفة إجاباتها وحلولها عبر رحلة بحث طويلة وشاقة في أدغال هذين الفنين الوعرة والكثيرة المنعرجات والالتواءات.

ولهذا فإن هذه الترجمات ما تزال إلى الآن الأكثر عمقا وغنى وتنوعا وتطورا، وإشفاء لغليل الباحثين، فهو بحكم علاقته الوثيقة بالاستعراب مجال تخصصه وارتباطه بمباحثه الواسعة المتعددة الاهتمامات والمنفتحة على كل التخصصات العلمية التي تفيد وتساعد على معرفة ماضي إسبانيا العصر الوسيط، فإنه بطبيعة الحال كان يبحث عن حلول، أو يجيب بشكل غير مباشر على أسئلة تقع ضمن تخصصه الاستعرابي، وهي في نفس الوقت تعتبر من صميم اهتمامات ميادين علمية أخرى كالتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم اللغة الرومانثية بالخصوص...،فأخصب بذلك العديد من الموضوعات، ودفع الباحثين بمختلف مشاربهم العلمية إلى المزيد من الحفريات والتنقيب في الميادين التي تظل متصلة

بالاستعراب من قريب أو من بعيد. ومن ثم يغدو مشروع غوميث في هذا المجال نسقا علميا منفتحا على كل الاتجاهات التي تهتم بحضارة إسبانيا الوسيطة، ونموذجا أعلى في الأداء العلمي، ومرجعا لكل من يريد بلورة معرفة دقيقة بفنون الشعر التي استحدثت بإسبانيا الإسلامية في العصر الوسيط .

ولذلك فإن القارئ المهتم سيجد نفسه دائما في حالة من السعي المستمر للبحث عن ترجمات غوميث لهذين الفنين (الموشح والزجل) المتسلسلة الحبلى بكل جديد طريف، مع الاقتفاء المجدي لكل ما ألفه غوميث في هذا المجال من أبحاث ودراسات نقدية واصفة مواكبة لعملية الترجمة لنصوصهما ، وهي ميزة جعلت أعماله تتسم بالتسلسل والتدرج والامتداد، وطول النفس في استعراض الحقائق العلمية وبسطها بشكل دقيق تكاد تلمس باليد، كما طبعتها بالإحاطة الكافية للقضايا التي يطرحها عن الشعر ودراسته.

ومن الواضح أن خبرته الطويلة في ترجمة الشعر وتمرسه بأصول نقله إلى لغته الإسبانية قد مكناه من إعادة الاعتبار والاهتمام لكثير من الموشحات والأزجال بعد عزوف الباحثين والدارسين عنهما وقلة العناية بهما، نظرا لما يمثلانه من صعوبة في الترجمة، ونظرا لما تطرحه مكوناتهما البنيوية الإيقاعية والدلالية والتيمية واللغوية (اللغة الرومانثية) من مشاكل في القراءة والفهم، خصوصا ما يتصل منها بالأزجال.

وبذلك ظلت مسألة ترجمة هذين الفنين في حياة غوميث تشكل تحديا معرفيا مستمرا، ومسؤولية علمية كبيرة في نقل هذه النصوص بهذا الحجم الكبير من الصعوبات، فكان غوميث يحاول معها أن يركب الصعب والمستحيل ليكسب رهانات الموضوع بكل ما أوتي من كفاءة ومقدرة وموهبة فنية وعلمية نادرة، ومن إصرار على هزم الغموض والعراقيل التي يخلقها هذا الموضوع.

وهكذا بدأنا نلمس أن انشغالاته هذه المرة أضحت تأخذ مسارا جديدا في مسيرته العلمية، بعد أن كان مجال الاهتمام في السابق مقصورا فقط على ترجمة الشعر الأندلسي الكلاسيكي ودراسته.

ويمكن اعتبار هذا الاقتراب من عالمهما بمثابة بداية انطلاقة رسمية واعية نحو إنتاج المعرفة والإلمام اللازمين بهذه الفنون الإبداعية التي كانت تقع في المرتبة الثانية من سلم الثقافة الفنية الأندلسية الرسمية للدولة التي كانت تنتصر أولا لكل ما هو رسمي عربي فصيح وتشجع عليه. ولهذا اتجه نظره إلى الاعتماد

على مرجعيات خارج الثقافة الرسمية السائدة[1]، كديوان ابن قزمان، ومجموعة علي بن بشرى الغرناطي في الموشحات "عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس" ، وهكذا.

ولعل اهتمام غوميث بهذه النماذج هو انتصار في حد ذاته للثقافة الشعبية التي تمثل في تصوره نموذجا للإنسان الإسباني المسيحي الذي كان يعيش في دوامة المجتمع الإسلامي الأندلسي بكل تجلياته وتناقضاته وصوره المختلفة، أي أنها تمثل صورة الحياة في مجتمع إسبانيا العصر الوسيط بمختلف طبقاته الاجتماعية البسيطة والمتواضعة، وصوت الشارع النابض بالحياة وحركاتها وما يعج به من واقعية عارية، و«هو أدب كان ينتج خارج المؤسسة الرسمية سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية... وهو بذلك يقع بعيدا عن الرعاية والاحتضان، بل ويجري العمل على نبذه واستبعاده من دائرة الضوء، وقد تسلط عليه الرقابة والمنع إذا ما بدا عليه أنه يتجاوز الخطوط الحمراء المنبه عليها، ولما كانت الأجناس الأدبية هي نفسها صنيعة المؤسسة الرسمية فإنها تعتبر هذا الأدب كائنا منبوذا ومهمشا، لعدم انضباطه لتوجيهاتها واختراقه لبنياتها الموجهة من طرف التقرير الأدبي المتعارف عليه... ولعل الميزة الأساسية لهذا النوع من الإنتاج الأدبي هو كونه يخترق المألوف في التفكير والتعبير وينتهك الطابوات الأخلاقية والاجتماعية ويتجاوز الحدود مع المقدس والمحظور ويخترق الردهات المحرمة للمسكوت عنه» [2].

ثم إننا إذا ما وضعنا طبيعة اهتمامات غوميث بهذه الفنين الأندلسيين في سياقهما التاريخي المبكر فسيتضح لنا أن بداية احتكاكه بهما وخصوصا فن الزجل كانت مع انطلاقة صدور مجلة الأندلس بدراسة نقدية له حول عمل نيكل Nykl عن

---

[1] - سيقول قائل: ولكن ابن قزمان مثلا كان معروفا ومشهورا بالأندلس، بل إن أزجاله وصلت حتى بلاد المشرق. نحن لا نخالف هذا الرأي ولا نشك في وجاهته، وفي سعة شهرة ابن قزمان، ولكننا نطرح القضية من وجهة نظر وضعيته الاعتبارية والفنية داخل المجتمع الرسمي الذي كان يرى أن هذه الثقافة لا تمثل النموذج والمثال ونقاء الجنس الفني العربي مثل الذي يوجد في الشعر التقليدي الفصيح المعتق، ولكن بالرغم من ذلك كانت هذه الثقافة العامية الشعبية الناشئة بإسبانيا الإسلامية تسعى مصرة إلى تأسيس حضورها في الحضارة الأندلسية في العصر الوسيط.

[2] - بحراوي حسن، "أدب محمد شكري: من الهامشية إلى المركزية"، الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربية، السبت ١٤ يونيو ٢٠٠٣، ص: ٣.

ابن قزمان[1] سنة ١٩٣٣. لكن وقتها كان احتكاكا أوليا استئناسا فقط، كأي باحث في مراحل مشروعه الأولى الذي يريد أن يكتشف حدود مجاله العلمي، ويطلع على بعض جوانب هذا التراث الشعري الأندلسي ولو بشكل سريع وفي عجالة، ثم لا يلبث أن يشيح وجهه عنه إلى مواضيع ومباحث محببة إلى نفسه ، قريبة إلى طبيعة اهتمامه في تلك المرحلة.

لكن فيما يبدو أنه بمجيء سنة ١٩٤٩ سيعرف هذا الموضوع طرقا أو تناولا رسميا جادا من قبل إميليو غارثيا غوميث، وسوف تتجه عنايته بشكل كبير إلى الاشتغال بكل ما يتصل بهما ( فني الزجل والموشح) ترجمة ونشرا ودراسة وتفسيرا وتحقيقا..، مع صدور مقال هام للباحث المجري صمويل شتيرن Samuel Stern بمجلة "الأندلس" يتناول فيه مكون " الخرجة " في الموشحات العبرية الأندلسية[2].

ويكفي أن نشير هنا إلى بعض أعماله وترجماته في هذا السياق[3]، والتي دشن بها خطه الجديد هنا في هذا المجال ، لندرك مدى عبء المسؤولية العلمية التي اضطلع بها غوميث وقتها وهي جليلة.

ولتأسيس هذه الرؤية عنده تجاه الثقافة الشعرية المستحدثة بالأندلس فقد اتجه إلى الاعتماد على مرجعية فنية مقصوده ومحدده ومضبوطة وهي الموشحات والأزجال لاسيما منها أزجال ابن قزمان استنادا إلى معطيات جديدة مهمة ، تدعمها

---

1- García Gómez, E."Ibn Quzmān editado por Nykl". *Al-Andalus.* Vol. I Fasc: II (1933) Págs.: 453-456

2- Stern, Samuel. "Les vers finaux en Espagnol dans les muwaššhas hispano-hébraïques". *Al-Andalus.* Vol. XIII Fasc: II (1948) Págs.:299-346.

3- García Gómez, E. "Mas sobre las Jarŷas romances en muwaššahas hebreas". *Al-Andalus.* Vol. XIV Fasc: II (1949) pags:409-417.

-García Gómez, E. "Nuevas observaciones sobre las Jarŷas romances en Muwaššahas hebreas". *Al-Andalus.* Vol XV Fasc: I (1950) Págs.:157-177.

-Gracia Gómez, E. "Veinticuatro Jarŷas romances en muwaššahas árabes (ms G.S. Colin)". *Al-Andalus,* Vol. XVII Fasc:I (1952) p: 57-127.

ما اكْتُشِفَ أخيرا من مخطوطات نادرة مثل كتاب "جيش التوشيح" لابن الخطيب، ومجموعة ابن بشرى في الموشحات وديوان ابن قزمان.

ويمكن اعتبار هذه الإبداعات المستحدثة بالأندلس نصوصا مضادة، خصوصا في وجهها الزجلي، حيث تقع في الضفة الأخرى المقابلة فنيا للنصوص العريقة الكلاسيكية الرسمية. لكنها لا ترقى إلى مستواها، وهي نصوص فنية تتجلى فيها كثيرا من الانزياحات المتنوعة: الاجتماعية والتيمية والفنية والإيقاعية واللغوية...وكأنها تؤسس لنفسها مكانا تحت شمس إسبانيا الإسلامية آنذاك، وتريد أن تمثل بحق وبواقعية عارية ثقافة ولغة الحياة اليومية، والحيوية التي تعيشها قطاعات اجتماعية واسعة من المجتمع الأندلسي وقتها، وتخلق لنفسها صوتا مستقلا مقابلا للثقافة الرسمية التي كانت تتربع عرش قلوب الحكام المسلمين وتستحوذ على عنايتهم وتشجيعهم، وهي بذلك تصنع لنفسها حضورها الشرعي في خضم صراع الثقافتين: الرسمية والهامشية، واستقلالها الذاتي النابع في اعتقاد غوميث - ومن معه من المستعربين المحدثين – من إسبانية رؤاها وتصوراتها وأدوات إبداعها وطرائق تناولها للأشياء والموضوعات.

وغوميث نفسه باهتمامه بهذه الفنون المستحدثة في إسبانيا العصر الوسيط إنما كان ينادي أو يؤسس لرؤية علمية تستند إلى الدعوة للاهتمام بكل ما هو إسباني الموطن والمنشأ والمادة والموضوع.

إذن توضح المعطيات السابقة أننا لسنا أمام مترجم يترجم فقط نصوصا شعرية إرضاء لذوقه الفني والأدبي الخاص، وإنما نحن أمام مترجم عالِم بحدود ومجالات اشتغاله، يريد من وراء هذه الترجمات أن يعيد الاعتبار لنصوص شعرية كانت هامشية إلى حد ما، وغير معترف بها قديما في الدوائر الفنية الرسمية، ولهذا يتبين لنا كثيرا من علامات الجهد العلمي عنده في سبيل تحقيق ذلك.

لقد دعا غوميث إلى بناء تواصل ثقافي وعلمي ومعرفي مع هذه النصوص المستحدثة بإسبانيا الإسلامية في ضوء جدتها وطرافتها وجرأتها وواقعيتها.

ولذلك يمكن القول إنها ترجمات تتواصل أكثر مع نصوص شعرية نبتت في واقع اتسم بتحولات شديدة التجدد والتغيير عما ألفه العرب الخلص الذين عاشوا في شبه الجزيرة العربية وقدسوا نمط القصيدة التقليدية بعتاقتها وجزالتها وصرامة بنيتها الإيقاعية العروضية.

فإذا نحن قمنا بعملية إحصاء لمستويات اهتمام غوميث بالشعر الأندلسي عامة، فإننا سنجد بأن أغلبها يقع حول ترجمة هذين الفنين، حيث تشكل في تصوره وجها من أوجه إبراز الشخصية الإسبانية القديمة في بعدها الإبداعي، وليس إبداعا بسيطا، بل هو إبداع مهم، هو إبداع للإيقاع الجديد والخرجة الرومانثية وغيرهما.

ووجه من أوجه فرض الذات الفنية الجديدة في دوامة الجدل الأدبي بين الثقافتين المضادتين، بين ثقافة رسمية قديمة، وثقافة أخرى تشق طريقها حديثا، وتتخذ صورا عديدة، وتبتكر لنفسها حضورا متميزا في الحياة اليومية، وتتواصل مع شريحة عريضة من الناس، وعلى نطاق واسع.

وإذا كان كل ما سجلناه آنفا يفسر إلى حد ما المجهود العلمي الرائد الذي بدله غوميث في مسألة العناية بقضايا هذين الفنين بشكل شمولي، فإنه مع تراكم السنين والخبرة والممارسة سيبدي قدرة كبيرة على مواصلة هذا المشروع، بمزيد من الإضاءات حول فن الموشحات فقد تضافرت عوامل كثيرة، وتشابكت في تحقيق هذا النجاح لأعماله الجديدة في الترجمة، أهمها:

- أولا أنه كان شاعرا (كما ذكرنا سابقا) وثانيا أنه كان عالما ملما باللغة الرومانثية وبمفرداتها واشتقاقاتها اللغوية، وكذلك بأصول اللغة العربية، وباللهجات العربية كاللهجة المغربية والعراقية واللبنانية والمصرية، ثم المنعطف التاريخي على وجه الخصوص.

ذلك أن اهتمامه مثلا بالموشحات ومكوناتها خصوصا الخرجة يرجع في الحقيقة إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي، فقد أحس بانجذاب كبير نحو هذا الموضوع الطريف، وإن كان هذا الموضوع يهم أيضا الباحثين في اللغة الرومانثية .(Romance)

فقد أتاحت له الأعمال النقدية التي نشرها شتيرن في هذا المجال فرصة المزيد من البحث في هذا الموضوع وصياغة العديد من الأبحاث والدراسات والترجمات ابتداء من دراسته بمجلة " الأندلس " نفسها ابتداء من سنة ١٩٤٩ بمقال حول بعض الإضافات الجديدة في موضوع "الخرجات الرومانثية في الموشحات العبرية"[1] ثم يليه بمقال عن "ملاحظات جديدة حول ŷ"الخرجات الرومانثية في الموشحات العبرية"[2] يطرح فيهما بعض المشاكل اللغوية المتعلقة بقراءة الموشحات العبرية، مع إبدائه لبعض

---

[1] -García Gómez, E. "Mas sobre la jarŷas romances en muwaššahas hebreas". *Al-Andalus*. Vol. XIV Fasc:.II (1949)

[2] -García Gómez, E. "Nuevas observaciones sobre las Jarŷas romances en Muwaššahas hebreas". *Al-Andalus.* Vol. XV Fasc:I (1950)

الملاحظات والتفسيرات الضروريين في مسألة التعامل مع مكون "الخرجة Jarcha بالخصوص.

ثم بعدها وفي سنة ١٩٥٢ سيسجل غوميث هو بدوره سبقا علميا مهما عندما سيكتشف مكون "الخرجة" في موشحات عربية هذه المرة[١]، حيث سينشره بمجلة "الأندلس" في نفس السنة. فكانت هذه المقالة بداية لسلسلة من الدراسات والترجمات الرائدة عن فن الموشحات ومكوناته العضوية كالخرجة والمركز واللغة والإيقاع وما تطرحه من إشكالات ترتبط بالأصول والجذور والامتدادات. ومنطلقا لمزيد من الحفريات المضنية الشاقة في المكونات الجوهرية المتعلقة بهذا الفن، في محاولته لإيجاد إجابات مقنعة وكافية عن أسئلة ظلت معلقة بدون جواب لفترة طويلة من الزمن.

ثم توالت عنايته الكبيرة بهذا الفن (فن الموشح)، وتواصلت دراساته له فنشر أعمالا ترجم فيها المزيد من الموشحات الأندلسية عثر عليها في مخطوطات ومؤلفات أندلسية أخرى، كما نشر بمجلة الأندلس أحدث ما توصل إليه من معلومات وآراء واستنتاجات، وإجابات جديدة عنت له وهو يدرس هذا الفن.

ويمكن اعتبار كتابيه "الخرجات الرومانثية في إطار موشحاتها العربية"[٢] و"عَروض الموشحات والعَروض الإسباني"[٣] باكورة جهوده العلمية المضنية في تضاريس هذا الفن الوعرة. وفي دراسة ما يحيط به من إشكالات منهجية وإيقاعية، وتيمية، وتاريخية، وصوتية، ولغوية لسانية وإثنية...، حيث جمع في كتابه الأول زبدة ما توصل إليه من نتائج مع إيراده لثلاث وأربعين موشحة مع خرجاتها. (٤٣ موشحة و٣٩خرجة)، أشار فيه إلى الدراسات الرائدة التي أقيمت في هذا الإطار، وهي ل: "صمويل شتيرن"، و"داماسوألونسو"، و"رامون مننـدث بيدال"، و"هيغير كلاوس"، و"بوريو رودلفو"، مع ذكر لبعض أبحاثه هو أيضا.

---

[1] -García Gómez, E. "Veinticuatro Jaras romances en muwaššahas ?rabes (ms.G.S Colin)" *Al-Andalus* Vol. XVII Fasc:I (1952)

[2] -García Gómez, E. *Las Jachas romances de la serie ?rabe en su marco*. Madrid 1965.

[3] -García Gómez, E. "Métrica de la moaxaja y métrica espa?ol" *Al-Andalus.* Vol. XXXIX. Fasc.: I y II (1974)

أما كتابه الثاني فدرس فيه « نماذج مجموعة الموشحات المسماة جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب، فعلى تجربة عملية في موشحات هذه المجموعة التي تبلغ ١٨٢ موشحة، خرج الأستاذ غوميث بما يرى أنه يدعم نظريته، حيث استطاع – بطريقته الخاصة – أن يرد كل موشحة من تلك الموشحات إلى عروضها المشابه للعروض الإسباني الغربي»[١].

والحق أن الفضل الكبير يعود لغوميث في جمعه لأكبر عدد ممكن من الموشحات مع خرجتها الرومانثية في كتابه الأول إلى حدود ذلك الوقت، مع دراسة وافية مستفيضة لكل موشح منها وما يتصل به من معلومات ضرورية لازمة لفهمه واستيعابه، فكان بذلك عملا رائعا ألقى كثيرا من الضوء، وبدد غموضا وشكوكا كانت تحيط بهذا الفن، فأحاط به وكشف عن عناصر الجدة والطرافة فيه.

ومما يمنح لهذا العمل فرادته وتميزه هو نشره للنص الكامل لكل الخرجات الرومانثية مع موشحاتها الثلاث والأربعين ٤٣ التي وردت في النسخة التي كانت بحوزة كولان Colin المتقطفة من "عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس" الذي جمع فيه علي بن بشرى الغرناطي ثلاث مائة وأربعا وخمسين موشحة (٣٥٤موشحة)، وموشحات مستخرجة من كتاب "جيش التوشيح"، لابن الخطيب، وموشحة وحيدة لابن قزمان، فيغدو كتابه متضمنا ٤٣ موشحة بنصها الكامل مع ٣٩ خرجة أعجمية (رومانثية).

وبفضل هذا العدد الجيد للموشحات الذي أورده في كتابه فإن غوميث يعتبره بمثابة كتاب "مختارات" في فن الموشحات مع خرجاتها " Antolog?a de Moaxajas"، مشيرا بذلك إلى أنها الوحيدة الموجودة الآن حسب علمه باللغة الإسبانية، بل إنها لا توجد الآن بمثل هذه المواصفات وبهذا العدد الكمي في أية لغة عالمية أخرى، بما فيها اللغة العربية أيضا[٢].

وينبغي أن لا يغفل عن أذهاننا ونحن نرصد تجليات هذه الترجمات بعض الصراعات الخفية التي كانت تدور رحاها مثلا بين غوميث وشتيرن حول بعض القضايا العلمية المرتبطة بالموشحات العبرية مع خرجاتها. فكان كل واحد منهما ينتصر لفكرته ولآرائه، ويهرع جريا وراء نصوص يترجمها تؤيد ما ذهب إليه،

---

[1] - انظر صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، "عروض الموشحات والعروض الإسباني" (الكتب الجديدة)، المجلد الثامن عشر، ١٩٧٤-١٩٧٥ ص: ٢١٩.

[2] -Garc?a G?mez, E. *Las Jarchas Romances de la serie ?rabe en su marco*. Madrid. Sociedad de Estudios y Publicaciones 1965. p: 51.

وما وصلت إليه نتائج بحثه، فبينما كان شتيرن يرد كل جديد مبتكر في هذا الفن إلى الثقافة العبرية وينتصر لذلك، كان غوميث يرى بأن هذه الابتكارات التي حدثت في الموشحات العبرية مع خرجاتها كان مبعثها ومصدرها الثقافة الإسلامية الأندلسية وعنها أخذ شعراء العبرية هذا الابتكار الطريف الجديد وتأثروا به.

أو تلك التي دارت بين غوميث والمستعرب الإسباني المحدث فرانثيسكو كانتيرا **Francisco Cantera** أستاذ اللغة العبرية في جامعة مدريد ومدير مجلة "سيفارا" الخاصة بالدراسات العبرية، فقد ألقى هذا الباحث محاضرة علمية بجامعة سانتاندير المعروفة بجامعة منندث بيلايو الدولية سنة ١٩٥٧ حول موضوع: "الأغنية المستعربة"[1] **La Canci?n Moz?rabe** تطرق فيها إلى النتائج العلمية التي توصل إليها الباحثون في مجال دراسة الخرجات في الموشحات والأزجال العربية والعبرية مشيرا إلى الخلافات العلمية الموجودة بين علماء العربية وعلماء العبرية حول أحقية اللغتين بالسبق في ابتكار الخرجات واكتشافها في الموشحات الأندلسية.

والظاهر أن غوميث لم تعجبه آراء كانتيرا في الموضوع وطريقة تناوله لقضايا هذين الفنين، فرد عليه بمقال نشر في مجلة "المجمع اللغوي الإسباني" سنة ١٩٥٧ بعنوان:
"الخرجات المستعربة ويهود الأندلس"[2] يصحح فيه الكثير من آراء كانتيرا بما عهد في غوميث من دقة وعمق وإحاطة بموضوع هذين الفنين.

## أ- العناية بعالَم ابن قزمان طموح علمي واعد لدراسة الأزجال الأندلسية.

ثم إن النظر في مشروعه العلمي هذا بشكل شمولي يستدعي الانتقال إلى مستوى ثان آخر من تعامله مع الشعر الأندلسي المستحدث هو مستوى ترجمته لفن الزجل الأندلسي .

ويبدو لنا من الوهلة الأولى أن غوميث قد اضطلع بمهمة شاقة وصعبة عندما قرر أن يترجم شعر ابن قزمان إلى الإسبانية، فهي ليست بمهمة سهلة

---

1. **Cantera Francisco "La Canci?n Moz?rabe" Publicaciones de la Universidad internacional Menéndez Pelayo. Santander. 1957.**

2. **Garc?a G?mez. E. Las Jarchas Moz?rabes y los Jud?os del Andaluz. Estudio Publicado en el Bolet?n de la Real Academia Espa?ola. Septiembre-Diciembre 1957.**

يسيرة وهينة نظرا لكونه قد اختار واحدا من أكبر شعراء إسبانيا الإسلامية صعوبة وتمنعا على المطاوعة والفهم والترجمة، وأكثرهم إثارة للجدل بشعره، وما يتصل به من إشكالات تتعلق بالأصول والامتدادات وباللغة التي نظم بها والعروض والإيقاع وطريقة الصياغة. وصعوبته تكمن أساسا في كونه شعرا شعبيا عاميا تمتزج فيه جميع اللهجات العامية الرومانثية Romance النابعة من الحياة والإنسان والمجتمع في إسبانيا العصر الوسيط «... وقد حاول كثير من المستشرقين في إسبانيا وسائر أوروبا منذئذ فهمه، ولكنهم لم يفهموه إلا فهما جزئيا، لأن لغة الشاعر تستلزم معرفة خاصة بالنحو ومفردات اللغة التي استعملها.

إلى أن كان عام ١٩٣٣ فأخرج العالم التشكي أ.ر. نيكل نتائج أبحاثه عن ابن قزمان، ونشر شعره ونقله بحروف لاتينية مع ترجمة جزئية بالإسبانية. ولقد أضر هذا النشر بالشاعر أكثر مما نفعه، ذلك أن نشر نيكل حوى أغلاطا كبيرة كثيرة ترددت بطبيعة الحال في ترجمته. لكن المستشرق[١] الفرنسي كولانوهو المتخصص الوحيد في لغة ابن قزمان وفنه الشعري انتقد هذا النشر انتقادا صارما مقبولا، وهيأ للنشر منذ بضع سنين جميع أزجال مخطوط " لِينِنْجْرادْ" منقولة إلى حروف لاتينية وفق قاعدة ثابتة، وقد سار على ضرورة الانتباه إلى حروف المد والعلة الفاصلة كما ظهرت في اللهجات العربية الأندلسية، وسار على ضرورة التوفيق بينها وبين نظام الزجل الشعري»[٢].

كما أن غوميث نفسه لم يتردد في الاعتراف بأن عملا مثل هذا عن عالم ابن قزمان الإبداعي لا يخفى على العارف بحدوده وخباياه ما يقتضيه من جهود كبرى[3] في سبيل الوصول إلى تكوين وبلورة معرفة قريبة من مملكة ابن قزمان الشعرية، والحصول على ترجمة تنقل أكبر قدر ممكن من عناصر الجدة والطرافة والابتكار في شعره خاصة وفي شعر الأزجال الأندلسية عامة، خصوصا إذا علمنا بأن مصادر البحث في هذا المجال قليلة جدا، ثم إن هذا القليل لا يفي بالغرض والحاجة المطلوبين والضروريين، بحيث يمكن القول إن عملية ترجمة أزجال ابن قزمان كانت تشكل بالنسبة إليه تحديا علميا كبيرا، بات عليه كسب رهانه،

---

[1] - أي المستعرب Arabista وليس المستشرق Orientalista كما ورد في هذه الترجمة، لأن العبارة جاءت في الأصل الفرنسي هكذا "L'arabisant français G.S.Colin"
انظر بروفنصال، "أدب الأندلس وتاريخها"، ترجمة إلى العربية شعير محمد عبد الهادي وراجعه العبادي عبد الحميد، الطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥١، القسم الفرنسي من الكتاب، ص: ٣١.

[2] - المرجع السابق، القسم العربي منه، ص: ٢٧.

[3] - Garc?a G?mez. E. *Todo Ben Quzmān*. Madrid, (Pr?logo)

بالانتصار على كل صعوباته وهزمها قصد تحقيق نجاح بارز بحجم وسعة طموحاته وقدرته على ركوب الصعاب والمشاق.

فمعلوم أن ابن قزمان قد طرح الشعر العربي الكلاسيكي جانبا ونظم أشعاره بطريقة جديدة متطورة، واستخدم اللهجة الرومانثية استخداما جديدا وثوريا موفقا، تمكن من خلال ذلك أن ينقل كل ما كان يجيش به نبض الشارع من أصوات وتيارات مختلفة ومتناقضة، وما تلهج به الحياة اليومية لساكنة الأندلس لاسيما في طبقاتها العامة البسيطة.

ولهذا كان غوميث يترجم نصوصا غير يسيرة أو سهلة مطواعة، بل كانت نصوصا صعبة خصوصا في شقيها الإيقاعي واللغوي.

فركوب ابن قزمان فن الزجل بهذه الكثافة اللغوية الجديدة والإيقاعات الصوتية الخفيفة الغريبة على الذوق العربي الذي ألف واعتاد الأوزان الخليلية المجلجلة والصارمة، كان كل ذلك يزيد من عبء غوميث ومن صعوبة مهمته العلمية الملقاة على عاتقه.

وقد لا نغالي في قولنا إذا قلنا إن مشكلة الأوزان واللهجة العامية اللتين تنهض عليهما معظم أزجال ابن قزمان يتطلبان دراسات وافية لوحدهما، فهما من التعقيد بحيث يصعب تناولهما بنوع من البساطة وسرعة الاستنتاج، وتكمن صعوبة هذه الأزجال في أن الغالبية العظمى من أوزانها ذات إيقاع نبري بارز لا عهد للتراث العروضي القديم به الذي يتأسس بشكل واضح على الإيقاع المقطعي. كما أننا نجد اللغة التي نظمت بها معقدة وشائكة يصعب على المترجم المبتدئ اقتحام عوالمها بسهولة ويسر.

وبالتالي فإن التعامل مع عالم ابن قزمان الزجلي نقلا ودراسة وترجمة وتحقيقا يتطلب الاعتماد على ثقافة واسعة وعلى إدراك دقيق للبنى الصوتية والإيقاعية ، وعلى معرفة عميقة بخصائص اللهجة الرومانثية وأبعادها الدلالية، فهو مطلب غير يسير أو في متناول كل باحث. وهذه الخاصية بالذات هي التي أتاحت لغوميث المترجم والمحقق والدارس مساحة واسعة من الحركة داخل هذا الفضاء حيث استطاع من خلالها إظهار مقدرته على الإبداع المجدد في ترجمة هذه الأزجال وتقريب دلالاتها وأبعادها ونماذجها المتنوعة والمتعددة.

والحق أن هذه الترجمات أنجزت في إطار تطوير البحث العلمي في مجال الزجل والاقتراب من عوالمه العجيبة، فساهمت بذلك مساهمة فعالة في فهم وتأويل كثير من نماذج هذه النصوص الشعرية التي تأتي في الدرجة الثانية، قصد إبراز مقدرتها على الكشف عن أبعاد وأسرار النفس الإنسانية المتنوعة، وبأنها قادرة

علـى الغـوص فـي ذلـك، وبأنهـا لا تقـل بلاغـة وإبلاغـا عـن النـصوص الـشعرية الكلاسيكية الرسمية الفصيحة.

ولعل انجذاب غوميث إلى هذا النوع من الترجمة للشعر العامي يعتبر تحـولا جديدا في مسيرته العلمية، يمكن اعتبـاره حركـة أو لنقل ظـاهرة جديـدة، لأنهـا فعلا كانت كذلك بفعل ما تواصل من ترجمات جيدة في نفس الموضوع، وبفضل مـا أقيم حول الموضوع من أبحاث ودراسات جيدة.

وقد لا نكون مجازفين إذا اعتبرنـا أن بدايـة ارتباطـه بعـالم ابـن قزمـان تعـود إلى الثلاثينـات من القرن الماضي، فقد تولـد هـذا الارتبـاط مـع انطلاقـة غوميـث نحـو ترجمـة الـشعر عامـة، لكنـه لـم يتنـاول الموضـوع[1] بنـوع مـن العمـق والاستمرارية والامتداد، فلم يصغ أسئلته عن ابن قزمان خارج هذا الإطار، لكنـه ظـل مـشدودا إلـى كل ما يرتبط بابن قزمـان مـع التعبير فـي الوقـت نفسه عن عمـق وعيـه بالإشكالات التـي يطرحهـا الـشعر العربـي المـستحدث بإسـبانيا الإسـلامية فـي صـوره وأبعـاده ومظاهره المتنوعة المعقدة، حتى أضحى موضـوع البحث فـي أزجـال ابـن قزمـان « واحـدا مـن الموضـوعات الأكثـر حبـا وقربـا إلـى نفسية غوميـث منـذ أن نـشر سـنة ١٩٣٣ مقالا رائعا عن ابن قزمان في مجلة زائد ناقص

" **Cruz y Raya** " بعنوان: « ابن قزمـان صـوت فـي الـشارع » وتـابع غوميث طرق هذا الموضوع بمقالات متفرقة إلـى أن فاجأنـا فـي سـنة ١٩٧٢ بكتابـه الـضخم القيم كـل مـا يتعلـق بـابن قزمـان "***Todo Ben Quzmān***" فـي ثلاثـة مجلـدات كبيرة »[2]

والطريـف العجيـب فـي ترجمـات غوميـث التـي تنـاولـت عـالم ابـن قزمـان الشعري أنها لم تكن تتناوله كأفق مستقل منعزل، بل تعاملت معه فـي سياق الأفكـار التـي تنتمـي مرجعيـا إلـى المنظومـة الإسـبانية الغربيـة، وهكـذا اعتمـد غوميـث فـي انطلاقـة مـشروعه فـي ترجمـة أزجـال ابـن قزمـان علـى أفكـار أسـتاذه خوليـان ريبيرا « فعن ريبيرا الوجه غير العادي، والشخصية الكبيرة، البلنسي الجذاب أخذ غوميـث الإحـساس الإيقـاعي الـشعري الموسـيقي، ومـن هـذا المنطلـق كـان معجبـا بأستاذه الذي لا ينبغي أن ننسى مجادلته حول ديوان ابن قزمان ***Cancionero de***

---

[1] - **García Gómez, E. "Aben Guzmān, una voz en la callé (siglo XII)", *Cruz y Raya*. (1933)**

[2] - **Vallvé Bermejo, J. "Don Emilio García Gómez, conde de los Alixares" Cairo, 1998. p: 340**

***Aben Cuzmān***، وعرضه الجريء في الأكاديمية الملكية الإسبانية، حيث أضحى هذا العرض نقطة انطلاق لأعمال مهمة ودراسات عظيمة لتلميذه غوميث فيما بعد عن الموشح والزجل التي ضمنها كتابيه المشهورين "الخرجات الرومانثية في إطار موشحاتها العربية" " ***Las Jarchas Romances de la serie* ?rabe en su marco**"، و"كل ما يتعلق بابن قزمان" "***Todo Ben Quzmān***" [1].

وكان المستعرب الإسباني المحدث خوليان ريبيرا إي طاراغو أول من لفت الانتباه إلى دراسة وترجمة هذين الفنين، وأشار إلى إمكانية التوصل بواسطتهما إلى معرفة العناصر الأولى لنشأة وظهور الإيقاعات الإسبانية المبكرة وتطورها ، ومن ثم معرفة أوجه التأثير التي خضعت لها الإيقاعات الأوروبية من جراء ذلك، أي عن طريق قانون التأثر والتأثير، حيث أذاع رأيه في ذلك « منذ سنة ١٩١٢، فقد لاحظ التوافق في أبنية المقاطع، وفي القافية المتكررة في أواخره، وقال إن التوافق الملحوظ بين الآثار المبتكرة من الشعر الشعبي العربي الأندلسي وبين أغاني التروبادور في أكيتانيا وبروفانس في العصر الوسيط لا يمكن أن يفسر على أنه محض صدفة...وانتقل ريبيرا من ذلك إلى دراسة المؤثرات المتبادلة بين شعر الملاحم الفرنسي، وشعر الملاحم القشتالي، وذهب إلى رأي جريء واضح: وهو أن النظام الشعري الغنائي الذي ابتدعه كفيف قبره والذي شهره بعد ابن قزمان بعبقريته هو المفتاح السري الذي يفسر مقومات الأشكال الشعرية في النظم الشعرية الغنائية التي عرفها العالم الوسيط المتحضر» [٢].

ولهذا فقد تأثر غوميث كثيرا بآراء أستاذه ريبيرا في تناوله لمثل هذه المواضيع، وكذا في الميولات والاهتمامات العلمية المشتركة في المباحث الأدبية واللغوية والإيقاعية، إنه استمرار رائع ومتين لمدرسة متينة في البحث الاستعرابي الحديث لعلماء نذروا حياتهم ووهبوا جهودهم العلمية لخدمة ثقافة إسبانيا الإسلامية في تجلياتها المتنوعة والغنية. فكانت ترجمات غوميث ودراساته لهذين الفنين استمرارا وتتمة لدراسة أستاذه الممهدة لذلك.

ولا شك إذن أن أبرز ما يميز أعمال غوميث في هذا المجال عن بقية الدارسين والمترجمين كنيكل وكولان وبروفنصال، هو أنه استفاد منهم وصحح بعض أفكارهم وآرائهم في الموضوع وأضاف إليها أخرى جديدة بحكم مواكبته الطويلة لمستجدات هذا المبحث ولإشكالاته التي يطرحها.

---

[1] **Ib?d. p: 335 -**

[2] - بروفنصال، "أدب الأندلس وتاريخها" ترجمة إلى العربية شعيرة محمد عبد الهادي، القاهرة ١٩٥١، ص: ٤٥ – ٤٦.

**ب – "كل ما يتعلق بابن قزمان" ثمرة طيبة لجهود علمي في مقاربة الشعر الزجلي بالأندلس.**

كانت هذه الإنجازات منذ سنة ١٩٦١ بمثابة مقدمة لسلسلة أو لمشروع طويل وواع من الدراسات وفيض هائل من الأعمال حول هذا الموضوع، وهكذا وابتداء من تلك السنة سيشرع غوميث في الاهتمام الرسمي والجاد بالزجل حيث سيتابع ترجماته في ضوء قناعته بعمق الإشكال الذي يطرحه الزجل الأندلسي عامة وأزجال ابن قزمان بشكل خاص. ويمكن اعتبار كتابه "كل ما يتعلق بابن قزمان" بمثابة خلاصات لنتائج طيبة لأغلب إنجازاته وأعماله التي عالجت الموضوع من قريب أو من بعيد؛ فحاول بذلك إثبات كفاءته في ترجمة هذا النوع العسير من الشعر العامي، فكان هذا الكتاب أهم ما ختم به أبحاثه في مجال الحفريات حول الأزجال بصفة عامة حيث وصل إلى الحلقات الأخيرة من تفكيره وتأملاته وأفقه العلمي الذي غذاه بكل جديد طيلة مسيرته العلمية حول فن الزجل.

واللافت للانتباه أن من يقرأ بتأن وبعمق هذه الأشعار القزمانية سيجد فيها كثافة دلالية، ليس مصدرها لغته الشعرية الحية فقط، بل الرؤيا العامة أيضا للحياة ولواقع الإنسان الأندلسي البسيط بكل تفاصيلهما وصراعاتهما، حيث نقل كل ذلك بذكاء ليس من شرفات القصور وإنما من ساحات المجتمع والشارع والحياة العامة. ولهذا أطلق غوميث على أول إنجاز علمي عن ابن قزمان عنوان: "ابن قزمان صوت من الشارع"

"Aben Quzmān, una voz en la calle ".

وخلافا للأدب الرسمي الذي كان يكتب بالعربية الفصحى كان الشعر الزجلي الشعبي في إسبانيا الإسلامية خصوصا عند ابن قزمان يستخدم لغة التخاطب اليومي، ويتناقل بالرواية الشفوية، كما كان إنشاد النص الشعري في الحياة العامة يكسبه بنية فضائية تنافس بعده الدلالي.

ولهذا يرى كثير من المستعربين المحدثين[1] أن إبداع الشاعر والمغني الأوروبيين في العصر الوسيط كان امتدادا فنيا وشعريا وجماليا لما كان ينهض به ابن قزمان وغيره من الشعراء الزجالين الجوالين في إسبانيا الإسلامية آنذاك. فابن قزمان كان شاعرا منشدا ومتجولا، وغوميث نفسه يقول عن البنى الإيقاعية

[1] - أمثال ريبيرا، وبروفنصال ومننذث بيدال وغيرهم.

لأزجال ابن قزمان: « إن عَروض ابن قزمان موسيقاه وموسيقاه عروضه» [1].
فأزجاله تخاطب العقل والأذن معا فكان يرتاد الأسواق والساحات والأماكن العمومية . وإذا كان الشعر الكلاسيكي الأندلسي يحترم قواعد اللغة الفصحى ولا يتمرد عليها، وفي احترامه لها إطاعة للسائد الرسمي في الدولة وفي المجتمع وفي الثقافة، فإن الشعر العامي الزجلي كان شعر الثورة الفنية على ما هو سائد ورسمي، حيث تتحول عنده هذه الثورة إلى نوع من العزوف والانصراف التدريجي عن هياكلها اللغوية والصوتية والإيقاعية والاشتقاقية الرسمية، وخرق لنظامها بتوليد أنظمة لغوية ونحوية وصوتية بديلة، غير متداولة ومعروفة في الثقافة الرسمية.

وانطلاقا من هذه المعطيات يتضح أن غوميث لم يستطع أن يتخلص من تراث ابن قزمان ، إذ كرست أزجاله حضورا بارزا في أعماله الكثيرة، وإليه في الحقيقة يعود الفضل في ترجمة الديوان كله وفي إقامة الدراسة عليه، كما يرجع الفضل أيضا إلى أستاذه ريبيرا، إذ منذ أن اهتم بديوان ابن قزمان في بداية القرن الماضي لم تنقطع العناية بفن الزجل والبحث في مكوناته ومعطياته داخل إسبانيا وخارجها.

والجميل اللافت للانتباه في ترجمات غوميث أنها لا تتخذ صبغة ثابتة ونهائية بل هي رغم دقتها وعمقها في تحول وبحث مستمرين عن الجودة والكمال المنشودين، إذ كان يعيد في بعض الأحيان ترجمة بعض أشعار ابن قزمان كان قد نقلها إلى الإسبانية سابقا، فيعيد ترجمتها مرة ثانية ومن جديد « مِثلَما حدث للزجل رقم ١٠ في ديوان ابن قزمان ص: ٥٦ ــ ٥٩ من المجلد الأول من طبعة غارثيا غوميث سنة ١٩٧٢، وكان قد نشر ترجمة له من قبل في مجلة "المعتمد، شعر ونثر" المغربية» [2]، يقول غوميث عن ذلك: «... ولنقدم نموذجا للزجل هو ما أسميه "زجل التصغيرات" وهو من أشهر ما نظمه ابن قزمان، وليس من الأزجال المفرطة الطول، وقد قمت بترجمته شعرا مع المحافظة على بنيته وإيقاعه الأصلي، وترجمته هنا تختلف عن ترجمة سابقة قمت بها من قبل[3]... غير أن ترجمتي الحالية تختلف عن ترجمتي السابقة فقد صححتها بفضل بعض المعلومات التي

[1] - **Gibert Soledad. "Sobre el (Todo Ben Quzmān) de Garc?a G?mez"** ***Al-Andalus. Vol. XXXVII. Fasc: I.*** **(1972). p :234**

[2] - **Garc?a G?mez, E. "El zéjel X de Ibn Quzmān"** ***Al-Motamid,*** **12. Larache. 1948**

[3] - انظر مكي محمود علي، "ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ص: ٧٧.

أفادني بها جورج كولان وليفي بروفنصال، وهناك ترجمة نثرية أوردتها في كتابي "خمسة شعراء مسلمين" في الفصل الخاص بابن قزمان» [1].

أعاد غوميث أيضا ترجمة بعض أبيات ابن زمرك المنقوشة على جدران قصر الحمراء الأسطوري ، بعد أن كان قد نقلها إلى الإسبانية في وقت سابق، فأعاد «نشر هذه الأبيات كما وردت منقوشة على جدران قاعة الأختين في قصر الحمراء مع دراسة لهذه الأبيات وترجمة لها تختلف بعض الشيء عن ترجمته الأولى في بحثه عن ابن زمرك "أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء"» [2].

ولكن لماذا كان يسلك هذا المسلك؟

**كان يسلكه لاعتبارات شتى أهمها :**

١ – عثوره على بعض المعطيات التي تضيء الموضوع أو بفضل ظهور مستجدات تغني إنجازاته وتزيدها وضوحا ودقة وعمقا، وكذا توصله بمعلومات زوده بها بعض زملائه من العلماء المشتغلين في نفس الميدان.

٢ – أنها كانت ترجمة نثرية غير شعرية وكانت في بداية حياته العلمية المبكرة، قبل أن يمتلك خبرة وتراكما وتمرسا واحترافية في هذا المجال.

ويستطيع المتتبع لإنجازاته في هذا المجال أن يلاحظ وبيسر السمة البارزة فيها وهي تلك النظرة التمجيدية للشعر القزماني، مما يدل على أن غوميث كان ميالا منذ البداية إلى هذا النوع الجديد من الشعر، مع إيلائه المزيد من الاهتمام والتتبع اللازمين، فغوميث استهوته واجتذبته منذ اللحظات الأولى من سنوات مشروعه العلمي المشاكل المتعددة المتولدة أو الناجمة عن اختلاف القراءات لديوان ابن قزمان* وأزجاله، لغويا وإيقاعيا وتيميا... فأحس بانجذاب كبير نحو هذا

---

[1] . نفسه، ص: ٩٨ ( الهامش).

[2] . نفسه، ص: ١٠٠ ( الهامش).

* - لا ننس ونحن نتحدث عن ابن قزمان وديوانه أن نوضح طبيعة السجال العلمي الذي دار بين ' إميليو غارثيا غوميث والباحث المصري الدكتور عبد العزيز الأهواني حول بعض القضايا العالقة التي عنت لكل واحد منهما وهما يدرسان ديوان ابن قزمان المتعلقة باللغة الرومانثية وبإيقاع الازجال... والخلاصة السريعة التي يمكن استخلاصها من هذا السجال العلمي الرفيع هي أن منبع الاختلاف بينهما كان مرده إلى طريقة شرح وتخريج وتأويل بعض أصول الكلمات الرومانثية التي وردت في أزجال ابن قزمان، والتي كانت لصعوبتها مثار نقاش طويل ليس بينهما فقط، بل أيضا بين كثير من العلماء المختصين في اللهجات الرومانثية بإسبانيا الإسلامية ، وكذا العلماء المهتمين بقضايا الشعر الأندلسي في العصر الوسيط، فاتخذ غوميث مجلة "الأندلس" منبرا لبسط آرائه في الموضوع بينما اعتمد الأهواني على صحيفة "المعهد المصري للدراسات الإسلامية" في ذلك.

الموضوع الطريف الصعب، حيث أغرى فضوله العلمي بما يثيره من مشاكل وقضايا تعد من صميم اشتغاله العلمي، مما دفعه إلى التمسك به إلى النهاية، فأضحت جل[1] عنايته بعد سنة ١٩٦١ مركزة على هذين الفنين الشعريين المستحدثين (الموشح/الزجل) بشكل دفعه إلى العزوف بعض الشيء عن ترجمة النصوص الشعرية الكلاسيكية، فظل حينها يفك مغالق فن الزجل ويحل مشاكله وقضاياه المستعصية التي علقت به وكانت سبب انصراف العلماء عن مدارسته وترجمة نصوصه وتحليلها.

ولهذا ففي كتابه الضخم " كل ما يتعلق بابن قزمان " سيوضح بشاعرية وبإحساس القارئ المتذوق لهذه الأزجال، وبقلم العالم الماهر الخبير الذي خابر الميدان منذ خمس عشرة سنة بسلسلة متنوعة من الدراسات والترجمات، سيوضح فيها كثيرا من الحقائق حول عالم ابن قزمان الشعري، وسيفك كثيرا من الألغاز المرتبطة بإيقاعاته وعروضه ولغته ومواضيعه...

وتتجلى أهمية هذه الدراسات في كونها تكشف عن التطور الذي عرفه فن الزجل بإسبانيا الإسلامية، والتفاعلات التي شهدها الشعر الأوروبي عامة بسبب احتكاكه وتأثره بهذا النوع الفني المستحدث بإسبانيا العصر الوسيط. وعن هذه الحقيقة يقول بروفنصال: «... وقد عرضنا لها في أحاديثنا السابقة ببعض إشارات، وهي المشكلة الخاصة بما قام من العلاقات بين الشعر العربي الأندلسي الشعبي وبين الشعر الذي أخذ في الظهور منذ آخر القرن الحادي عشر المسيحي في جنوبي فرنسا وشمال الجزيرة الإيبيرية، وفي إيطاليا: وهو الشعر الذي يسمى بشعر التروبادور أو التروفير أوالخوجلاريس [Juglares] حسب لغة أوك أو لغة قشتالة التي قيل بها هذا الشعر من ناحية أخرى... وهو نوع أدبي [أي الزجل] نشأ من تلقاء نفسه في إسبانيا (نشأة عصامية)، ويفسر العالم الروماني[2] المشهور رامون مننديث بيدال نشأة هذا النوع في الجزيرة الإيبيرية في العصر الوسيط، وانتشاره العجيب في المشرق تفسيرا شديد الطرافة، فهو يرى أن الزجل إنما هو حلقة الاتصال التي تصل بين الموسيقى الإيبيرية الكلاسيكية القديمة والموسيقى الحديثة... وانتقل هذا الزجل القديم إلى إسبانيا المسيحية لاشك في ذلك، ولكنه تأخر في الانتقال إليها واتخذ حينئذ شكل نتاج أدبي قشتالي اللغة، فنجد من الزجل

---

[1] - لم نقل هنا " كل عنايته بهذين الفنين " أو انصرافه المطلق إليهما، وإنما أوردنا كلمة "جل"، لأنه ترجم في أثناء ذلك نماذج من الشعر الأندلسي الكلاسيكي، فواكب العمليتين معا وفي نفس الوقت، وإن كان اهتمامه آنذاك بالزجل والموشح أكثر وأبرز.

[2] - يقصد المترجم هنا بعبارة "العالم الروماني" العالم باللهجة الرومانثية **Romance** الذي كتب بها ابن قزمان معظم أزجال ديوانه.

القشتالي (في أغاني كانسيونيرو دي باينا) ما يطابق في تكوينه الزجل العربي، ونحن نعلم أن هذه المجموعة من الأغاني لا ترتفع إلى أكثر من القرن الرابع عشر... ولا ينكر بيدال [ المؤرخ الإسباني رامون مييندث بيدال] يقينية بأن الزجل العربي الإسباني كان له من الذيوع السريع في الغرب الأوروبي مثلما كان له من ذلك في الشرق العربي، والدليل على ذلك عنده أن جيوم التاسع دوق أكتانيا وهو أول شاعر غنائي عرف بالكتابة العامية اللاتينية المجددة قد اصطنع بالذات شكل الزجل العروضي» [1].

## ج- "الكَالْكو ريتْمِكو" أو نحو تقنية بديلية في ترجمة الشعر الأندلسي المستحدث.

وربما كان أبرز وأهم ما يميز تعامله مع هذين الفنين (الموشح والزجل) على مستوى الترجمة هو توظيفه لطريقة أو لتقنية مغايرة عما ألفناه في أعماله السابقة أثناء ترجمته للشعر الأندلسي الكلاسيكي، وهذه التقنية فريدة من نوعها أطلق عليها إميليو غارثيا غوميث مصطلح " الكَالْكو ريتْمِكو" "Calco R?tmico ".

فهل أراد غوميث باستخدامه لهذه التقنية الارتفاع أسلوبيا ومنهجيا وفنيا بمستوى ترجمة الشعر الموشحي والزجلي كما فعل عندما انتقل أثناء ترجمته للشعر الكلاسيكي من أسلوب الترجمة النثرية إلى الترجمة الشعرية؟

هل قصد بذلك الارتقاء بهذه الترجمة إلى حد المطابقة التامة مع النص الأصلي، أم كانت هناك أهداف ونوايا أخرى مضمرة؟

وما هي القضايا الأساسية التي يمكن أن نستخلصها من أعماله وإنجازاته في ترجمة نصوصهما؟

في الحقيقة هناك أولا مسألة في غاية الأهمية والتي تعتبر أكثر اتصالا بموضوعنا وهي أن اختياره لهذين الفنين ونقل نصوصهما إلى الإسبانية جاء لتدعيم نظريته حول إسبانية إيقاعهما ولغتهما وطريقة تناولهما للأغراض الشعرية، وأن هذا التراث الشعري المستحدث في إسبانيا الإسلامية – في تصوره - فيه من العناصر الكثيرة ما تنتمي إلى المنظومة الجمالية الإسبانية في مظاهرها الأولى المبكرة.

وبالتالي وأثناء اعتماده طريقة "Calco R?tmico" في ترجمة نصوص هذين الفنين، فإنه لم يكن يفعل – في نظره – أكثر من أنه يعيد هذه النصوص إلى

---

[1] . بروفنصال، ليفي، "أدب الأندلس وتاريخها"، ص: ٤٣، ٤٤، ٤٥، و٤٧.

أصولها الحقيقية (أصول إسبانية)، لذلك نراه يورد أدلة وسياقات حضارية وأخرى تاريخية فنية مبررة لذلك.

فكان دائما يحاول أن يختار في هذين الفنين نصوصا ذات ظلال ثقافية وفنية تنتمي مرجعيا إلى حياة المسيحيين وإبداعاتهم، أو لأن أصحابها في تصوره إسبان يصدرون عن واقع إسباني ويتناولون معطيات تنتمي فنيا وتصورا إلى حياة المسيحيين وأساليب تفكيرهم وتعبيرهم عن واقعهم بشكل عام.

ولتحقيق تصوره في إسبانية هذين الفنين توسل بتقنية Calco R?tmico في الترجمة التي جاءت معتمدة على ما يلي:

١ – استخدام الكتابة اللاتينية عند النقل الخطي الكاليغرافي للنصوص الزجلية العربية، أي أنه أورد أزجال ابن قزمان مكتوبة بالرسم وبالحرف اللاتينيين وليس بخطها العربي الأصلي الذي وردت به في مظانها.

٢ – التزامه بعدد أبيات الأزجال وترتيبها بعد كتابتها بالحروف اللاتينية، وتقيده بكل ما ورد في الأصل مع مقابل لها بالإسبانية في الصفحة المقابلة، ليوصل بالقارئ الإسباني إلى الإدراك في النهاية بأن التشابه في الإيقاع قائم بين النصين (نص الزجل العربي وترجمته بالإسبانية)، وأن ليس هناك اختلافات جوهرية بينهما ، لكنها اختلافات بسيطة حدثت بفعل عوامل تطور هذا الأصل القديم إلى ما نجده الآن في الإيقاع الإسباني الحديث، مما يسهل مقارنة الترجمة الإسبانية بالأصل العربي، وللخلوص إلى نتيجة أساسية حاسمة وهي أن هذا التوافق أو التشابه الحاصل بين الإيقاعين (إيقاع الموشح والزجل وإيقاع الشعر الإسباني عامة) لا يمكن تفسيره إلا بحقيقة واحدة تبدو وجيهة ومنطقية عنده ومن منطلقاته وتصوراته ، وهي أن الإيقاع الإسباني إنما هو امتداد واستمرار فني وصوتي متطور للإيقاع الأندلسي الذي هو بدوره تأثر بمعطيات أو روافد تنتمي إلى جذور إسبانية إيبيرية غير عربية كانت موجودة قديما بإسبانيا، واستمرت جنبا إلى جنب مع الإيقاع العربي الخليلي، وإن لم تأخذ حظها من العناية والاهتمام الضروريين نظرا لسيادة الثقافة الرسمية آنذاك التي كانت ترعاها الدولة الإسلامية الرسمية بالأندلس، وترى في بقائها واستمرارها وازدهارها استمرارا وبقاء وازدهارا لسيادتها وسلطانها في تلك المرحلة.

ولتوضيح صورة هذا التقارب بين نص الزجل وبين ترجمته بالإسبانية نورد مقطعين من أزجال ابن قزمان من كتاب غوميث " كل ما يتعلق بابن قزمان "[1]، *Todo Ben Quzmān* . الأول من زجل يحمل رقم ١٣٤ في موضوع "الحب"، والثاني من الزجل رقم ١٣٦ في موضوع "الخمر"

**المقطع الأول:**

| ترجمته بالإسبانية كما أنجزها غوميث | الكتابة الخطية الكاليغرافية اللاتينية للزجل كما وردت في كتاب غوميث |
|---|---|
| 0 Red de amor tienden mis │ ojos │ malditos | 0 Anšab-nī bi-l-hawā │ ʿaịniy │ az-zānī |
| y el coraz?n insaciable. | wa-qalbiy alladī yaṭ maʿ . |
| 1 Diz que el amor tengo por gala ; | 1 Qālū ʿannī : l-haw? zaịnī, |
| que el coraz?n y los ojos. | wa-thāwad qalbī maʿ ʿainī |
| para morir me arrastraron. | hatt? sāqū-nī ’l? hainī. |
| ?No veis mis p?rpados, │ojos, │ borrarse? | Yā ʿainī: ?’iš rait in \| taf? │ ’ağfānī? |
| y, ay coraz?n, t? te rasgas. | Wa- ’ett, yā qalbiy, ?atqattaʿ ! |
| 2 En el amor me enredasteis | 2 Našabtum fi haw? man lā |
| del que jam?s me hace caso, | yaşil-kum abadan, illā |
| y, si me ve venir, huye. | - in rā-kum muqbilīn – wall?. |
| De ese garz?n crece el │ genio │ mis penas, | Wa- ’ahlāq da l-malīh │ zāyid │l-ahzānī , |
| pues, si se va, nunca vuelve. | idā wall?, fa-les yarğa . |
| Dios, ?qué va a ser de m? ahora? | 3 ? Yā rabbī! W-eš yakūn minnī? |
| ?Bien me maltrata y maltrata! | ? Yazlam-nī hibbī, yazlam-nī ! |
| Quiérolo, yo, y él me evita. | Nahwāh anā, wa-hahğur-nī. |

[1] - García Gómez, E. *Todo Ben Quzmān*. Págs. : 664 - 665 y 674 - 675

**المقطع الثاني**

**0 Aṣ-ṣiyām yabkī hammu.**
**Lūmū ’aų lā talūmū:**
**yatammu.**
**1 As-siyam anta tahsan;**
**al-hali , qalbu f-ad-dan.**
**?Es tahaf? La yaqul man**
**reproche**
**bi-dammu.**
**2?Haiyu, ya-hl al-hala a!**
**?Bi-n-Nabi, ya gama a,**
**aiyam as-saum f-as-sa a**
**tatammu!**
**3 Wa-yagi sahar sauwal,**
**wa-tara d-dunya f-igbal:**
**kull ahad kas wa- allal**
**fi kummun.**
**4 Qalbi yatlub lu uqu.**
**?In mada kas, tasuqu!**
**Id la naqwa naduqu,**
**nasummu.**

**0 Su pesar el ayuno**
**llora. Os guste o no os guste,**
**Se acaba.**
**1?T?, a ayunar! Pero el alma**
**Del borracho va al zaque.**
**?Y qué? Nadie al**
**se atrave.**
**2 ?Vamos, ea, borrachos!**
**? Por Mahoma, se?ores,**
**ahora el mes del ayuno**
**termina!**
**3 ?Que sauwal se nos llega!**
**ves que el mudo promete:**
**cada cual, vaso y frasco en**
**La manga**
**4 ?Bien quisiera lamerlo!**
**?Venga, copa que pase!**
**Si catarlo no puedo,**
**lo huelo.**

**إذن ففي هذه التقنية (Calco R?tmico) لا يستلهم غوميث الشكل الهندسي الخطي الذي كتب بهما النصان (النص العربي وترجمته) وكلاهما كتب بأحرف لاتينية لأغراض علمية خالصة ، وإنما يعمد إلى ذلك لإعطاء صورة عن التماهي الموجود بينهما إيقاعيا وخطيا، وليؤكد بأن هذا الشعر (شعر الموشح والزجل) له إيقاع أو بنية صوتية عروضية نبرية كالإيقاع الإسباني وليست بنية مقطعية كعروض الخليل العربي الذي نظمت به كافة النصوص الشعرية الكلاسيكية، كما أن في نصوصهما "تدوير" وهي طريقة مخالفة للأسلوب الشعري العربي المتين الذي تنتهي فيه الفكرة أو المعنى مع نهاية كل بيت، عكس ما نجده مثلا في الزجل الذي تمتد معانيه إلى أبيات موالية لاحقة . ومن هنا يتضح في تصوره الفرق بين الشعر العربي العمودي الفصيح وشعر الموشح والزجل الذي هو أقرب في كل هذا إلى الشعر الإسباني منه إلى الشعر العربي الكلاسيكي، إذ أن الشعر العربي يفضل وحدة البيت ويقرنها بوحدة معناه ويكره التدوير، ويمجه الذوق العربي الأصيل ويعتبره عجزا من الشاعر لعدم قدرته على احتواء معانيه في بيت واحد لا يتعداه، فغوميث**

في سعيه المستمر هذا ومن خلال اعتماده على هذه التقنية في الترجمة كان يحرص كل الحرص على إيجاد الصلات أو عناصر الائتلاف بين إيقاع الزجل والموشح و بين الإيقاع الإسباني، فقد حاول من خلال أعماله التي تناولت هذين الفنين بالدراسة أو بالترجمة إثبات درجات التشابه ومستويات التماهي الحاصلة بين الإيقاعين معا، وأن الإيقاع الإسباني الحديث إنما هو امتداد وتطور لإيقاع الزجل والموشح الذي هو بدوره له جذور إسبانية محلية.

ولإثبات صحة نظريته هذه ووجاهتها – كما ذكرنا سالفا - يبدأ بشكل ضمني بإقامة أدلة ملموسة على عناصر التشابه بينهما في الإيقاع وفي الشكل الهندسي الكاليغرافي الذي كتب بهما النصان، بالإضافة إلى أن هناك تشابها بينهما حسب تصوره من خلال تركيب الجملة وتوزيعها في القصيدة وكذا في المقطع الشعري والإيقاع الخفيف المرح البعيد عن رتابة العروض العربي.

ومن ثم فليس غريبا أن توجه جهوده الكبرى في الترجمة إلى نصوص من هذين الفنين بعينهما وأن يتابع إنجازاته العلمية في ضوء قناعته وتصوراته بأنهما إسبانيان وليسا عربيين.

كما أن استقراء دقيقا لمحتويات ومضامين مقالاته ودراساته أيضا حول هذين الفنين ، وتتبعا لمسيرته العلمية يكشف لنا جملة قضايا جوهرية لعل أبرزها هي أن غوميث كان يبحث دائما عما يوصله إلى اقتناع علمي – على الأقل بالنسبة إليه – حول إسبانية الموشح والزجل وإيقاعهما ومكوناتهما الصوتية والعروضية، وأن عروضهما يختلف بشكل واضح عن العروض العربي القديم.

وقد ساعده نفوذه العلمي وعلاقته وطاقته التي لا تعرف الكلل والملل في العثور على نصوص مؤيدة لتصوراته ورؤاه حول أصول وامتدادات هذين الفنين في الأندلس، فكان يعمل على سبر أغوارها وتقليبها من جميع أوجهها لاقتناص منها كل ما يريد، وما يزكي منطلقاته المستبطنة سلفا عن الموضوع.

فظل في أغلب مراحل حياته العلمية يبحث عن كل جديد منها كما كان يغتنم كل فرصة أو مناسبة ليعلن عن صحة أفكاره ومصداقيتها ، ووجاهة النتائج التي يتوصل إليها في هذا الباب. ومن ثم كان يضع فرضياته التي كانت محكومة بنتائج معروفة سلفا، وبطريقة مسبقة حتما عن الموضوع المطروح، فيبحث لها عن مستند أو دليل مرجعي علمي، أو فني، أو تاريخي، أو اجتماعي يؤيد ما بناه حول هذين الفنين من قناعات.

ولهذا فغوميث كان يمارس في بعض الأحيان الترجمة الإسقاطية، خصوصا عند ترجمته أو دراسته لهذين الفنين، فهو ينطلق من مسلمات نضجت سابقا عنده فيبحث لها فيهما عما يزكيها، وهذا ما كان ينعكس على أعماله في بعض مظاهرها،

بحيث تصبح هذه التصورات هي التي تقود أعماله وإنجازاته وتسيرها نحو النتيجة التي هي مرسومة منذ البداية دون أن ينطلق في كل ذلك من هذين الفنين وينتهي إليهما.

إذن ما يثير الانتباه في هذه الإنجازات هو أن ذات غوميث العلمية تظل حاضرة فيها، وإن كانت لا تأخذ قدرا كافيا من الحيادية في ذلك، ولهذا نجد أن هذه النصوص تخدم طموحه ورؤاه وتصوراته العلمية التي من أجلها يسعى إلى إخراج هذه الترجمات إلى حيز الوجود، فتغدو بذلك شاهدة ومعززة في نفس الوقت لتلك الأفكار التي دخل بها أول مرة إلى عالم النصوص التي يود ترجمتها.

ولهذا اهتم كثيرا بهذا المبحث (مبحث ترجمة الموشح والزجل) وأولاهما معظم جهوده العلمية، ولم يسخر ولو ربع هذه الجهود مثلا لخدمة العروض العربي الكلاسيكي، إلا في مناسبات قليلة جدا، حينما تطرق إلى الإيقاع الكلاسيكي كما نظر له التيفاشي، لا لشيء إلا لكي يؤكد نظريته في إسبانية إيقاعات الموشح والزجل.

وحتى طريقة Calco R?tmico التي اعتمدها في نقل نصوصهما لم يلتجأ إليها إلا لأنها تحافظ بصورة أمينة على عروض وإيقاعات هذين الفنين أثناء عملية الترجمة، وتتيح إمكانيات أكبر لمعرفة مكوناتهما الجوهرية، حتى بعد أن يخضعا لعملية الترجمة والنقل من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية، وذلك لأهداف كما قلنا كامنة في تصوراته مسبقا وهي تأكيده على التشابه الكبير بين الإيقاع الإسباني وإيقاعهما، وهي طريقة دقيقة توسل بها غوميث من أجل البحث عن أصول وجذور وامتدادات العروض الإسباني الإيبيري عموما الذي نما - في اعتقاده – مع الموشحات والأزجال باعتبارهما نماذجه وتجلياته الأولى المبكرة.

ونحن لا نشك إذن في دقة ترجمات غوميث لهذين الفنين أو لفنون شعرية أندلسية أخرى، أو نطعن في جودتها أو كفاءتها وعمقها فهذه أمور وحقائق مسلم بها من قبل كبار العلماء والباحثين في العالم، وإنما نشك في أنه كان موضوعيا وأنه كان ينجزها بدون خلفيات أو منطلقات أو رؤى مخالفة لما هو سائد في التصورات والقناعات العربية، بل إن هذه الخلفيات تظل تسيره وتؤطر أعماله وتوجهها مثل كيف يختار؟ وماذا يختار؟ وما هي المباحث أو النصوص التي تشكل مرتبة الأولية وتستحوذ على اهتمامه قبل غيرها؟...

ولهذا كانت هذه الإنجازات العلمية في قراءتها للتراث الشعري الأندلسي تعتمد على جذور لاتينية أيبيرية في تفسير كل جديد مستحدث في إسبانيا الإسلامية من فنون وآداب وعلوم وردها إلى أصول إسبانية قديمة، نبتت في أرض شبه الجزيرة الأيبيرية، مع السعي الدائم والمتواصل وراء البحث عن أدلة لتزكية ذلك من هذا التراث.

فكان هذا الموقف العلمي منطلقا لغوميث في دعوته المعروفة لإعادة النظر في هذا الشعر وترجمته ودراسته، فهو ما فتئ يحمل دعوة لاستثمار نماذج من هذا الشعر ويسعى إلى تجديد الحياة فيها، لكن استعادة هذا التراث تنطوي على كسر المسافات الزمنية والفنية بين الماضي والحاضر ليصبح هذا الشعر حيا يعيش حاضرنا وعصرنا ويقفز على حدود زمنه ونظمه ليكتب له حياة جديدة حبلى بالأجوبة الهادفة رغم طول العهد وبعد العصر.

هذه الأجوبة التي يظل غوميث في حالة من التنقيب المضني المستمر عنها في متون هذه النصوص لتزكية تصوراته.

## ٤ - تركيب:

وبناء على ما سبق فإننا نقرر هنا بضرورة عدم الانسياق الكلي والمطلق وراء الأفكار التي تنادي بأن غوميث كان يدرس التراث الشعري الأندلسي بتجرد وبرؤى موضوعية وبدون خلفيات أو قناعات مسبقة توجهه وتؤطر أعماله من وجهة نظرها ، ومن منطلقاتها المحكومة مسبقا بنتائج معروفة.

فكل ذلك يؤكد لنا عدم براءة أهداف الترجمة عنده وعدم موضوعيتها إزاء هذا التراث رغم دقتها وعمقها وبلاغتها وكفاءتها، فغوميث لم يكن عمله خالصا لوجه هذا التراث وإنما كانت هناك بواعث وملابسات ترتبط بالذات الإسبانية في سعيها إلى البحث عن أجزائها الثقافية والحضارية والتاريخية الكامنة في هذا التراث العربي الأندلسي.

وهذا التصور فرض عليه اللجوء من وجهة نظر انتقائية اختيارية إلى ترجمة نصوص لم يكن له بد من اللجوء إليها لولا توفرها على مختلف المعلومات الهامة المحيطة بثقافة إسبانيا العصر الوسيط في شتى تمظهراتها وتلويناتها حتى تكون منسجمة مع ما كان يطرحه ويبتغيه فيها.

فهذا الاختيار كان لا يأخذ عنده إلا ما هو إسباني مركزي كابن حزم وابن قزمان وابن شهيد، الذي يقول عنه: «...وندين لابن شهيد بالخيال الجامح المتمثل في تخيله – ربما لأول مرة في تاريخ العالم - القيام برحلة إلى جنبات العالم الآخر يتحدث فيها مع الأطياف والعباقرة الملهمين للشعراء الكبار مقارنا – في اعتداد إسباني بالنفس – إنتاجه الشعري بإنتاج الأقدمين» [1] ولا يأخذ من الفنون إلا ما كان أندلسيا إسبانيا كالزجل والموشح والخرجة.

---

[1] . انظر المقدمة التي كتبها غوميث لترجمته الإسبانية لكتاب "تاريخ إسبانيا الإسلامية" من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية" لبروفنصال، ترجمه عن الإسبانية الأساتذة: بابمبي، والمنوفي، وعبد الظاهر. ص: ٣٢.

حقيقة أنه تعامل مع التراث الأندلسي في شموليته ومباحثه المختلفة ، ولكنه كان يركز بشكل أساسي واستراتيجي على ما كان يتوفر فيه من معطيات تنتمي مرجعيا إلى المنظومة الحضارية والثقافية الإسبانية.

وبذلك كان غوميث يصدر عن رؤى غربية في كثير من آرائه حول تمجيد الذات الإسبانية في جوانبها المشرقة في مرحلة العصر الوسيط ، فكيف ذلك؟

إنه كان يتصور بأن العلوم والفنون المستحدثة بإسبانيا الإسلامية هي ذات طبيعة وجذور إسبانية محلية، فيها من المظاهر الإسبانية الناصعة ومن عناصر التوهج والسمو والإبداع الرفيع، ما جعلها محط اهتمام وعناية واستقطاب من قبل باقي الثقافات والعلوم الأوروبية الأخرى التي تأثرت بها. فأزجال ابن قزمان على سبيل المثال بسطت سلطتها وتأثيرها على كثير من شعراء أوروبا « فقد نجد زجلا لابن قزمان لا نرى له مثيلا في الأدب الشرقي مهما استقصينا ثم نجده قريب الشبه مثلا ببعض شعر آدم دي لاهان... وكذلك نجد شبها بين آثار شاعرنا الأندلسي وشعر فرنسوا فييون الفرنسي، رغم تباعد الزمن بين الشاعرين... والأعجب من هذا أن هذا النوع الشعري بخصائصه وقطعه المصرعة انتقل كذلك في وقت مبكر إلى أوروبا الغربية[1]».

بل يذهب صديقه المستعرب الإسباني المحدث آنخل غونثالث بالنثيا إلى أبعد من ذلك حينما يرى بأن الأزجال الأندلسية قد أثرت بشكل كبير وبارز في نشأة وتطور شعر كثير من بلدان أوروبا في بداية نهضتها الأدبية والفنية كفرنسا مثلا وإنكلترا وألمانيا وإيطاليا والبرتغال[2].

إن غوميث وغيره من المستعربين الإسبان المحدثين أمثال ريبيرا وبالنثيا وبلاثيوس وغيرهم ينطلقون في تعاملهم مع التراث الأندلسي من مسألة "المركزية الإسبانية" في مقابل "المركزية الأوروبية"، ومن مسألة تضخيم الذات الإسبانية بإرجاع كل شيء تأثرت به دول أوروبا إلى التراث الأندلسي، هذا التراث الذي هو- حسب تصورهم- في عمقه وأصوله وامتداداته ثقافة إسبانية في تجلياتها القديمة المبكرة، بناها إسبان مسلمون بتفكير وعقلية إسبانيين محليين لكن بلغة عربية.

وبالتالي فإن تأثر هذه البلدان الأوروبية بشتى أنواع المعرفة والآداب والفنون الأندلسية إنما هو في بعده وجوهره تأثر بالمعرفة والآداب والفنون الإسبانية القديمة للعصر الوسيط. هذا التصور نجده بحدة بالغة الخطورة عند بالنثيا حينما يقول: «وفي كل الحالات عندما نتذكر التراث الذي أضافه الإسبان المسلمون

---

[1] - بروفنصال، "أدب الأندلس وتاريخها"، ص: ٢٤.

[2] - انظر، بالنثيا، "تاريخ الفكر الأندلسي"، ترجمة حسين مؤنس، من ص: ٦١٤ إلى ٦٣٠.

إلى الحضارة الأوروبية، نشعر بالزهو لأن هؤلاء الذين خلفوا لنا هذه الروائع الفنية من الزجل والموشحات والنظريات الفلسفية التي تربى عليها المفكرون الغربيون وكتب العلم والطب التي أسهمت في أن تجعل من الحياة الإنسانية شيئا أجمل وأفضل، والذين بلغوا القمة بالحضارة على أيامهم، وجعلوا من إسبانيا أرقى دول أوروبا ثقافة. هؤلاء كانوا أجدادنا، من جنسنا وليس عدلا أن نجردهم من إسبانيتهم لمجرد أنهم كانوا مسلمين» [1].

ومن هنا تتجلى الأهداف الإستراتيجية والمركزية التي ينبني عليها الاستعراب الإسباني الحديث عامة في رد كل إبداع أو فن أو تيار علمي أو فكري ظهر بإسبانيا إلى جذور إسبانية لاتينية قديمة.

ولهذا نجد غوميث مثلا كان يبالغ في بعض الأحيان عند تعامله أو ترجمته لبعض الأعمال الأندلسية، سواء في مستواها النثري أو الشعري مما أوقعه في الترجمة الإسقاطية كما قلنا سابقا، التي تجعل المترجم يستحضر وبكثافة التصورات والرؤى والمعرفة الضمنية للنص أثناء عملية الترجمة، مما يؤثر ذلك كله على المعاني الصافية والجوهرية للنص المصدر، وقد انعكس ذلك للأسف على بعض النتائج والحقائق التي توصل إليها بسبب أنه كان يلوي عنق النصوص المترجمة لتخدم أفكاره المسبقة وتصوراته المستبطنة حول إسبانية التراث الأندلسي، مثلما حدث بالنسبة لترجماته حول الأزجال والموشحات، ونسبة كل جديد طريف ومبتكر فيها إلى أصول وجذور إسبانية لاتينية كالبنى الإيقاعية واللغوية وطريقة تناول الموضوعات، وكأن هذه النصوص نبتت في جزيرة معزولة لم تخضع لقانون التأثر والتأثير أو لمبدأ التقليد والتجديد، أو كأنها نشأت ونمت وترعرعت خالصة بدون أن تأخذ حظها من التفاعل مع باقي أشكال الثقافات الإنسانية المحيطة بها. وهذا بطبيعة الحال مخالف لما شهدته بلاد الأندلس وقتئذ من ألوان الاحتكاك والتفاعل بين سائر الثقافات والحضارات والإثنيات المتعددة المختلفة وذلك في تناغم وانسجام قلما تحقق في مكان آخر من أرض المعمور بنفس الكيفية التي تحقق بها على أرض إسبانيا الإسلامية في العصر الوسيط.

---

[1] - **Garc?a G?mez. E** ***Todo Ben Quzmān*****. p :664-665 y 674-675**

# خاتمة

انطلقنا في تأليف هذا الكتاب وإعداد فصوله من تصور علمي يرى أن إقامة معرفة عميقة ودقيقة وشاملة بالحضارة العربية الإسلامية بالأندلس من خلال زاوية نظر عربية أحادية يبقى عملا مبتسرا ومجهودا ناقصا ما لم ينفتح على الآخر، أي على ما كتبه الاستعراب الإسباني حول الموضوع في سياق بناء معرفة شاملة ودقيقة عن تاريخ وحضارة إسبانيا في عصرها الوسيط ، الذي يشكل التراث الإسلامي بها أحد المكونات الأساسية والمركزية في هذا البناء .فلا يمكن أن تتأسس هذه المعرفة إلا انطلاقا من دراستنا لأعمال الآخر في هذا المجال .

إن الانفتاح على الآخر ( الخطاب الاستعرابي الإسباني الحديث) في دراستنا لحصيلة ما كُتِبَ عن التراث الأندلسي أمر في غاية الأهمية ، ويكتسي قيمة علمية مضافة بوصفه أحد أهم العناصر التي اهتمت وساهمت في خلق معرفة بهذا التراث الإنساني الخالد .

فعلى كثرة المؤلفات والدراسات العربية التي قاربت هذا التراث ورصدت تجلياته الغنية المتعددة ، فإن قضايا ومباحث معينة وهامة فيه قد بقيت دون إضاءة كافية تكشف عن أهميته وتجسد قيمته التوثيقية والفكرية والفنية الجمالية والعلمية.

ومن ثم فإن تطوير الدراسات الأندلسية بالانفتاح على خطاب المستعربين الإسبان المحدثين عمل سيسهم ولاشك في نقل ذلك الاهتمام والانشغال بالتراث الأندلسي من إطاره العربي الضيق إلى إطار من الممارسة المنفتحة على الآخر الذي يشاركنا هذا التراث ، ونفس الحضارة التي كان الأندلس مجالا حيويا لمظاهرها.

كما ترسخت لدينا قناعة مفادها أنه لا يمكن تأسيس معرفة صحيحة بتراثنا الأندلسي إلا في ظل استحضار هذه الأعمال الإسبانية الموازية وهي كثيرة ومتنوعة .

إن هذا التاريخ (تاريخ الأندلس في العصر الوسيط) قد صاغه وشيده الإنسان المسلم العربي، إلى جانب الإنسان المسيحي الإسباني، فكلاهما ساهم في بنائه وتكوينه، وكلاهما يدعي انتسابه إلى هذا التاريخ، واعتزازه بهذه الفترة العظيمة من تاريخ إسبانيا العصر الوسيط ، إلا أنه لا يمكن لأحد منهما أن يدعي ملكيته الفردية المطلقة لهذه الفترة، أو أن ينصب نفسه وصيا عليها دون إشراكه للآخر

في ذلك، في إطار التسامح الثقافي .

ووعيا منا بأهمية الموضوع وجدته قمنا بدراسة علم من أعلام الاستعراب الإسباني الحديث ألا وهو إميليو غارثيا غوميث لأن مشروعه العلمي يستحق الاهتمام والنقاش والمدارسة، فقد ظل وفيا طيلة حياته لهذه الحضارة ولعناصر الضوء والإبداع فيها ، لقد ألهمته معظم أفكاره وإنجازاته وتصوراته .

إلا أن هذه الانجازات العلمية الكبرى التي حققها الرجل في مساره العلمي الطويل طيلة أكثر من نصف قرن من حياته العلمية والعملية لم تُقابَل في العربية للأسف بالمتابعة والدراسة والاهتمام والترجمة في مستواها .

إن مشروع غوميث العلمي فيه من الغنى والتنوع والعمق ما يستطيع به أن يلفت الانتباه، ويجلب أقلام العلماء والدارسين للحفر في تربته الخصبة المعطاء.

ولهذا فإن دراسة أعمال غوميث وإنجازاته العلمية المتعددة والانطلاق منها كقاعدة نحو الاهتمام بالاستعراب الإسباني إجراء علمي صائب وصحيح، لأن غوميث يشكل مفتاح هذا الاستعراب، وجسرا يوصل بين عهدين، عهد الشيوخ وعهد الطلبة الشباب الذين واصلوا الاهتمام، وهو الذي حمل على كتفيه قضايا الاستعراب في العصر الحديث بدون منازع.

إن غوميث حين أصبح سفيرا لإسبانيا ببعض الدول العربية والإسلامية، فإن أول ثابت اعتمد عليه في تحقيق هذه المهمة الدبلوماسية وإنجاحها، ليس الثابت السياسي، وإنما الثابت الثقافي لما لهذه الثقافة المشتركة من سلطة سحرية تجمع بين الأمتين: العربية والإسبانية ، المتمثلة في الحضارة الأندلسية الخالدة.

وتأسيسا على ذلك فإن رهان هذه الأطروحة المركزي هو أن تؤسس معرفة ولو أولية استئناسية بهذا الخطاب في ثقافتنا العربية ، مع الإشارة إلى مشروع أحد أهم أقطابه وأبعدهم شهرة وأعمقهم تجربة وخبرة وأكثرهم تراكما وأغزرهم إنتاجا وإبداعا ألا وهو إميليو غارثيا غوميث، في محاولتنا لاستقطاب الاهتمام وتحريك الأقلام من ذوي الاهتمامات لأن يكتبوا في هذا المبحث العلمي الممتع اللذيذ الحميمي الذي تسافر فيه دون أن تشعر بوعثاء السفر الشاق رغم طول المسافات وبعد المقاصد وتنوع الاتجاهات.

ولهذا كان حافزنا في هذا الكتاب هو إظهار ما لهذا الاستعراب من علامات مضيئة في خدمة الحضارة الأندلسية ، والكشف عما لديه من إمكانات وقدرات على دراسة النصوص الأندلسية وإبراز مواطن النبوغ والتوهج فيها .

نأمل أن نكون قد وفقنا في معالجة القضايا التي يثيرها الموضوع ، نسأل الله تعالى أن يسدد خطانا دائما ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

# المصادر والمراجع

## باللغة العربية


- إبالثا مغيل دي: - خواطر من أجل عيد مئوي إسباني عربي (١٤٩٢ - ١٩٩٢) ترجمه إلى العربية كاظم جهاد، مجلة الكرمل، العدد ١٢ السنة ١٩٩٤.
- الأوسي حكمت علي: - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧١.
- بدوي عبد الرحمن: - موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤.

ابن بسام: - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لجنة من كلية آداب جامعة القاهرة، القاهرة ١٩٤٢.

- بوزينب الحسين: - الترجمة بين العربية والإسبانية، مجلة التاريخ العربي العدد ٢، ربيع ١٤١٧ - ١٩٩٧.

بنشريفة محمد: - الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، مراكش، أبريل ١٩٩٣.

- بيدال مينندث رامون: - إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام، ترجمة لطفي عبد البديع، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٥٣.
- جحا ميشال: - الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢.
- جمال الدين محسن: - ما أسهم به المستشرقون الإسبان في الدراسات الأندلسية الإسلامية، مجلة المورد، المجلد ٩، العدد الرابع، ١٩٨١.
- جيمس ذكي: - غرناطة، مثال من المدينة العربية في الأندلس، ترجمة عبد الواحد لؤلؤه، ضمن كتاب (الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- الجيوسي سلمى الخضراء: - "شكر وعرفان" من كتاب (الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- ابن حيان: - المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣.
- روجر بواز: - التأثير العربي في الشعر الغربي الأوروبي، ترجمة، صالح فخري ضمن كتاب (الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

- سعيد إدوارد: - الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمه إلى العربية كمال أبو ديب، بيروت ١٩٨١.
- عطية الله أحمد : - القاموس السياسي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ .
- العقيقي نجيب: - المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٤.
- علي مكي محمود - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ .
- غونثاليث بالينثيا آنخل: - تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسن مؤنس مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٥٥.
- غويتيسولو خوان: - تأملات في الاستعراب، ترجمة عبد الله اجبيلو، الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربية، عدد ٧٢٢ بتاريخ ١٥ - ١٢ - ١٩٨٤.
- في الاستشراق الإسباني، دراسة فكرية، ترجمة كاظم جهاد، مطبعة النجاح الجديدة. المغرب ١٩٩٨.
- القاضي محمد: - الاستعراب الإسباني بين الإنصاف والإهمال، مجلة "رسالة الجهاد الليبية"، العدد ٩٠ السنة التاسعة.
- لوبيث بارالت لوثي: - التراث الإسلامي في الأدب الإسباني، ترجمة فخري صالح، من كتاب ( الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس )، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- لوبيث غوميث مارغاريت: - إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس، من كتاب (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، الطبعة الأولى، السنة ١٩٩٨.
- المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، ترجمة أكرم ذو النون، من كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)""، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، السنة ١٩٩٨.
- مكي الطاهر أحمد: - تيسير اللغة العربية للأجانب، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس، السنة ١٩٦٧.
- مكي الطاهر أحمد: - دراسة في مصادر الأدب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٦.

- دراسات أندلسية في الأدب، التاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٧.

- مع شعراء الأندلس والمتنبي، سير ودراسات، دار المعارف، الطبعة الخامسة ١٩٩٢.

- هيكل أحمد: - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٧٩.

- الوراكلي حسن: - الاستعراب الإسباني والتراث الإسلامي الأندلسي، مجلة المناهل المغربية، العدد ٥٦، السنة ٢٢ شتنبر ١٩٩٧.
- لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين (دراسة وبيبلوجرافيا) مجلة كلية الآداب تطوان، السنة الثانية، العدد ٢، السنة ١٩٨٧.

- ياقوتة الأندلس، دراسات في التراث الأندلسي، دار العرب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٩٩٤.

- الوهابي عبد الرحيم: "لا حظ للعبرية في ثقافة الأندلس"، الملحق الثقافي الجريدة العلم المغربية، ١٠ يونيو ١٩٩٥.


## باللغة الإسبانية


- Alonso Damaso - Poesia arabigoandaluza y poesia gongorina en estudios y ensayos gongorinos. Madrid. Editorial Credos (1960).

- Arribas Palau, Mariano. - "Bibliographie" Hesperis Tamuda vol XVII (1976 - 77).

- As?n Palacios, iguel. - Crestomat?a de ?rabe literal con glosario y elementos de gram?tica. Publicaciones de las Escuelas de Estudios ?rabes de Madrid y Granada. Madrid 1939.

- "Rese?a sobre el Qasidas de andaluc?a puestas en verso Castellano" Al – Andalus . vol V Fasc 1(1940).

- Asȋn Palacios, Miguel y G?rcia G?mez.Emilio - "Nota preliminar" Al - Andalus. Vol I. Fasc 1 (1933)

- Cantera Francisco. - La Canci?n moz?rabe. Publicaciones de la Universidad internacional Menendez pelayo, Santander 1957.

- Cirre Manzanares Manuela De. - Arabistas Espa?oles del siglo XIX. Madrid 1972.

- Diccionario de la historia de Espa?a desde sus or?genes hasta el fin del Reinado de Alfonso XIII. Madrid 1952.

- Diccionario de la lengua Espa?ola. Madrid Real Academia Espa?ola 1984.

- Garc?a G?mez, Emilio. - "Abenalcotȋa y Abenah?zam" Occidente, 16 Madrid (1927).

- El Califato de C?rdoba en el Muqtabis de Ibn Hayyān, Anales palatinos del Califa de ?rdoba al - Hakam II, por Isa Ibn Ahmad al - Razȋ. Madrid sociedad de Estudios y publicaciones, 1967.

- El Collar de la Paloma, Tratado sobre el Amor y los Amantes de Ibn Hazm de C?rdoba Madrid, sociedad de Estudios y publicaciones 1952.

- Garc?a G?mez, Emilio. - "Don Miguel Asȋn (1871 - 1944) Esquema de una biografia Bibliografia de Don Miguel Asȋn" Al – Andalus. vol IX Fasc 2 (1944).

- "Elogios de Al - Andalus, por al - Saqundi" Occidente 11. Madrid (1933).

- Elogio del Islām Espa?ol (Ris?la fi Fadl Al - Andalus). Madrid, publicaciones de las Escuelas de Estudios ?rabes de Madrid y Granada (1934).

- "La étimologia de "Alixares"" Al - Andalus vol II Fasc 1 (1934).

- Foco de antigua luz sobre la Alhambra: desde un texto de Ibn al - Jatib en 1362 Madrid, ublicaciones del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos 1988.

- Garc?a G?mez, milio.

- Historia de Espa?a Musulmana hasta, la caida del Califato de C?rdoba Madrid, Espasa Calpe 1950.

- “Ibn Mammātī, Compendiador de la (Dajīra)” Al – Andalus . vol II Fasc 2 (1934).

“Ibn Quzmān editado por Nykl” Al - Andalus . vol: I Fasc 2 (1933).

- Garc?a G?mez, milio.

- “En la Jubilaci?n de Don Miguel As?n” Al -Andalus . vol VI Fasc 2 (1941).

- “Levi - Provençal (4 Enero 1894 - 23 Marzo 1956)” Al – Andalus . vol XXI . Fasc 1 (1956).

- El libro de las banderas de los campeones de Ibn Saʿid Al - Magribī, antologia de poemas ar?bigoandaluces. Madrid, Instituto de Valencia de Don Juan (1942).

- “Miguel As?n: el m?stico murciano Abenarabi (monografia y documentos) Occidente 12 (1928).

- “Muhammad Ben Masʿ ūd, poeta herbolario de comienzos del siglo XI vago precedesor de Ben Quzmān” Al - Andalus vol: XXXVII Fasc 2 (1972).

- “Novedades sobre la cr?nica an?nima titulada (Fath al Andalus) Annales Institut d'etudes Orientales, Alger, (1954).

- “Nuevas observaciones sobre las jaryas romances en muwassahas hebreas” Al – Andalus. vol XV

Fasc 1 (1950).

- Garc?a G?mez, Emilio.

- “Observaciones sobre la qasida maqsura de Ab? - l - Hasan Hāzim al - Qartaŷŷannī” Al - Andalus . vol I Fasc 1 (1933).

- “El parang?n entre M?laga y Sale, de Ibn al - Jatib” Al - Andalus . vol II . Fasc 1 (1934).

- “Polémica religiosa entre Ibn Hazm e Ibn al - Nargila” Al - Andalus vol IV Fasc 2 (1936).

- “El Principe amnistiado y su (Diwan) 963 - 1009” Escorial 17 Madrid Marzo (1942).

- Qasidas de andaluc?a puestas en verso Castellano.

Madrid (1940).

- “Una Qasida pol?tica inédita de Ibn Tufayl” Madrid,revista del instituto Egipcio de Estudios Isl?micos. Vol. I (1953)

- “Ribera y los estudios ?rabes en Espa?a” Madrid, Investigaci?n y Progreso, 1928.

- Silla del Moro y Nuevas Escenas Analuzas, Madrid publicaciones de Revista de Occidente (1948).

- “El supuesto sepulero de Muʿtamid de Sevilla en Agmāt” Al - Andalus XVIII Fadv 2 (1953).

- Garc?a G?mez, Emilio. - “Tercera discusi?n con Ahwānī sobre Ben Quzmān” Al - Andalus . vol XLIII . Fasc 2 (1978).

-. Un texto ?rabe occidental de la leyenda de Alejandro, seg?n el manuscrito ?rabe, XXVII de la Biblioteca de la Junta para Ampliaci?n de Estudios. Madrid, Instituto de Valencia de Don Juan, 1929.

- “Textos ineditos del "Muqtabis" de Ibn Hayyān sobre los or?genes del Reino de Pamplona” Al - Andalus vol XIX Fasc 2 (1954).

- “En torno a mi traducci?n del (collar de la Paloma)” Al - Andalus vol XVII Fasc 2 (1952).

- “Veinticuatro Jarŷas romances en muwaŝŝahas ?rabes (ms G.S. Colin)” Al - Andalus vol XVII Fasc 1 (1952).

- “El Zéjel X de Ibn Quzmān” Al - Motamid, 12 Larache 1948.

- G?mez, Emilio y As?n Palacios Miguel - “Notas preliminar” Al - Andalus vol I Fasc 1 (1933).

- Garc?a G?mez Emilio y Granja Fernando, De la. - “Mohammad Ben Masʿūd poeta berbolario de comienzos del siglo XI: vago predecesor de Ben Quzmān” Al - Andalus . vol XXXVII Fax 2 (1972).

- Garc?a G?mez, Emilio y Provençal, Levi. varist - Cr?nica an?nima de Abd Rahman III al Nasir. Madrid, Instituto Miguel As?n 1950.

| | |
|---|---|
| **- Garc?a G?mez, Emilio y Provençal Levi. varist** | **- Sevilla a comienzos del siglo XII: El tratado de Ibn Abdūn. Madrid: Moneda y Cridito. (1948).** |
| **- Garc?a G?mez, milio, Proençal Levi. Evarist, Oliver As?n, Jaime** | **- "Novedades sobre la batalla llamada de al - Zallāqa" Al - Andalus . vol XV . Fasc 2 (1950).** |
| **- Gibert Soledad.** | **- "Sobre el todo Ben Quzmān de Emilio Garc?a G?mez" Al - Andalus vol 37 Fasc 1 (1972).** |
| **- Gil Grimau, Rodolfo.** | **- "Valoraciones sobre El Arabismo Espa?ol a partir de Magisterio de Emilio Garc?a G?mez (Homenaje a Don E.G.G) El Cairo (1998).** |
| | **- "Rese?a sobre el Un alfaqui Espa?ol, Abu Ishāq de Elvira" Al - Andalus . vol IX . Fasc 2 (1944).** |
| **Granja Fernando, De la. y Garc?a G?mez Emilio.** | **- "Mohammad Ben Masʿūd poeta berbolario de comienzos del siglo XI:: vago predecesor de Ben Quzmān" Al - Andalus vol XXXVIIFasc 2 (1972).** |
| **Lapesa Melgar, Rafael.** | **"En el homenaje a Don Emilio Garc?a G?mez" .Revista del instituto Egipcio de Estudios Isl?micos vol XXVIII (1996).** |
| **Làzaro Fernando y Tus?n Vicente.** | **- Literatura Espa?ola. Madrid. ANAYA 1988.** |
| **L?pez Garcia, Bernabé.** | **- "Or?genes del arabismo espa?ol - la figura de Francisco Fernandez y Gonzalez y su correspondencia con Pascual de Gayangos. Cuadernos de la biblioteca espa?ola de Tetu?n N° 19 - 12 (1979).** |
| **- Makki Muhmūd, Ali.** | **- "Emilio Garc?a G?mez, El Arabismo Espa?ol y el Hispanismo ? rabe" Revista del Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos vol XXVIII (1996).** |
| **- Marin Manuela.** | **- "Los Arabistas Espa?oles y Marruecos de Lafuente Al Qantara a Millas Vallicrosa" en el libre (Espa?a en Marruecos (1912 - 1956)) primera Edici?n 1999.** |
| **Menendez Pidal,** | **- "Espa?a como eslab?n entre el Cristianismo y El** |

am?n — Isl?m" Revista del Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos. vol I (1953).

- Menendez y Pelayo, arcelino. — - Historia de la poes?a Castellana en la Edad edia. Madrid Tomo I 1911 - 1913.

- Or?genes de la novela. Madrid 1943.

- Oliver As?n, Jaime — - "Alijar Alijares" Al - Andalus. vol VII . Fasc 1 (1942).

Provençal Levi, variste. — - Historia de Espa?a Musulmana hasta la caida del Califato de C?rdoba traducci?n al Espa?ol por Emilio Garc?a G?mez Madrid Espasa - Calpe 1950.

- Sevilla a comienzos del siglo XII el tratado de Ibn Abdūn traducci?n al Espa?ol por Garc?a G?mez Emilio Moneda y Cridos 1948.

- "Textos ineditos del Muqtab?s de Ibn Hayyān"

Al - Andalus . vol XIX Fasc 2 (1954).

Provencal Levi, Evariste, Evarsite y Garc?a G?mez, milio — . Un cronica An?nima de Abd Al - Rahm?n III, Al Nasir. Consejo juperior de investigaciones cient?ficas. Instituto Miguel Asin (Madrid - Granad). 1950.

Provençal Levi, variste. Garc?a G?mez Emilio y Oliver As?n, aime. — - "Novedades sobre la batalla llamada de Al - Zall?ga 1068" Al - Andalus vol XV Fasc 1 (1950).

- Ruiz Pe?a, Juan. — - Literatura Espa?ola y Universal.Madrid,Editorial Credos, segunda Edici?n. 1964

- "Rese?a sobre el antologia ?rabe para principiantes de Emilio Garc?a G?mez" Al – Andalus . vol IX Fasc 1 (1944).

Stern, Samuel. — - "Muhammad Ibn Ubada Al – Qazzāz un andaluz autor de muwaŝŝahas" traducido al espa?ol por Emilio Garc?a G?mez. Al - Andalus vol XX Fasc 1 (1950).

- "En la jubilaci?n a Don Emilio Garc?a G?mez" Al - Andalus vol XL Fasc unico 1975.

- "Rese?a sobre Sevilla a comienzos del siglo XII el tratado de Ibn Abdūn" Al - Andalus vol XIV Fasc 1 (1949).

**- Viguera Molins, Maria Jesus.** etaforas ?rabes y greguerias" Instituto Egipcio de Estudios Isl?micos Madrid 1996.

**- Villanueva, Ram?n.** - "Perfil y andaluzas diplom?ticas del embajador Emilio Garc?a G?mez" Revista Awraq vo XVII (1996).

**- Villanueva, Ram?n.** - La primera emabajada del profesor Garc?a G?mez. (seleccion de sus despachos y cartas al ministro castiella 1960) Madrid. Instituto Hespano - ?rabe de Cultura. (1998).

## باللغة الفرنسية

**Garc?a G?mez, Emilio.** - « la poésie politique sous le califat de ordoue » Actes du XXI congrès International des Orientalistes, Juillet 1948. Revue des Etudes Islamiques (1949).

**- Provençal, Levi.** - « Un document sur la vie urbaine et les corps de metiers à Seville au debut du XIIe siècle: le traite d'Ibn abdun » Journal Asiatique (1934).

- « Les Memoires de Abd Allah, dernier roiziride de Grenade » Al - Andalus vol IV Fasc 1 (1936).

- Séville musulmane au debut du XII siècle, le traite d'Ibn Abdun. Paris (1947).

- « Un texte arabe inedit sur l'histoire de l'Espagne Musulmane dans la seconde moitie du XIeme Abdun. Al - Andalus vol III Fasc 2 1935).

**- Richard Robert.** - « Recherches sur la porte de la trahison dans la fortification Hispanique » Al - Andalus vol XX Fax 2 (1955).

# باللغة الإنجليزية


- Gayangos Pascual. - The History of the Mohamedan dynasties in pain. London (1840 - 1843).

- Ross, S. - translation and similarity - in M.Ross ed, ranslation spectrum. Albany: State University of New york Press (1981).

Stern, Samuel - "A letter of the byzantine emperor to the ourt of the spanish umayyad caliph al - Hakam" Al - Andalus vol XXVI Fasc 1 (1961).

- "Four famous Muwassahs from Ibn Busra's antology" Al - Andalus vol XXIII Fasc 2 1958).

- "Studies on Ibn Quzmān" Al - Andalus vol XVI Fasc 2 (1951).

## فهرس المحتويات

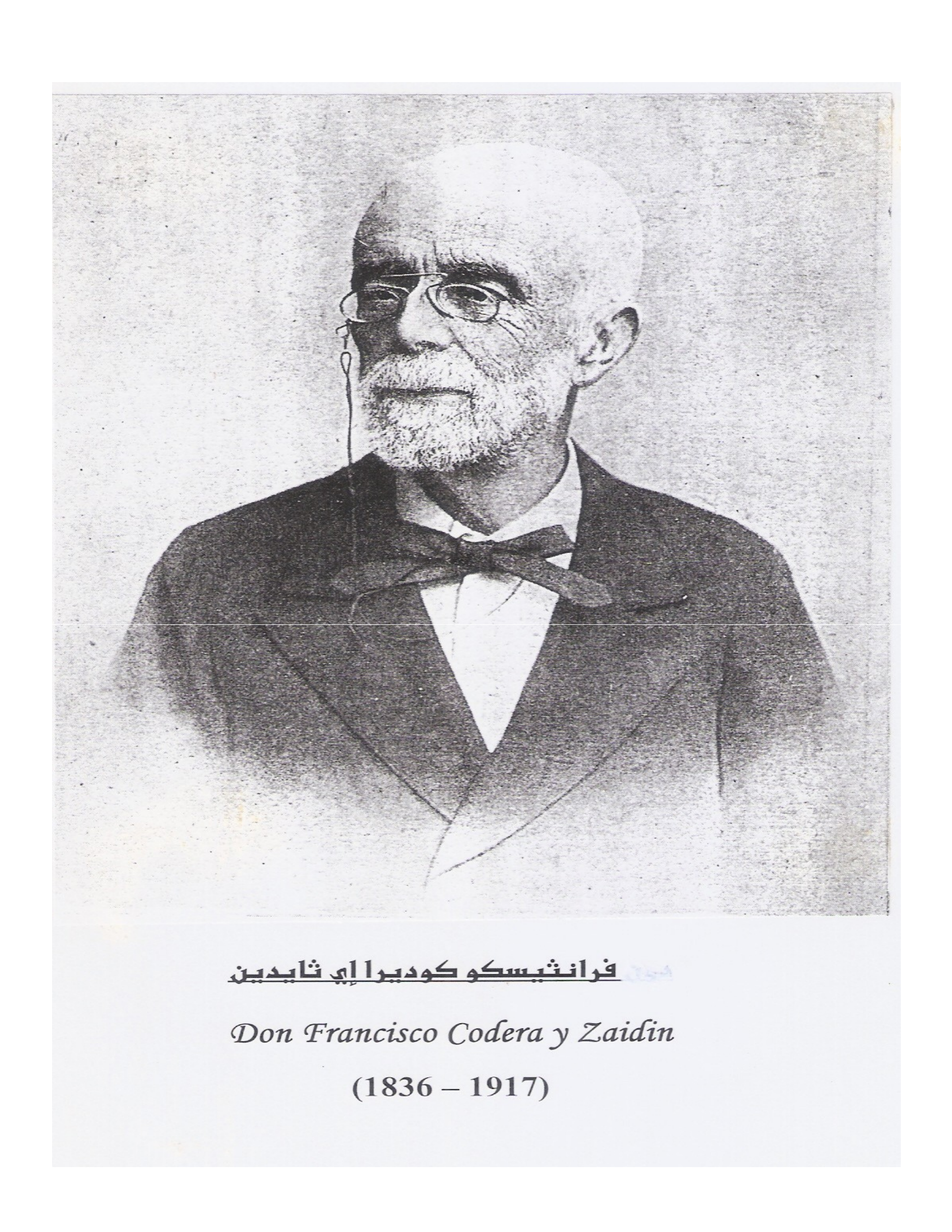


## الفصل الأول

## الفصل الثاني



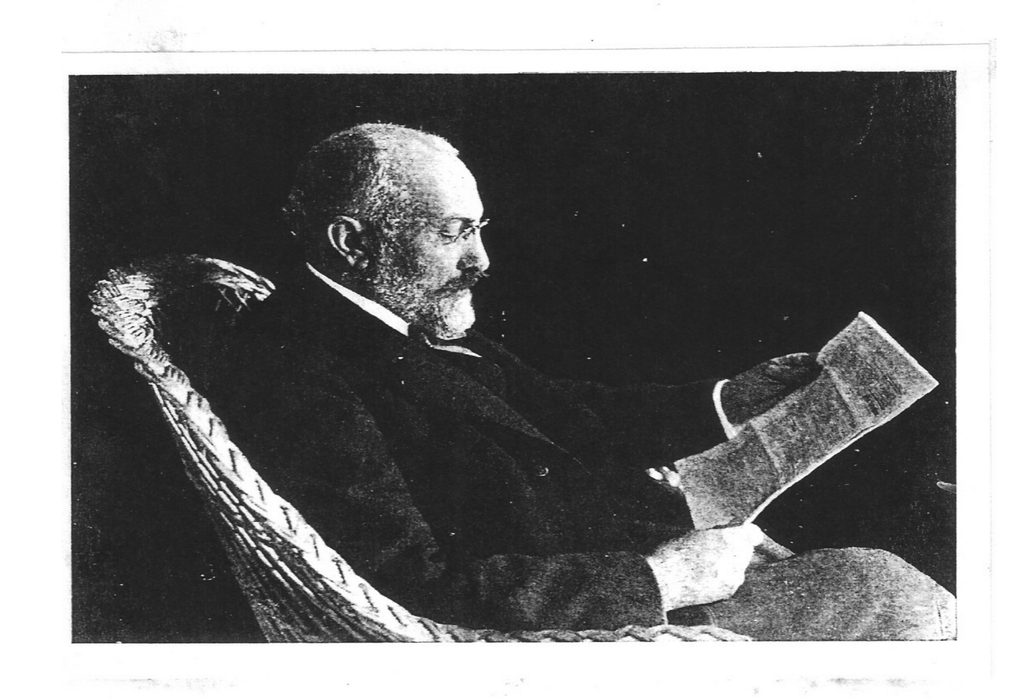
## الفصل الثالث



فرانثيسكو كوديرا إي ثايدين

*Don Francisco Codera y Zaidin*

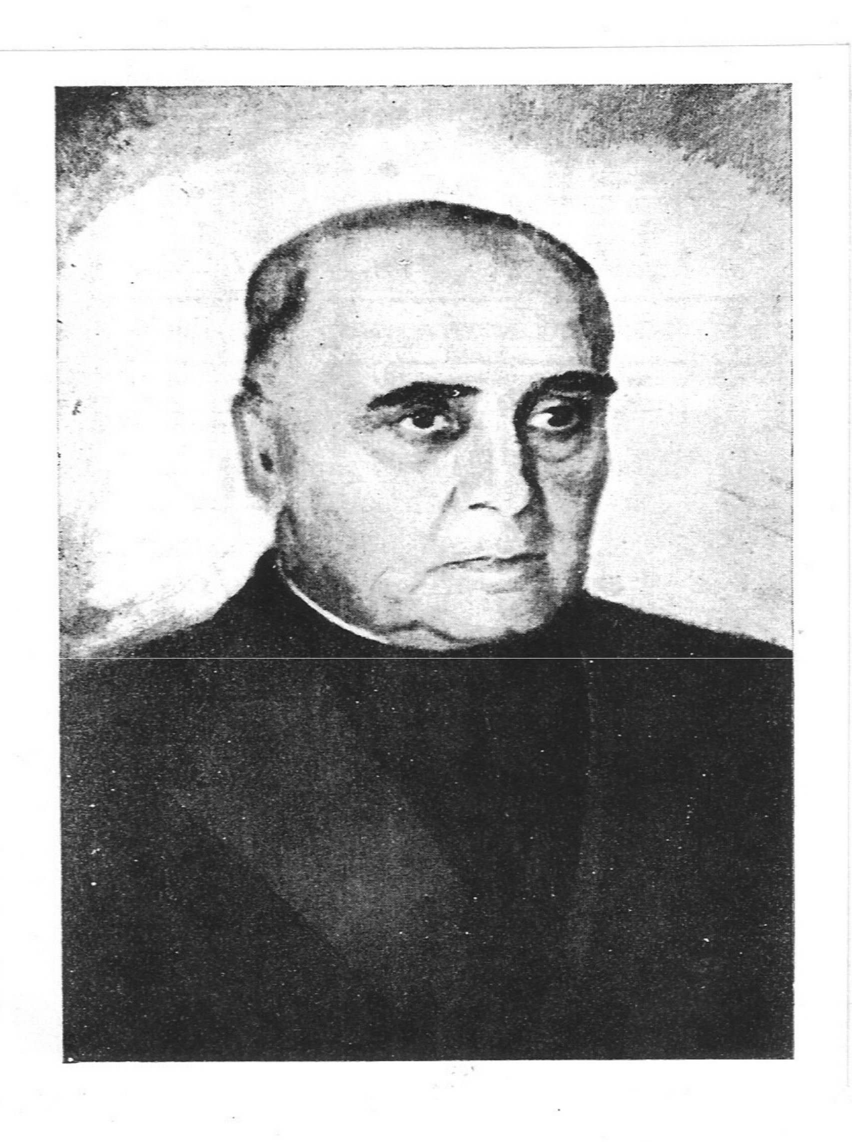
**(1836 – 1917)**



**خوليان ريبيرا إي طاراغو**

*Don Julian Rivera y Tarragó*

**(1858 – 1934)**



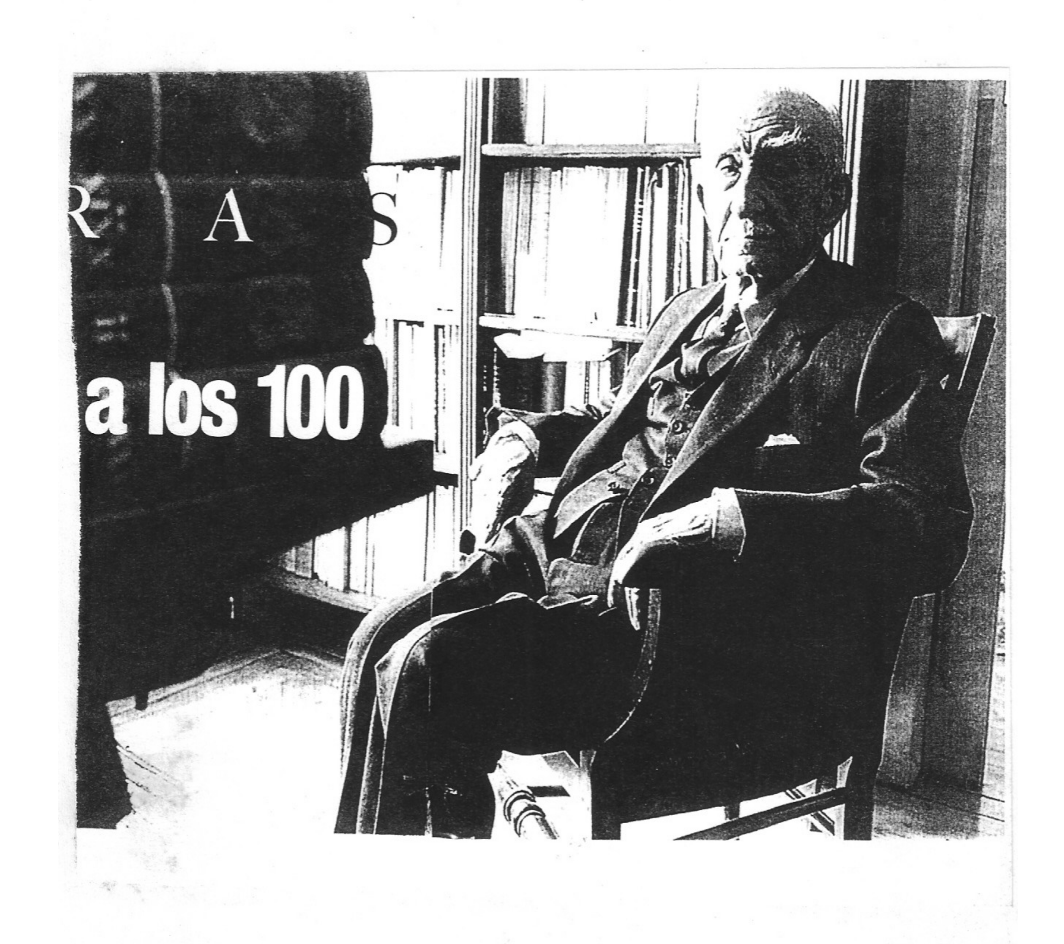
**ميغيل آسين بلاثيوس**

*Don Miguel Asín Palacios*

**(1871 – 1944)**



آنخل غونثاليث بالينثيا
*Don Angel González Palencia*
**(1889 – 1949)**




**وداعا إميليو غارثيا غوميث**
**31 ماي 1995**

الاستعراب الإسباني الحديث
وجاذبية الحضارة الإسلامية في الأندلس
الأستاذ الدكتور
محمد العمارتي

